

مجلة

جامعة أم القرى

للبحوث العلمية المحكمة

العدد الثاني عشر

السنة التاسعة ، ١٤١٦ هـ (١٩٩٦ م)

رقم الإيداع ٣٣٠٣ وتاريخ ١٢/١١/١٤١٥ هـ - الرقم الدولي المعياري للدوريات ردمد: ٤٢١٦-١٣١٩ ISSN

المحتويات

* البحوث العربية :

صفحة

بحوث الإعلام في خدمة الدعوة الإسلامية

الدكتور محمد يوسف مصطفى عبده ١٣

تطور المتحصلات والمدفوعات في ميزان مدفوعات المملكة العربية
السعودية خلال الفترة ١٣٩١-١٤١٢ هـ (١٩٧١-١٩٩٢ م)

الدكتور عبد المحسن بن عبد الله بن محمد آل الشيخ ٨٩

صوت الهمزة في اللغة العربية بين القدماء والمحدثين

الدكتور يحيى بن علي بن يحيى مباركي ١٢٩

القاف المسامة فصيحة والأخرى المسامة عامية في عربية اليوم الفصحى

الأستاذ عبد الفتاح محبوب محمد إبراهيم ٢١١

تخطيط التغيير وإداراته في مؤسسات التعليم العالي : المبادئ والأسس ،

مدخل تطويري

الدكتور سعد عبد الله بردي الزهراني ٢٤٧

صوت الهمزة في اللغة العربية بين القدماء والمحدثين

الدكتور / يحيى علي يحيى مبارك

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب

بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

ملخص البحث

يجيب هذا البحث - تقريباً - سؤال كبير طالما راود أذهان بعض الباحثين المحدثين في قضايا اللغة العربية وهم يلتمسون إجابة علمية مقنعة لما يعتقدون أنها مشكلة لغوية عويصة أثارها القدماء من علماء اللغة والنحو . وفي رأيهم فإن القدماء قد اضطربوا في شأنها اضطراباً شديداً ولم يصلوا فيها - حسب زعمهم - إلى رأي مقنع يحل كثيراً من تعقيداتها ويزيل الغموض عنها . وقد تناول هذا البحث أساس هذه المشكلة اللغوية بعد التمهيد لها بتعريف شامل عن صوت الهمزة وأصوات أخواتها من حروف العلة واللين والمد () (الواو والياء والألف) عند القدماء وبعض المحدثين ، ثم ركز - بشيء من التفصيل - على حقيقة العلاقة بين هذه الأصوات الأربعة جميعاً التي يقول بها القدماء والتي ينفيها بعض المحدثين ، وناقش حجج كلا الفريقين حجة حجة ناقدًا ومؤيدًا ما يراه الصواب ثم أودع مجمل الملاحظات عن هذه المسألة في الخاتمة .

- يفرق القدماء بين مصطلحين اختلط أمرهما على بعض المحدثين اختلاطاً عظيماً وهما مصطلح " علة " ومصطلح " مد " فالقدماء يقررون بأن أصوات المد في العربية ثلاثة أحرف (أصوات) الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة والياء الساكنة التي قبلها كسرة . أما أصوات العلة عندهم فهي أربعة أحرف (أصوات) : هي الهمزة والألف والواو والياء ، ولم يشترطوا في صوتي الواو والياء ههنا خلوصهما للمد خلوصاً كاملاً كما يشترط في حروف (أصوات) المد ويمكن تعليل ذلك بما يحدث لهذه الحروف (الأصوات) الأربعة من التغير والاعتلال والانقلاب مما لا يكون مثله في جميع كلام العرب إلا في أحدهما ، تغل الياء والواو وقد تقلبان ألفاً مرة وهمزة مرة أخرى نحو " كل ، قال ، سقاء ، وعاء ... " وتقلب الهمزة ياء مرة وواو مرة وألفاً مرة فنقول : " راي وبوس وبير " وعلى هذا يكون مصطلح علة مصطلحاً صرفياً بحثاً يشير إلى كثرة الانقلاب والتغير في هذه الأصوات الأربعة ولا يشير إلى فكرة المد أبداً . وعليه يسقط اعتراض بعض المحدثين على القدماء من أنهم يدخلون صوت الهمزة الصامت مع أصوات العلة ذلك أن هؤلاء المحدثين قد فهموا من هذا المصطلح معنى " المد " Vowel وهو أمر يدل على أنهم لم يفهموا فكرة " العلة " عند أولئك القدماء . انظر كتاب في الأصوات اللغوية . د. غالب المطلبي ط ٢٠ دار الحرية للطباعة . بغداد سنة ١٤١٢ هـ . ص : ٩٥ ، ٩٦ .

مقدمة :

يطالعنا القدماء من علماء اللغة العربية والنحو في كتبهم - في مواضع عدة منها - بما يشير إلى وجود علاقة بين صوت الهمزة العربية وأصوات أخواتها من حروف العلة واللين والمد الأخرى (الألف والواو والياء) ، ونجد صداها يتردد فيما ينقل عن بعض هؤلاء القدماء من أقوال حيث يصفون الهمزة - على وجه العموم - بأنها حرف جوفي شبيه بالواو والياء والألف اللينة . وهذه - عندهم - حروف جوفية لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة وإنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف . ومما يزيد من قوة هذه العلاقة بينهما ذلك التناوب بين صوت الهمزة وحروف العلة واللين والمد في جملة عظيمة من الألفاظ العربية من نحو ما نجد في :

أوحاي	إحياء
اعتداو	اعتداء
استغناي	استغناء
رسايل	رسائل
بكاي	بكاء
نوايب	نواب
معايش	معاش
قوول	قتول
نروم	نؤوم

وهذا التناوب بين صوت الهمزة وأصوات أخواته من حروف العلة واللين والمد مما ألفه النظام الصوتي في اللغة العربية واستعمله وسيلة للتخلص من التأليف والمستثقل أو المكروه لحروف العلة واللين أو المد في نحو " قائل وبائع في قاول وبائع ، وعجائز وصحائف في عجاوز وصحايف ، وسماء وبناء في سماو وبناي ، وصحراء ومؤنة في صحراا وموونة ... " حيث أدت كراهية الثقل بسبب تتابع حروف المد أو العلة واللين في كل من " قاول وبائع وعجاوز وصحايف وسماو وبناي ← إلى قلب حرف العلة واللين الواقع بعد حرف المد إلى همزة . كما أدت كراهية التطويل بسبب تتابع حروف المد أو العلة إلى الغلق المفاجئ بقلبها إلى همزة من حيث كانت نهاية النطق بها عند مخرج الهمزة كما حدث في صحراء ← صحراء وموونة ← مؤنة . ويؤيد ذلك ويقويه أن كثيرا من الصيغ التي يفترض أنها الأصل - كما رأينا - غير موجودة في الاستعمال العربي ، بل إنها لم تدخل في الاستعمال اللغوي منذ حقبة موغلة في القدم .

وينفي بعض الباحثين (١) وجود أي علاقة - من أي نوع كان - بين صوت الهمزة وأصوات أخواتها من حروف العلة واللين أو المد جملة وتفصيلا . ويعدون القول بذلك ضربا من الوهم ، لا تؤيده الحقيقة الصوتية لبعد ما بين الأمرين . وهو قول أيضاً لا ينهض - في رأيهم - لتفسير مشكلة التغير الذي يتعرض له صوت الهمزة في الكلمة العربية . وسنعرض - في الصفحات القادمة من هذا البحث - آراء كلا الفريقين - بالتفصيل - ونناقش أدلة كل فريق على حدة ثم نسلک النهج الذي نعتقد فيه الصواب إن شاء الله تعالى .

١ - بشر - كمال . علم اللغة العام (الأصوات) . ط (٥) سنة ١٩٧٩ م . دار المعارف ص ١١٢ وما بعدها .

وانظر المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي) - مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٠ هـ ص ١٧٢ وما بعدها .

٢- التعريف بمخارج كل من حروف العلة واللين والمد (الصوائت وأشباهاها) والهمزة في اللغة العربية :

١- حروف العلة واللين والمد :

أ- عند القدماء :

حروف العلة واللين وهي : الألف الساكنة المفتوح ما قبلها ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها تسمى أيضاً - عند القدماء - حروف المد لامتداد الصوت في يسر عند النطق . وتسمى الهوائية لأنها تنتهي بانقطاع هواء الفم ، والجوفية لأنه آخر انقطاع مخرجهن (٢) وهي - عند سيبويه - غير مهموسات ومخارجها متسعة ... الخ (٣) . ويتسع مخرجا الواو والياء لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها وإن شئت أجريت الصوت ومددت . ومنها الهاوي وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف . وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها أخفاهن وأوسعن مخرجها الألف ثم الياء ثم الواو (٤) . وذكر ابن جني أن الحروف التي اتسعت مخرجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو . والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال ، أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر . وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبي اللسان

٢- ابن الجوزي . النشر في القراءات العشر ، دار صادر : بيروت ١٩٩١ .

٣- سيبويه . الكتاب . ط ١ المطبعة الأميرية ببولاق ، سنة ١٣١٦ هـ - ١٨٥٢ .

٤- نفسه ٢ / ٤٠٤ .

وضغطته وتفاج الحنك عن ظهر اللسان فجري الصوت متصعدا هناك فلاجل تلك الفجوة ما استطال . وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت . فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفيتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر وذلك قولك في الألف أ ا وفي الياء إي وفي الواو أو.^(٥)

ونسب الأزهري إلى الخليل بن أحمد أنه قال : الواو والياء والألف ثلاثة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه غيره^(٦) .

ويظن ابن سينا أن الألف الصغرى والكبرى مخرجهما من إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم ، والواوان مخرجهما مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفيتين واعتماد في الإخراج على ما يلي فوق اعتماداً يسيراً ، والياءان تكون المزاحمة فيهما بالاعتماد على ما يلي أسفل قليلا . وكل صغرى فهي واقعة في أصغر الأزمنة وكل كبرى ففي^(٧) () إضعافها^(٧) .

^٥ - أبو الفتوح عثمان بن جني . سر صناعة الأعراب . ط ١ سنة ١٣٧٤ هـ ٨/١ .

^٦ - الأزهري . تهذيب اللغة . دار القومية العربية للطباعة سنة ١٣٨٤ هـ ٥١/١ وما بعدها .

^٧ - لعل ابن سينا يقصد بالألف الصغرى والكبرى ، الفتحة القصيرة في " كتب " والطويلة في " كاتب : وبالواوين : الضمة القصيرة في " كتب " والطويلة في " كوتب " وبالياءين : الكسرة القصيرة في " كتاب " والطويلة في : " خيف " . وطريقة نطق هذه الصوائت مختلفة حيث ينطق بالفتحة القصيرة والطويلة عن طريق استمرار جريان الصوت بعد اطلاقه وتذبذب الوترين الصوتيين مع انفتاح الفم واتخاذ اللسان في تعر الفم وضعا محايداً . بينما ينطق بالضمة القصيرة والطويلة عن طريق استمرار جريان الصوت بعد اطلاقه وتذبذب الوترين الصوتيين مع ضم الشفتين وصعود أقصى اللسان نحو الحنك مع توتر ما ويكون الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك من السعة بحيث لا يحدث الصوت الصاعد أي نوع من الحفيف ، وأما النطق بالكسرة القصيرة والطويلة فيحدث عندما يتم اطلاق الصوت وتذبذب الوترين حيث تتجه مقدمة اللسان وأعلى جزء منه إلى الأمام واتجاه الشفتين نحو الاستفال ويكون الفراغ بين أعلى جزء من اللسان والجزء الأعلى من الحنك من السعة بحيث لا يحدث حفيفا . وقد لاحظ ابن سينا أن الفرق بين الصوائت القصيرة والمتفرعة عنها إنما هو فرق في الكمية التي يستغرقها زمن النطق بها في مثل : " يعلو ، ولم يعل " .

^٧ - أبو علي بن سينا : أسباب حدوث الحروف . منشورات جامعة طهران ١٣٣٣ هـ . ص ٢٠ .

ب- عند المحدثين :

تنتج حروف العلة واللين والمد - عند المحدثين ^(٨) - بقدر كبير من حرية تسرب الهواء من الرئتين مروراً بالتجويف الحنجري . ولعل ذلك بسبب ارتباط هذه الأصوات بالوترين الصوتيين وهو ما يعني - بوضوح - أنها تمتاز بحرية مرور الهواء حال النطق بها دون أدنى اعتراض حيث يخرج الهواء معها - مصوتا - على شكل مستمر من الحلق والقم دون أن يعوقه شيء من الأعضاء الصوتية يمنعه من الخروج أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً ^(٩) . وهي لذلك متسعة المخارج لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمد للصوت فيقع عليها لذلك التزم في القوافي وغير ذلك وإنما احتملت المد لأنها سواكن اتسعت مخارجها حتى جرى فيها الصوت ، إلا أن مدارج أصواتها مختلفة . فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى ، ومدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين . وتتميز الصوائت - عند المحدثين - بميزة الوضوح السمعي . وقد أدى عدم الاحتكاك الذي تتميز به عند النطق بها إلى أن تكون - كما يقولون - أصواتاً موسيقية منتظمة قابلة للقياس خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار في التصويت . ^(١٠)

^٨ - أنيس ، إبراهيم . الأصوات اللغوية - ط ٦ سنة ١٩٨١ م . مكتبة الأنجلو المصرية ص ٢٦ وما بعدها .

^٩ - عمر ، أحمد مختار . دراسة الصوت اللغوي . عالم الكتب - القاهرة سنة ١٩٧٦ م ، ص ١١٤ هـ .

^{١٠} - أنيس الأصوات اللغوية . ط ٦ ، ص ٢٦ وما بعدها ، وينظر دروس في علم أصوات العربية لجان كاتينو ، تعريب صالح القرمادي . الجامعة التونسية سنة ١٩٦٦ م ص ١٤٣ وما بعدها .

٢- صوت الهمزة

أ- عند القدماء

تعد الهمزة - عند الخليل بن أحمد - صوتا مهتوتا مضغوطا من أقصى الخلق يصير همزة فإذا رفه عنها لانت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح .^(١)

وجعلها سيويه من أقصى الخلق مع الهاء^(٢) ، وقال المبرد : " الهمزة حرف يتباعد مخرجه عن مخارج الحروف ولا يشركه في مخرجه شيء ولا يدانيه إلا الهاء والألف " .^(٣)

وقال في جهرة اللغة : " أما الهمزة منهم (أي حروف الخلق) فمن مخرج أقصى الأصوات (في الخلق)^(٤) . وذكر ابن جني أن مخرج الهمزة من أسفل الخلق وأقصاه^(٥) . وهي عند ابن سيده تخرج من أقصى الخلق .^(٦) وقال في التهذيب : " والهمزة حلقية من أقصى الخلق من عند العين " .^(٧) وقال ابن سينا : " أما الهمزة فإنها تحدث عن حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر هواء كثير ومن مقاومة الطرجهالي الحاصر زمنا قليلا لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا^(٨) .

^{١١} - الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، كتاب العين (ج ١) ، تحقيق عبد الله درويش ، مطبعة العاني . بغداد ،

ط ١ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٥٨ ، وينظر لسان العرب (مادة هت) دار صادر بيروت .

^{١٢} - سيويه ، الكتاب ٢/٢٥٣ وكذا ٢/٤٠٥ .

^{١٣} - المبرد أبو العباس ، المقتضب . تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة . القاهرة ، سنة ١٣٩٩ ، ١/٢٩٢ .

^{١٤} - ابن دريد ، جهرة اللغة . دار صادر - بيروت (مصورة بالأوفسيت) ١/٧٠٦ .

^{١٥} - ابن جني ، سر صناعة الأعراب ١/٥٢ .

^{١٦} - ابن سيده علي بن إسماعيل ، المخصص . دار الفكر - بيروت سنة ١٣٩٨ هـ . ١٣/٢٦٨ .

^{١٧} - الأزهرى ، تهذيب اللغة . ١/٥١ .

^{١٨} - ابن سينا أسباب حدوث الحروف ، ص ١٣ .

وذكر مكي بن أبي طالب أن الهمزة حرف بعيد المخرج جلد صعب على الالفاظ به بخلاف سائر الحروف . (١٩)

وقال ابن يعيش في شرح المفصل : " الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق اذا كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجهم كالمخرج . وذكر في موضع آخر : الهمزة تخرج من أقصى الحلق من أسفله إلى ما يلي الصدر ولذلك ثقل إخراجها لتباعدها . (٢٠)

وقال الرضى في شرح الشافية : " والهمزة أبعد الحروف وأخفاها لأنها من أقصى الحلق " (٢١) .

وجعل ابن الجزري مخرج الهمزة من أقصى الحلق مع الهاء فقليل : على مرتبة واحدة وقليل الهمزة أول . (٢٢)

ب- عند المحدثين :

أما مخرج صوت الهمزة عند بعض الباحثين المحدثين فيختلف كثيراً عما قرره القدماء - كما رأينا آنفاً - نرى ذلك فيما نقله من آرائهم . إذ يذهب محمود السعران إلى أن صوت الهمزة صوت حنجوري انفجاري لا هو مهموس ولا هو مجهور ويحدث نتيجة لانطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاماً فلا يسمح

١٩ - القيسي ، مكي بن أبي طالب . الكشف في القراءات السبع ، تحقيق محي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ط ٢ سنة ١٤٠٤ هـ ، ٧٢/١ .

٢٠ - ابن يعيش ، موفق الدين علي . شرح المفصل - عالم الكتب بيروت ١٠٧/٩ ، ١٢٤/١٠ .

٢١ - الاسترابادي ، رضي الدين محمد بن الحسن ، شرح شافية .

٢٢ - ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد . النشر في القراءات العشر . دار الفكر . ١٩٩/١ .

القول بأن صوتاً ما ليس بالمجهور ولا المهموس هو حكم عليه بالعدم ، والعدم لا يقود إلا إلى عدم مثله إضافة إلى أنه مفهوم مربك في التناول العلمي ... وسيأتي مزيد إيضاح لذلك فيما بعد .

للهواء بالمرور من الحنجرة ثم ينفرج الوتران فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً^(٢٣) .

ويرى إبراهيم أنيس أن مخرج الهمزة المحققة من المزمار " نفسه إذ عند النطق بها تنطبق فتحة المزمار فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة . إذن - عنده - صوت شديد لا هو بالجهور ولا بالمهموس لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة^(٢٤) .

ويقرر كمال بشر أنه حين النطق بهمزة القطع في اللغة العربية تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً . فلا يسمح للهواء بالمرور من الحنجرة ثم ينفرج الوتران فيخرج الهواء فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً . فالهمزة صوت حنجري انفجاري لا هو بالمهموس ولا بالجهور هو الرأي الراجح إذ إن وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو ما يسمى بالهمزة^(٢٥) .

^{٢٣} - السعران ، محمود . علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) . الإسكندرية ، دار المعارف سنة ١٩٦٢ م . ص ١٩٥ .

- هناك مصطلحان عند علماء التشريح هما : مصطلح المزمار . ولسان المزمار ، ويقصدون بالمزمار : الفتحة الواقعة بين الوترين الصوتيين الصادقين " glottis " ولسان المزمار زائدة لحمية تقع في فجوة الحلق وهي تتأ عند النطق بالعين فتلامس الجدار الخلفي للحق وموقعها فوق الحنجرة ولا تعد جزءاً من الحنجرة ومن ثم لا ينبغي للحنجرة أن تسمى " فتحة المزمار " .

^{٢٤} - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ٨٩ .

^{٢٥} - كمال بشر ، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١١٢ .

ويرى جان كانتينو أن صوت الهمزة حرف شديد أقصى حلقى يقرع
بإطباق الأوتار الصوتية الواحد على الآخر ، وبحول هذا الإطباق طبعاً دون
ارتعاش الأوتار ولذا كانت الهمزة مهموسة بالطبع (٢٦) .

ويقول عبد الصبور شاهين : " إن صوت الهمزة صوت يخرج من
الحنجرة ذاتها نتيجة انغلاق الوترين الصوتيين تماماً ثم انفتاحهما في صورة
انفجار مهموس ، فهي إذن صوت حنجري انفجاري مهموس وهي بذلك تعد
من الصوامت (٢٧) .

أولاً :مناقشة أقوال القدماء والمحدثين حول مخرج صوت الهمزة:
بالنظر الدقيق في مجمل ما قاله القدماء لغويون ونحويون مقارنة بما قاله
المحدثون من علماء وباحثين بالنسبة لمخرج الهمزة تتضح لنا - من أقوالهم -
جملة آراء لعل أبرزها :

١- اتفاق القدماء - فيما نقلناه عنهم ما عدا ابن سينا - على أن مخرج
الهمزة هو من أقصى الحلق ، وقيل من أسفله ، ولذلك فهو بعيد
المخرج جلد صعب على اللفظ به بينما هو عند المحدثين صوت
حنجوري انفجاري لا هو بالمهموس ولا بالجمهور يحدث نتيجة انطباق
الوترين وفيهما ينضغط الهواء من الخلف فينقطع النفس ثم ينفرجان
فيخرج الهواء المضغوط خلفهما محدثاً انفجاراً مسموعاً .

وبالتأمل فيما قاله القدماء والمحدثون في هذه المسألة نلاحظ :

٢٦ - جان كانتينو . دروس في علم أصوات العربية . ص ١٢٣ .

٢٧ - عبد الصبور شاهين . المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص ١٧٢ .

١- اختلافهم في النص صراحة على مخرج الهمزة . فالقدماء جعلوه في أقصى الحلق ، بينما يجعله المحدثون في منطقة الحنجرة ، ويعيرون على القدماء مسلكهم هذا الذي يرونه غير دقيق إذ الهمزة - عندهم - ليست من الحلق وإنما هي من الحنجرة وهي سابقة للحلق ويقبلون رأيهم هذا - في حالة واحدة فقط - وهو افتراض أن هؤلاء القدماء ربما أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها وتكون الحنجرة حينئذ هي المقصودة بـ : " أقصى الحلق " . ومع هذا فإن القدماء من لغويين ونحاة وقراء مهتمون عند المحدثين بأنهم قصرُوا في عملهم إذ لم يسيروا إلى الحنجرة في كلامهم ولم يعدوها من مخارج الأصوات العربية وهذا يرجع - من وجهة نظر بعض المحدثين - إلى عدم إداركهم لهذه المنطقة المهمة في تكوين الأصوات فوقعوا فيما وقعوا فيه من خطأ عند وصف بعض الأصوات ومن أهمها الهمزة (٢٨) .

وأقول إننا لو دققنا النظر فيما قاله القدماء عن المخارج التي تخرج منها الأصوات الحلقية لتبين لنا أنهم قد أدركوا مخرج منطقة الحنجرة وأهميتها في تشكيل بعض الأصوات العربية بل ذكروا ذلك صراحة فيما أثر عنهم . قال ابن سينا في مخرج الغين " وأما الغين فإن الحبس فيها غير تام إلا أنه قوي ومن دفع إلى أدخل موضع في الحلق عند انفتاح الحنجرة وأرطبة وأزله رطوبة " (٢٩) كما لاحظوا ذلك ضمناً في حديثهم عن مخرج الهمزة - مثلاً - يقول المبرد " إن الألف هواء في الحلق يسميها النحويون الحرف الهاوي والهاء خفية تقارب مخرج

٢٨ - كمال بشر . علم اللغة العام (الأصوات) ص ١١٢ وما بعدها .

٢٩ - ابن سينا . في أسباب حدوث الحروف . ص ١٣ .

الألف والهمزة تحتها جميعاً أعني الهمزة المحققة فلتباعدها من الحروف وثقل مخرجها وأنها نبرة في الصدر جاز فيها التخفيف " (٣٠) . وقسموا الحلق إلى ثلاثة أقسام : أقصى الحلق ووسطه وأدناه ، وجعلوا مخرج أقصى الحلق وأسفله مما يلي الصدر للهمزة والهاء والهمزة أولاً . نستبين ذلك أيضاً من تأكيدهم على أن مخرج الهمزة من أقصى الحلق وأسفله وأنها أبعد الحروف في أقصى الحلق وأدخلها فيه ، وتحدث من حفز قوي من الحجاب الحاجز وعضل الصدر . وإفرادهم لها مع صوت الهاء بمخرج خاص بهما دليل إدراكهم استقلالهما بمنطقة لا يشترکہما فيها شيء من الأصوات وهي ما عرفت بعد ذلك عند المحدثين بمخرج منطقة الحنجرة ونسبوا لها صوتي الهمزة والهاء . وهو ما أعده - من وجهة نظري - اختلافاً لفظياً حسب ، وليس جهلاً بهذه المنطقة المهمة - حسب زعم بعض الباحثين المحدثين - في إنتاج بعض الأصوات العربية كالهمزة حيث إن القدماء يطلقون عليها اسم أقصى الحلق وأسفله مما يلي الصدر ، بينما سماها بعض المحدثين منطقة الحنجرة . وبناء عليه فالخلاف في التسمية مبني على أساس نظرة اجتهادية من الفريقين في تعيين مخرج صوت الهمزة فقط لا في كونه متعلقاً بخطأ القدماء وإصابة بعض المحدثين في نسبة بعض الأصوات العربية إلى ذلك المخرج . ثم إن القدماء وصفوا - فيما نقل عنهم - ما يحدث الهمزة عند النطق بهما من مخرجها وصفاً دقيقاً تبين ذلك فيما نسب إلى الخليل عندما قال واصفاً مخرجها : " أما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ، فإذا رفعها لانت فصارت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف

٣٠ - المبرد . المقتضب ١٠/١٩٢ .

الصباح " (٣١) وكذا ما نقله عنه صاحب اللسان حيث قال : " الهمزة صوت مهتوت (مضغوط) في أقصى الحلق يصير همزة فإذا رفه عنها كان نفسا" (٣٢). نستدل من وصف الخليل لها بأنها مهتوتة مضغوطة أن الرجل كان يشعر بما يحدث للوترين الصوتيين في منطقة أقصى الحلق من الانغلاق للفرجة بين الوترين الصوتيين أمام ضغط الهواء الصاعد إليهما من الرئتين وحفز الحجاب الحاجز ثم الانفراج . فإذا دققنا النظر فيما قاله ابن سينا وهو يصف كيفية النطق بصوت الهمزة من أنها تحدث نتيجة حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر هواء كثير ومن مقاومة الطرجهالي (غضروف الحنجرة) الحاجز زمنا قليلا لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة (الوترين الصوتيين) وضغط الهواء معا تبين لنا أن القدماء كانوا على إدراك تام بما يحدث في منطقة الحنجرة من ضغط وتوتر وانغلاق للوترين الصوتيين ثم انطلاقهما فجأة بعد حبس الهواء وراءهما قليلا .

ونحن نتساءل - بموضوعية - بعد هذا الإيضاح والبيان من القدماء لطريقة نطق الهمزة بشكل قارب - إن لم نقل فاق - وصف بعض المحدثين لنطق هذا الصوت (الهمزة) في اللغة العربية ، أين الاضطراب والخلط في تعيين القدماء لمكان نطق الهمزة الذي لاحظوه عليهم في هذه المسألة ؟ .

٢- تظهر صور الاسبيكتروجراف (Spectrograph) التي أخذت لنطق صوت الهمزة في (الفصحى المعاصرة) في كلمات كثيرة وردت فيها

٣١ - الخليل بن أحمد . العين ٥٨/١ .

٣٢ - ابن منظور . لسان العرب . (مادة هتت) .

- يعنون بالحروف الشديدة : كل حرف إذا سكته ونطقت به لم يمر الصوت .. رضي الدين الاسترآبادي شرح الشافية ٢٦٠/٣ .

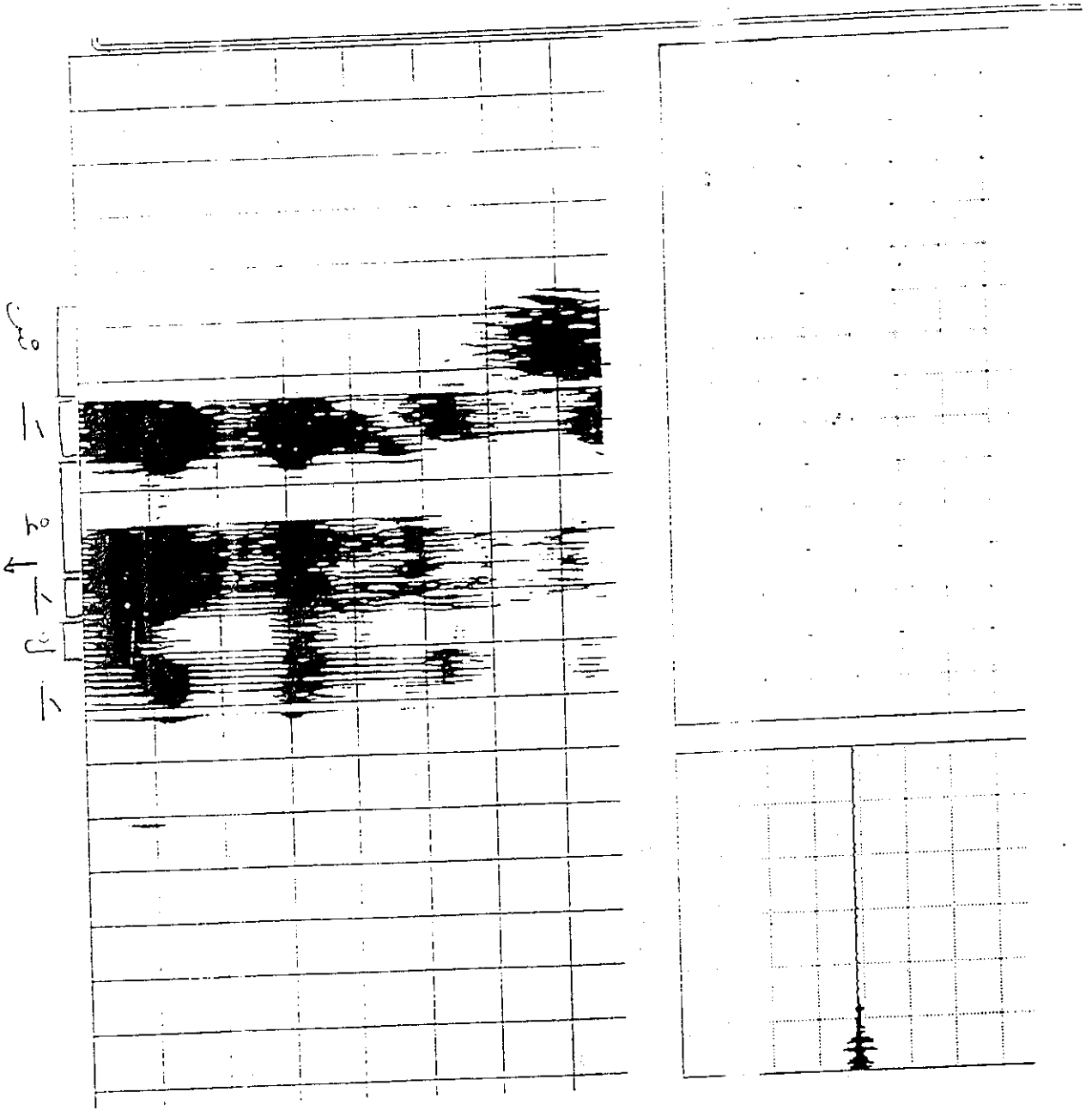
الهمزة أولا أو وسطا أو آخرًا أن هناك غلقا كليًا حدث . أما الهواء الصاعد بقوة الإرادة من الرئتين عبر القصبة الهوائية مرورًا بالأوتار الصوتية الواقعة في أعلى منطقة الحنجرة أسفل الحلق باتجاه الفم والأنف، تزامن مع النطق بصوت الهمزة يظهر على شكل فراغ أبيض عمودي صاعدا من المعلم الأول على الصورة (رقم ١ - ٤) حتى المعلم الثامن مما يؤكد قفل الطريق أمام هذا الصوت قفلا محكما ثم انفتاحه فجأة . وهذا وإن كان يوهم - في ظاهره - صحة ما زعمه بعض الباحثين المحدثين القائلين بأن مخرج صوت الهمزة هو من منطقة الحنجرة ومن فتحة المزمار (glottis) على وجه الخصوص (وهي الفرجة الواقعة بين فتحتي الوترين الصوتي) على ما نراه في الصور رقم ٥ ، ٦ ، ٧ إلا أنه - في رأيي - يؤكد - في حقيقته - صواب نظرة القدماء حول المسألة نفسها من عدة وجوه :

أ- نصت الأقوال التي نقلناها عنهم فيما سبق على أن القدماء من لغويين ونحاة وقراء قد أشاروا - إن تصرّحاً أو تلميحاً - إلى ما يحدث لمخرج الهمزة العربية المحققة في الحلق عند النطق بها من صور الغلق الكامل أو الفتح الفجائي ، ولهذا عدوها حرفاً شديداً يصعب على الألفاظ بها وعاملوها معاملة الحروف الشديدة القوية وصنفوها في مجموعة (أجذك قطبت) وهي الأصوات الشديدة عندهم باتفاق .

ب- أجمعت آراؤهم على أن مخرج الهمزة العربية المحققة من أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر ، وهو أدخل الحروف في الحلق وأبعدها وأخفاها فاستثقل النطق به إذ كان إخراجها كالتهوع . ولعل هذه الطريقة من

صورة رقم (١)

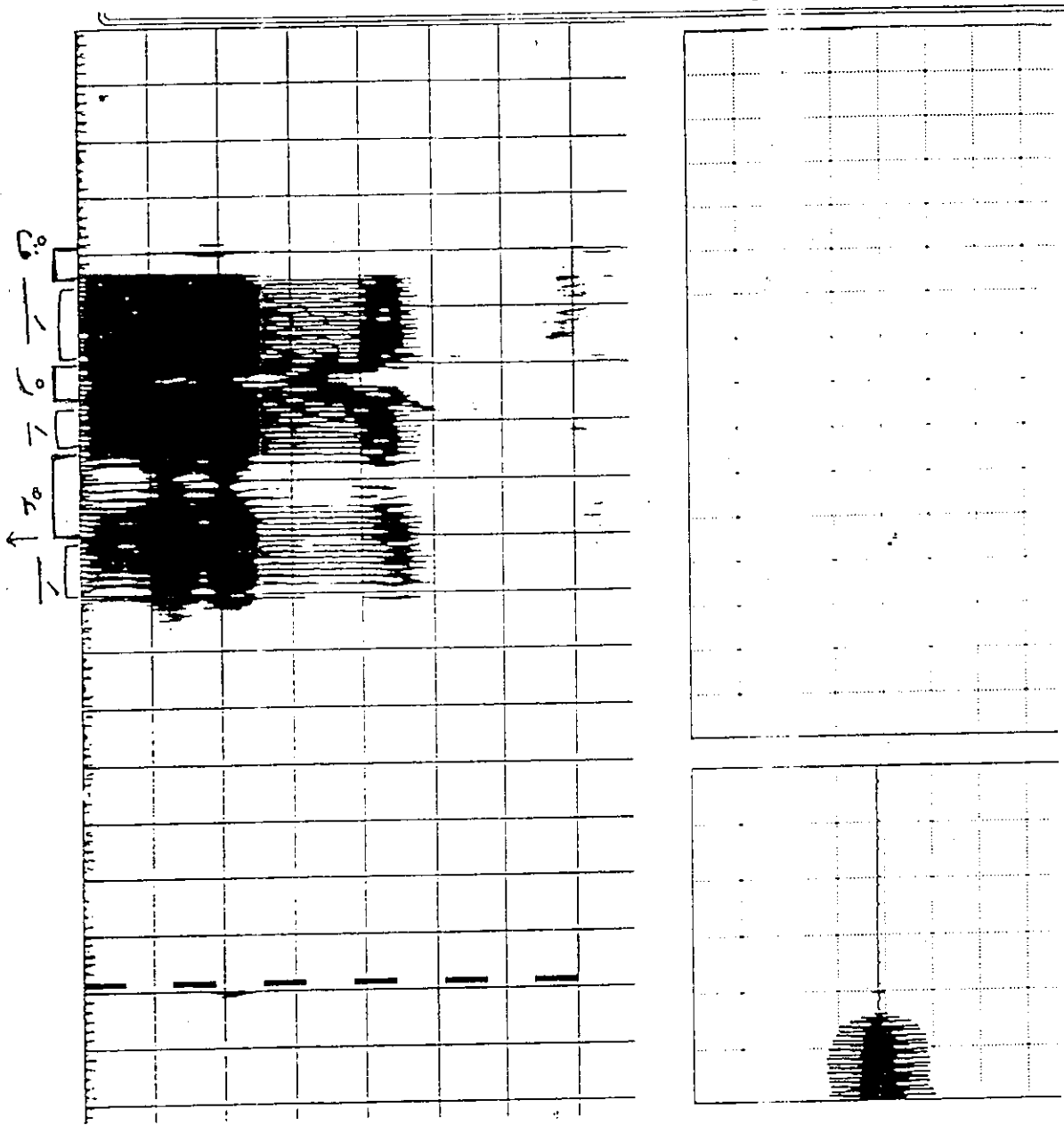
تداخل بين صوت الهمزة والحركة في «ء»



هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة في كلمة "سأل"
بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري من الآية "سأل سائل" (آية ١ سورة
المعارج) برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (٢)

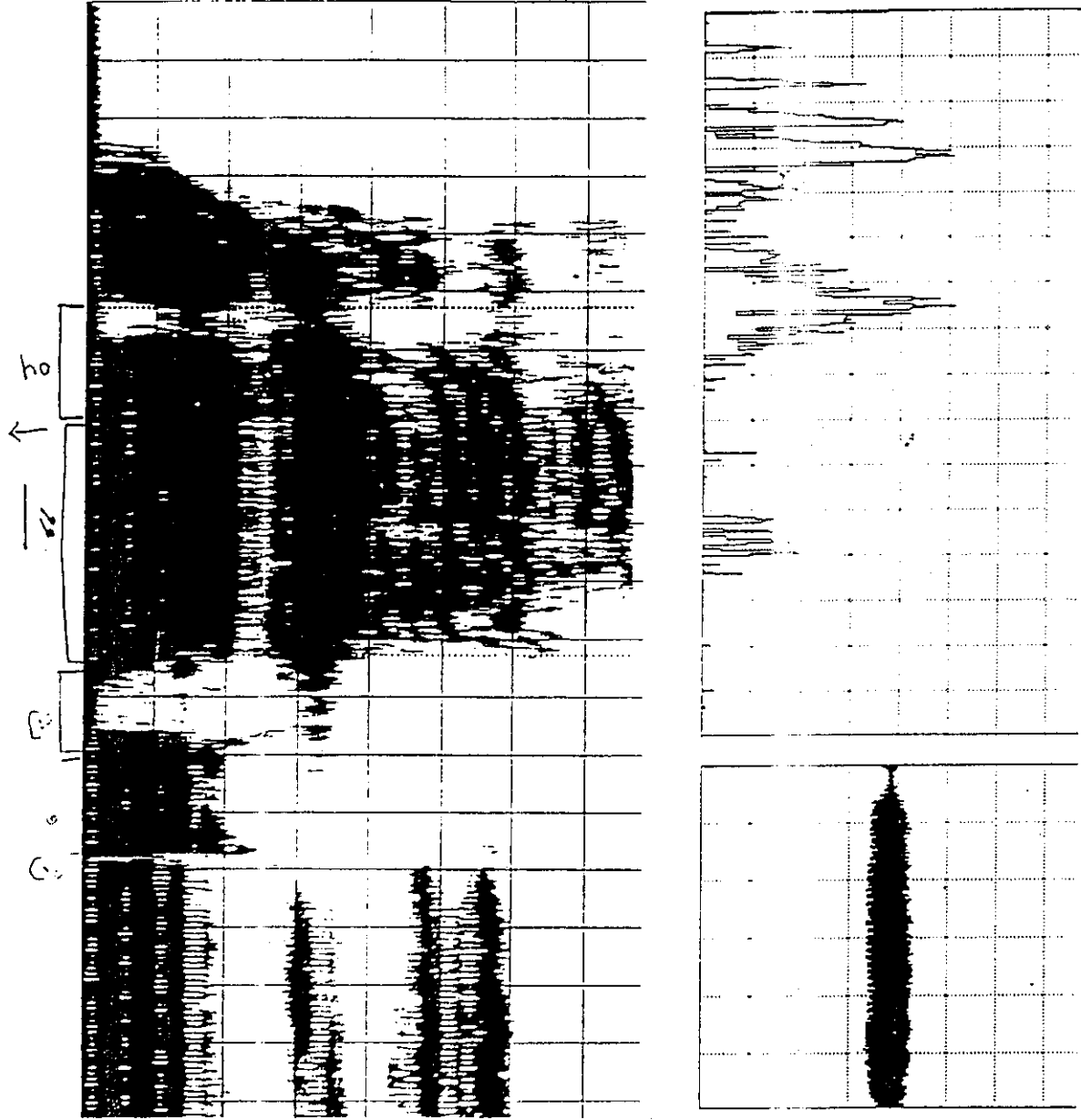
تداخل في المعالم بين صوت الهمزة والحركة في « ء »



هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة في كلمة "قرأ"
نطقت بصوت الباحث .

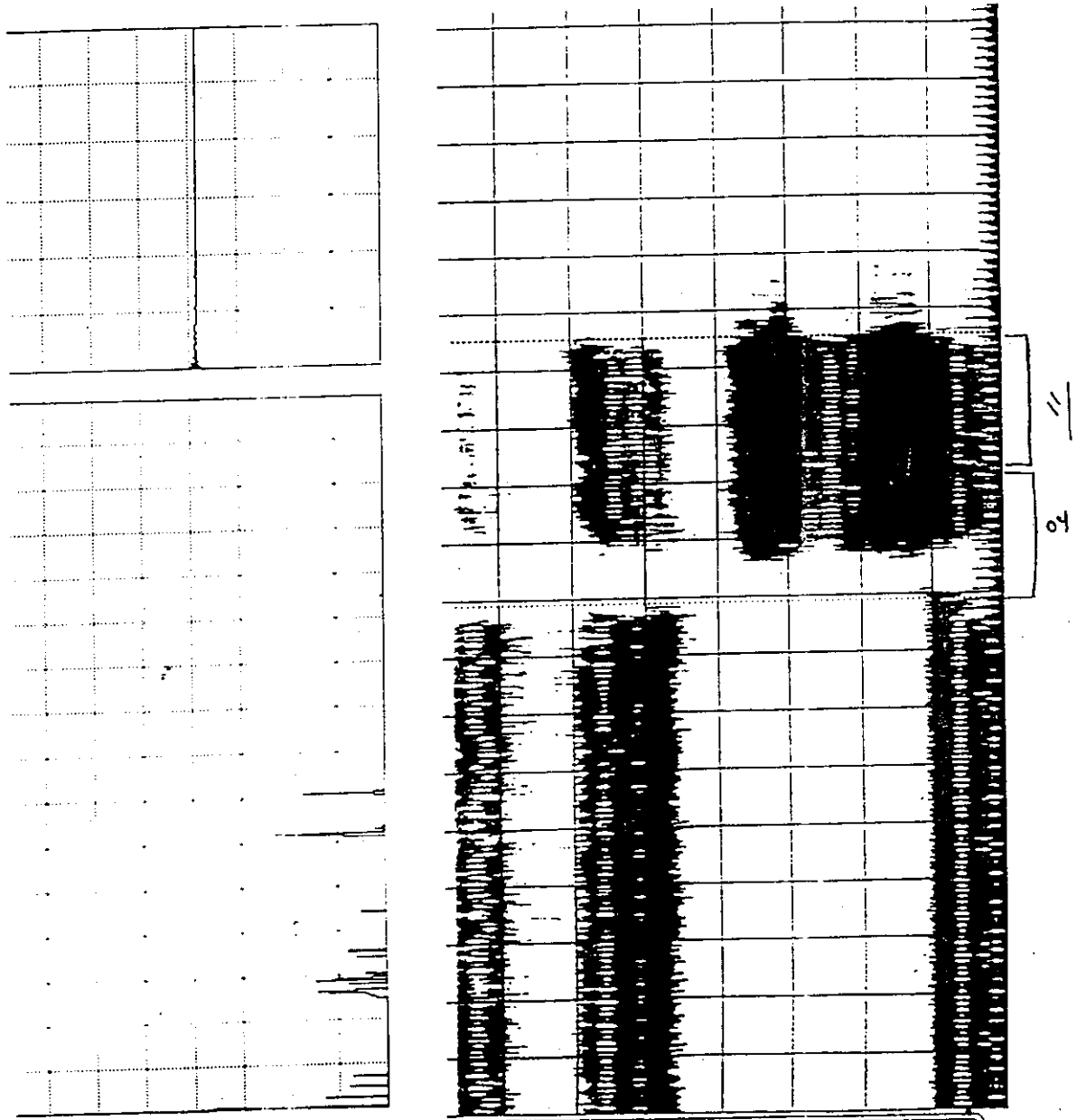
صورة رقم (٣)

تداخل في المعالم بين صوت الهمزة والحركة الطويلة في " أو "



هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة في كلمة " آتوا " من الآية " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة " (آية ٤ سورة النساء) بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري ، برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (٤)



تداخل في المعالم بين صوت الهمزة والحركة في « ثأ »

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة في كلمة « مريثاً » من الآية : (فكلوه هنيثاً مريثاً) (آية ٤ سورة النساء) بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (٥)

الفرجة بين الوترين الصوتيين عنقلا الوترين الصوتيين



صوت مجهور



صوت مهموس



صوت مهموس مهتوت

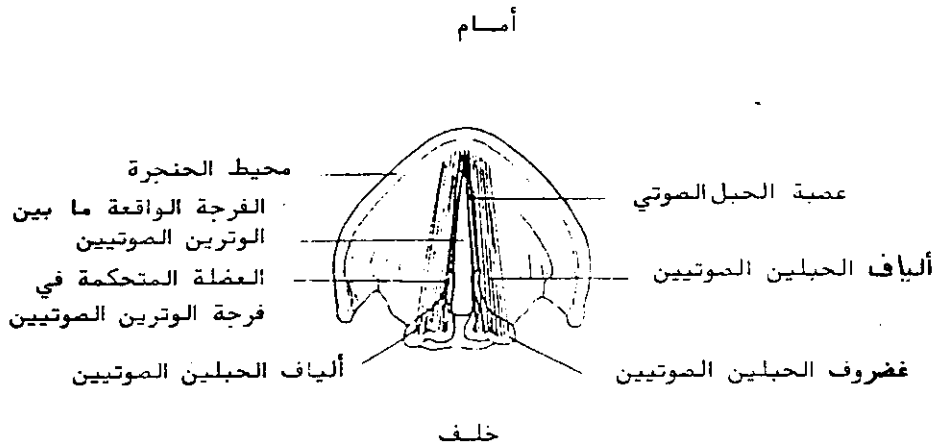


صوت مجهور انفجاري

ينظر في ذلك لمزيد من الشرح والايضاح في كتاب :

Ladefoged, P. " A course in Phonetics" 2nd Edition, Harcount
Brace Jovanovich , Inc. New York , 1975 . P : 128 .

صورة رقم (٦)



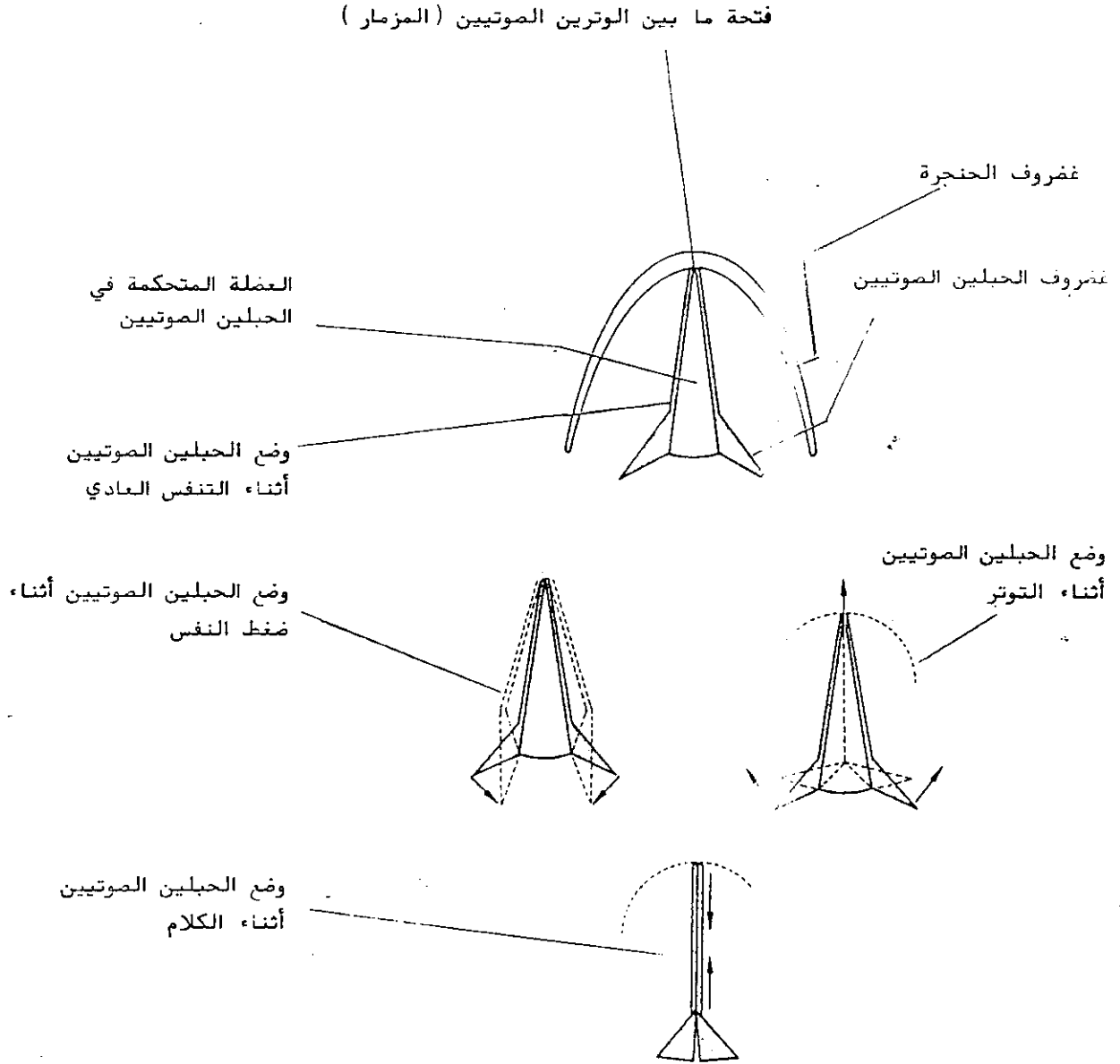
ينظر في ذلك لمزيد من الشرح والايضاح في كتاب :

Borden , J.G. "Speech Science Primer Physiology , Acoustics and Perception of Speech" 2nd Edition , Willimans and Wilkins , Baltimore , London , 1984. P:77.

وكتاب :

Godby. J.C. "Language Files" 2nd Edition , Advocate Publishing Group. The Ohio Stat Univ. (1979-1982) P : 31.1.

صورة رقم (٧)



لمزيد من الشرح والإيضاح انظر كتاب :

Lieberman , Ph. and others "Speech Physiology Speech Perception , and Acoustic Phonetics" Cambridge Univ. Press 1st Edition. Cambridge , 1988. P:99.

نطق صوت الهمزة العربية المحققة التي ذكرها القدماء هي ما عبر عنها ابن سينا وشرحها بما لا مزيد عليه - حتى عند الباحثين المحدثين - فيما نقلناه عنه سابقاً.

ج-

يؤكد علماء وظائف الأعضاء (Physiology) (٣٣) على أن الصوت (اللغوي بعد أن أصبح صوتاً) كان قبل وصوله إلى التجويف الحنجري التي يقع فيها الوتران الصوتيان هو مجرد هواء زفير مطرود من الرئتين بقوة الإرادة إلى الخارج عن طريق الفم والأنف . فإذا ضغط على هذا التجويف الحنجري وضيق على وضع الوترين الصوتين تشكل هذا النفس صوتاً . فإذا اندفع هذا الصوت محدثاً ذبذبات في الوترين الصوتيين تكون ما يعرف بالصوت اللغوي المجهور . وإذا خرج الصوت بعد تشكله دون إحداث ذبذبات في هذين الوترين الصوتيين نتج عن ذلك ما يعرف بالصوت اللغوي المهموس . وعليه فإن الحكم على ما قبل منطقة الوترين الصوتيين في الجهاز الصوتي " فتحة المزمار " بأنها مخرج صوت ما قبل أن يتشكل النفس إلى صوت (مادة الصوت) هو حكم على شيء من الأشياء قبل أن لم يكن ، والقول به يقود إلى القول بالعدم ، كما أن العدم يؤدي إلى عدم مثله . فليس أمامنا إلا النظر إلى المرحلة التي أصبح فيها المعلوم موجوداً وهو ما بعد انفتاح منطقة الوترين الصوتيين حيث تشكل فيها النفس صوتاً وهنا - وليس قبل ذلك يمكن أن نبحث

³³ - Lieberman Ph., "Speech Physiology Speech Preception and Acoustic Phonetics. Cambridge Univ. Press 1st Edition Cambridge , 1988. P. 97

عن مخرج صوت لغوي ما (الهمزة أو غيرها) وهو ما يرجح - في رأيي - صواب نظرة القدماء الذين قدروا أن مخرج الصوت الهمزة العربية المحققة هو من أقصى الحلق من أسفله (أي مما يلي منطقة الوترين الصوتيين) وهي منطقة قريبة جداً من أقصى الحلق إن لم تكن - أصلاً - متداخلة معها .

ثانياً : مناقشة أقوال القدماء والمحدثين حول وصف الهمزة بالجهر من عدمه .

وصف القدماء من علماء اللغة العربية والنحو والمعجم صوت الهمزة بأنها صوت مجهور . يقول سيويه " فأما المجهورة فالهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والذال والزاي والطاء والذال والميم والواو فذلك تسعة عشر حرفاً " (٣٤) . وهذا ما نجده أيضاً عند ابن دريد في الجمهرة (٣٥) وابن جني في سر صناعة الأعراب (٣٦) ، والزمخشري في المفصل ، وابن يعيش في شرح المفصل (٣٧) وابن منظور في لسان العرب (٣٨) وابن الحاجب في شرح الشافية (٣٩) وابن الجزري في النشر (٤٠) . ويقصدون بالمجهور : ذلك الحرف الذي أشبع الاعتماد من موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت (٤١)

٣٤ - سيويه . الكتاب ٤٠٥/٢ .

٣٥ - ابن دريد . جمهرة اللغة . ٧/١ .

٣٦ - ابن جني . سر صناعة الأعراب ، ٦٨/١ وما بعدها .

٣٧ - ابن يعيش . شرح المفصل ١٢٦/١٠ .

٣٨ - ابن منظور . اللسان ١٣/١ .

٣٩ - رضي الدين محمد بن الحسن . شرح شافية ابن الحاجب ٢٥٨/٣ .

٤٠ - ابن الجزري . النشر ٤٤/١ .

٤١ - سيويه ، الكتاب ٤٠٥/٢ ، وانظر سر صناعة الأعراب ٦٨/١ وما بعدها .

فصار مجهورا بسبب رفع الصوت الذي حصل من الصدر بعد احتباس النفس فيه فهذه حال المجهورة في الخلق والفم إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير منهما غنة . وفي مقابل هذه الأصوات المجهورة هناك عشرة أصوات أخرى هي : الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والشين والتاء والفاء ويجمعها في اللفظ قولنا " ستشحتك خصفه " ويطلقون عليها الأصوات المهموسة ويقصدون بها " ذلك الحرف الذي أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه " أو لأن مخرجه دون الصوت المجهور وجرى معه النفس وكان دون المجهور في رفع الصوت . (٤٢) .

أما جمهور الباحثين المحدثين فيقررون أن الهمزة صوت غير مجهور ألبتة ويختلفون فيما بينهم بعد ذلك اختلافا ملحوظا . فمن قائل منهم بأن الهمزة صوت مهموس (٤٣) ، ومن قائل بأنها ليست بالمهموس ولا المجهور (٤٤) ، ويردون على من قال بأنها مهموسة " بأنهم ربما قصدوا بالهمس حينئذ عدم الجهر - وهو في اعتقادهم - رأي غير دقيق لأنهم (أصحاب هذا الرأي) لاحظوا المرحلة الثانية من نطق الهمزة وهي المرحلة التي تصاحب الانفجار ففي هذه الحالة تكون الأوتار في وضع الهمس ولكن هذا السلوك منهم - في نظر القائلين بأن الهمزة ليست بالمهموس ولا المجهور - غير دقيق بالنسبة لطبيعة الهمزة إذ الهمزة لا يتم نطقها بهذه المرحلة الثانية وحدها وإنما تتكون وتتم

٤٢ - نفس المرجع السابق . ٤٠٥/٢ .

٤٣ - حسان ، تمام ، مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط ٢ سنة ١٩٧٤م ، ص ٩٧ . وانظر الوجيز في فقه اللغة للأنطاكي ، دار الفكر ، بيروت . ط ٣ سنة ١٩٦٨م . ص ١٨٦ .

٤٤ - كمال بشر ، علم اللغة العام (الأصوات) ١١٢ وما بعدها ، وإبراهيم أنيس ، الأصوات النغمية ص ٩٠ وما بعدها .

بمرحلتين . المرحلة الأولى : مرحلة انطباق الوترين وفيها ينضغط الهواء من خلفها فينقطع النفس ، والمرحلة الثانية : مرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة محدثاً انفجاراً مسموعاً . وهاتان المرحلتان - في رأيهم - متكاملتان ولا يمكن الفصل بينهما أو النظر إلى إحدهما دون الأخرى . ولنا - والكلام لبعض الباحثين المحدثين - أن نقول على عكس ما يفترضون أن المرحلة الأولى وهي مرحلة قطع النفس أهم في تكوين الهمزة من المرحلة الثانية ومن ثم كانت تسميتها همزة القطع وفي هذه المرحلة الأولى تكون الأوتار في غير وضع الجهر والهمس معاً " (٤٥)

وهذا يعني أن هناك تعارضاً واضحاً بين ما قرره القدماء من جهرية الهمزة العربية وما توصل إليه بعض المحدثين من وصفها بالهمس أو أنها صوت لا مهموس ولا مجهور . وبالتدقيق في معظم ما نقل عن القدماء مقارناً بآراء بعض المحدثين في هذا الشأن يمكنني القول بأن آراء القدماء كلها حول الهمزة لم يعتمدها الاضطراب والخلط والخطأ - كما يزعم بعض المحدثين (٤٦) ، وقد تفسر آراؤهم فيما سنذكره من ملاحظات :

- ١ - الجهر والهمس في الأصوات اللغوية أثران صوتيان تستفتي فيهما الأذن بدرجة كبيرة والكلام عنهما كلام عن محور من محاور نظام اللغة ذي قطبين لا ثالث لهما . وهذا القطبان هما " الجهر والهمس " . وفي قول بعض الباحثين المحدثين : إن صوت الهمزة لا هو مجهور ولا مهموس

٤٥ - كمال بشر ، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١١٢ وما بعدها .

٤٦ - نفسه ، ص ١١٢ وما بعدها .

إلباس وإنشاء لقطب ثالث للمحور المذكور يتنافى إنشاؤه مع الاقتصاد المطلوب في تناول العلمي .

٢- اتفق القدماء من علماء اللغة العربية والنحو والقراءات - فيما نقلناه عنهم من أقوال - من لدن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٩هـ) ومن أتى بعده إلى ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) في منتصف القرن التاسع الهجري تقريبا على جهرية الهمزة ولم يخالف في ذلك أحد ممن يعتد برأيه في هذا الشأن . فدل ذلك على اتفاق عدد من العلماء العدول على ذلك بلغ حدا يستحيل على مثلهم الاتفاق على التخليط والكذب فيه . وقد قيل : إنه يقبل في اللغة نقل الواحد ، ولا يشترط أن يوافقه غيره في النقل ، لأن الموافقة لا يخلو إما أن تشترط لحصول العلم أو لغلبة الظن ، بطل أن يقال لحصول العلم لأنه لا يحصل العلم بنقل اثنين فوجب أن يكون لغلبة الظن . وإذا كان لغلبة الظن فقد حصل غلبة الظن بخبر الواحد من غير موافقة . وزعم بعضهم أنه لا بد من نقل اثنين كالشهادة وهذا ليس بصحيح (٤٧) ، وإذا كان هذا في نقل العدل الواحد فكيف بنقل ما ذكرناهم من النقلة العدول الأثبات .

٣- إذا كنا قد قبلنا كلامهم في مسائل النحو واللغة والتصريف ومخارج الأصوات وعن طريقهم عرفنا الأصوات المهموسة والمجهورة - مثلا - وبتعريفاتهم لهاتين المجموعتين ميزنا بين ما هو مهموس وما هو مجهور ، فلم ننسبهم إلى الخلط والخطأ وعدم الثبوت فيما هم ابتدعوه أصلا

٤٧ - السيوطي عبد الرحمن جلال الدين . الزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، الكتب العربية ١/١٣٨ .

وننال منهم وهم أهل الضبط والإتقان والصدق والأمانة والثقة والعدالة ، ونزعم جهلهم بما هم أعظم فهما ودراية منا به ونتسابق إلى تخطئتهم ورميهم بالصفات التي لا تليق بهم وبما قدموه دون أن نلتمس لهم عذرا وقد كانوا أعلم الأمة بعلمهم وأفقها وأتقاها وأفضلها ، فمن بعدهم أنقص . وقد علمنا أن الدواعي متوفرة على نقل لغة العرب والبحث عن أحوالها وروايتها جرحا وتعديلاً بل فحصوا عن ذلك وبينوه كما بينوا ذلك في رواية الأخبار^(٤٨) .

فلما لم ينقل نقلا عاما أصوات عربية ليست ساكنة صوامت ولا متحركة (حروف علة ولين أو مد) ولم يزد على أحرف الهجاء أكثر مما نقل علمنا يقينا عدم ذلك واستحالته وصارت تخطئتهم - دون ثبت - ضربا من رمي القول على عواهنه .

٤- إن مفهوم القدماء لمصطلح الجهر في الأصوات العربية قد اختلف - شيئا ما - عما فهمه المحدثون من المصطلح نفسه للأصوات ذاتها. نستبين ذلك مما صرح به بعضهم حيث قال : " والجهر : رفع الصوت ، والهمس إخفاؤه ، وإنما يكون مجهوراً لأنك تشيع الاعتماد في موضعه . فمن إشباع الاعتماد يحصل ارتفاع الصوت ، ومن ضعف الاعتماد يحصل الهمس والخفاء " (٤٩) وقال آخر " والجهر إشباع الاعتماد في مخرج الحرف ومنع النفس أن يجري ، معه والهمس بخلافه والذي يتعرف به تبيانهما أنك إذا كررت القاف فقلت ققق وجدت النفس

^{٤٨} - نفسه ١/١٢٠ .

^{٤٩} - رضي الدين الاسترأبادي . شرح الشافية ٣/٢٥٨ .

محصوراً لا تحس معها بشيء فيه وتردد الكاف فتجد النفس مقاوذا لها
ومساوقاً لصوتها " (٥٠) .

ومعنى ذلك أن الذي يميز بين صفتي الهمس والجهر في الأصوات
العربية عند القدماء هو انحباس النطق بالحرف (الصوت) في مكان التقاء
أعضاء النطق التي يخرج منها الصوت في الصدر والفم ، فيمنع من أن يجري مع
الصوت عند النطق منعاً كلياً أو جزئياً ، مما يؤدي إلى احتباس كمية من الهواء
في الصدر مسبباً ارتفاعاً ملحوظاً في طريقة النطق بالصوت عند السماح بجريان
هذا الصوت ، فالصوت عند السماح بجريان هذا الصوت . فالصوت الجهور -
عندهم - يحتاج للنطق به إلى رفع الصوت الذي يسببه تسرب النفس في
التجويف الصدري ، وهذا بخلاف الصوت المهموس الذي تقرب فيه حركة
مرور الهواء عند النطق به في سهولتها من حركة التنفس العادي ولا تتطلب رفع
الصوت ألبتة . وتصدق صفة الهمس - عندهم - على عشرة أحرف مهموسة
مجموعة في قولك " ستشحك خصفه " وتسعة عشر حرفاً مجهوراً في قولك "
ظل قو ربض إذا غزا جند مطيع " . بينما يذهب المحدثون إلى أن الجهر بالصوت
يعني اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق به اهتزازاً منتظماً محدثاً صوتاً موسيقياً
تختلف درجته حسب عدد هذه الاهتزازات أو الذبذبات في الثانية ، كما تختلف
شدته أو علوه حسب سعة الاهتزازة الواحدة . فالصوت الجهور هو الذي يهتز
معه الوتران الصوتيان ولا تصدق هذه العملية - عندهم - إلا على ثلاثة عشر
حرفاً صامتاً وهي (ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ظ ، ع ، غ ، ل ، م ، ن) وثلاثة
عشر حرفاً صامتاً مهموساً وهي (ت ، ث ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ط ، ف ، ق ،

٥٠ - ابن يعيش . شرح المفصل ١٠/١٢٨ .

ك، هـ) . وقد أسقطوا - وهم جمهورهم - الهمزة من الحكم عليها بالهمس أو الجهر وعاملوا الواو والياء (حرفي اللين) حروف علة وحكموا بجهريتها (٥١) وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اختلاف المقياس الذي استخدمه كل من القدماء والمحدثين في التعامل مع أصوات اللغة العربية في الحكم عليها بالجهر أو الهمس . وقد تمثل هذا المقياس عند القدماء في رفع الصوت بالجهر نتيجة لانحباس النفس حيث يحول الجهر بين كمية الهواء المحتبسة في الصدر وبين انطلاقها فيحدث الصوت أو خفائه في الصوت المهموس لجريان النفس معه عند النطق دون احتباس في الصدر . بينما تعد الأصوات مجهورة - عند المحدثين - إذا اهتز الوتران الصوتيان أثناء النطق بالصوت ، فإذا نطق بالصوت دون تذبذب الوترين الصوتيين عد الصوت مهموساً .

٥- لقد أدى اختلاف المقياس الذي استخدمه كل من القدماء والمحدثين في النظر إلى أصوات اللغة العربية - كما بينا سابقاً - إلى اختلاف في عددها وتداخل صفاتها وإسقاط لبعضها وهو ما يعني - إن صدق مقياس بعض المحدثين واتحد المصدر - أن ما كان قديماً مجهوراً قد صار حديثاً مهموساً . ومن هنا يمكننا القول : إنه إذا كان القدماء قد عدوا الهمزة صوتاً مجهوراً - كما يتضح ذلك من أقوالهم - وأثبتت التجارب الحديثة أنها مهموسة أولاً مهموسة ولا مجهورة فلربما أتاه ذلك بسبب أن نطق العرب بها آنذاك كان يخالف ما عليه وضعها اليوم ، وليس الهمزة بدعاً في ذلك فقد تغير نطق بعض الأصوات اللغوية العربية كذلك ووصفت مهموسة بعد أن كان مجهورة . ويعزز هذا الرأي

٥١ - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ١٩ وما بعدها .

ويقويه أنها قد تسهل أي أن إقفال الأوتار الصوتية قد لا يكون تاما حين النطق بها بل يكون إقفالا تقريبا ، وفي حالة التسهيل هذه يحدث الجهر ولكن الجهور حينئذ ليس وقفة حنجرية بل تضيقا حنجريا بأصوات العلة منه بهذا الصوت (٥٢) .

ثالثاً : مناقشة أقوال القدماء والمحدثين حول صلة الهمزة بحروف العلة واللين والمد :

أشرنا فيما سبق إلى أن الخليل بن أحمد في مقدمة كتابه (العين) وصف صوت الهمزة بأنه يخرج من أقصى الحلق مهوتا مضغوطا فإذا رفه عنه لان فكان نفسا ، وأنه في الهواء لم يكن له حيز ينسب إليه إلا الجوف ، وهو بذلك يشبه الواو والياء والألف اللينة وسميت هذه الحروف الأربعة حروفا جوفية لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة وإنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف .

ويبدو أن هذا المسلك من الخليل وبعض القدماء حول عد صوت الهمزة مع حروف العلة (الألف والواو والياء) ونسبة مخرجها إلى الجوف لم يعجب بعض الباحثين المحدثين فخطأوه ورموه بالاضطراب والتخليط وعدم الدقة ، حيث يذكر بعضهم (٥٣) أن الخليل ومن لف لفه من القدماء يرون أن الهمزة هوائية أو أنها من الجوف على حد تعبير بعضهم ، ولم يقتصر هؤلاء ومنهم الخليل على هذا الوصف بل جمعوها مع حروف المد الثلاثة (واي)

٥٢ - تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص ٩٧ .

٥٣ - كما بشر ، علم اللغة العام (الأصوات) ص ١١٢ وما بعدها .

ونسبوا جميعا إلى هذا المخرج الذي سموه الهواء تارة والجوف تارة أخرى .
وبالنظر الدقيق في جملة ما قاله هذا النفر بالنسبة لمخرج الهمزة يتضح أنهم
مخطئون في وضع الهمزة وفي تقدير موضع نطقها . فالهمزة ليست هوائية بالمعنى
الذي أرادوا (وهو كون الهواء يخرج حرا طليقا دون اعتراض حال النطق بها)،
لأن الهواء - كما ذكرنا سابقاً - يقابل باعترض تام في منطقة الحنجرة وذلك
بانطباق الوترين الصوتيين . وليس صحيحا أيضاً وضع الهمزة مع حروف المد
فهذه الأخيرة حركات طويلة على حين أن الهمزة صوت صامت وهذه الحروف
الثلاثة - دون الهمزة - هي التي يصح وصفها بأنها من الجوف أو بأنها هوائية.
ويعزو هذا الخطأ الذي وقع فيه الخليل ومن تابعه - كما يزعم - بأنه حين
نطقها لمعرفة طبيعتها لمن ينطقها وحدها ، وإنما نطقها متلوة بحركة فبدت كما
لو كان هواؤها حرا طليقا على حين أن حرية الهواء إنما تنسب إلى الحركة
المصاحبة للهمزة لا إلى الهمزة ذاتها . وهذا التعليل الذي تقدمه هنا ليس مجرد
افتراض وهمي - من وجهة نظره - وإنما هو في حقيقة الأمر يستند إلى طريقة
الخليل نفسه في ذوق الحروف فقد جرت عادة الخليل عند نطقه للحروف أن
يفتح فاه بالألف (الهمزة) ثم يأتي بالحرف المراد نطقه ساكنا هكذا : إ ب ،
إت هكذا حين يريد نطق الباء أو التاء ومعناه أنه في حالة نطق الهمزة أتى
بهمزتين الأولى هي الهمزة التي يأتي بها مع أي حرف آخر والثانية الهمزة التي
يريد نطقها لمعرفة خواصها واجتماع همزتين متتاليتين والأولى منهما متحركة
والثانية ساكنة - كما في حالتنا هذه - أمر فيه ثقل ومن ثم يحولون الهمزتين
همزة ممدودة (آ) وهذه الهمزة الممدودة هي في الواقع مكونة من همزة + ألف

أي فتحة طويلة وهو حركة لا همزة والواقع أن قضية الهمزة عند الخليل مضطربة أشد اضطراب أنه ينسبها إلى الهواء - كما رأيت - ويصنفها مع حروف المد في موضع واحد ولا يبدأ أبجديته الصوتية كما كان المفروض والمتوقع منه " (٥٤) .

بل قالوا : بانبات الصلة بين صوت الهمزة العربية والصوائت (حروف العلة واللين) (٥٥) .

وفي ظني أنه لم يظلم أحد في قضية لغوية مثلما ظلم الخليل وبعض القدماء في هذه المسألة وذلك من نواح عدة :

١ - أزعم أن بعض الباحثين - ومنهم من نقلنا كلامهم سابقا - لم يلموا - كاملا - بتصور الخليل وبعض القدماء عن صوت الهمزة العربية ولم يقفوا - غالبا - على آرائهم كلها عنها . ومن جملة آراء الخليل التي نسبت إليه وآراء من اقتفى أثره من القدامى يمكن أن نقول : إنهم قد نظروا إلى صوت الهمزة العربية من زاويتين :

أ - زوايا صوتية نظامية من حيث نظام الأصوات في اللغة العربية ، ومن هنا وجدناهم يتحدثون عن الهمزة كصوت مستقل في اللغة العربية له مخرج خاص به ، وموضع نطق ينطق به منه . قال الخليل : " وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت فصارت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح " (٥٦)

٥٤ - كمال بشر . علم اللغة العام (الأصوات) ١١٢ وما بعدها .

٥٥ - عبد الصبور شاهين . المنهج الصوتي للبنية العربية . ص ١٧٢ .

٥٦ - الخليل بن أحمد . العين ٥٨/١ .

وقال صاحب اللسان نقلا عن الخليل " الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق يصير همزة فإذا رفته عن الهمزة كان نفسا " (٥٧) .

وقال صاحب التهذيب نقلا عن الخليل أيضاً : " والياء والواو والألف منوطات بها (الهمزة) ومدارج أصواتها مختلفة . فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى ، ومدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين " (٥٨) .

وقال سيويه : " وأما الهمزة فبعد مخرجها ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجا وتجرى مجرى التهوع " .

وقال في موضوع آخر : " والهمزة أقصى الحروف وأشدّها سفولا وكذلك الهاء لأنه ليس في الستة الأحرف (يعني الحلقية) أقرب للهمزة منها وإنما الألف بينهما " (٥٩) .

وقال المبرد : " والهمزة - أعني المحققة - تحت الهاء والألف جميعا وهي أبعد الحروف وأثقلها مخرجا لأنها نبرة في الصدر " (٦٠) .

وقال الأزهري : " والهمزة كالحرف الصحيح غير أن لها حالات من التلين والحذف والإبدال والتحقيق ، تعتل فألحقت بالأحرف المعتلة الجوف ، وليست من الجوف إنما هي حلقية في أقصى الفم ولها ألقاب كألقاب الحروف الجوف " (٦١) .

^{٥٧} - ابن منظور ، اللسان (مادة هت) .

^{٥٨} - الأزهري ، التهذيب ٥١/١ .

^{٥٩} - سيويه . الكتاب ٢/١٦٧/٢ ، ٢٨٣/٢ .

^{٦٠} - المبرد ، المقتضب ٢٩٢/١ .

^{٦١} - ابن منظور ، اللسان ١٧/١ .

وقال ابن يعيش : " الهمزة حرف شديد مستقل يخرج من أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر ، إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستقل النطق به إذ كان إخراجهم كالتهوع ، فالهمزة نبرة شديدة في الصدر " (٦٢)
وقال ابن الحاجب : " الهمزة أدخل الحروف في الحلق ولها نبرة كريهة تجري مجرى التهوع " (٦٣) .

وجميع هذه الأقوال وغيرها يذهب إلى أن للهمزة مخرجها المعروف وهو أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر ، وتنطق على شكل نبرة صدرية شديدة كالتهوع . ولست أفهم بعد الذي نقلناه من آراء الخليل وبعض القدماء عن تحديد مخرج الهمزة ووصف كيفية النطق بها ، كيف تأتي لبعض الباحثين المحدثين - على نحو ما نقلناه عنهم - أن يتهموا بعض القدماء وعلى رأسهم الخليل بأنهم كانوا مخطئين في وضع الهمزة وفي تقدير موضع نطقها . فالخليل ومن رأى رأيهم من القدماء كانوا يدركون - على وجه العموم - مخرج صوت الهمزة ، وهو أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر ، وأنه أدخل الحروف في الحلق ، ويعلمون - على وجه التقدير - كيفية نطقها الذي يشبه نبرة شديدة من الصدر وتنتج على شكل التهوع .

ب- زاوية وظيفية أدائية (فنولوجية) تقوم على التغيرات الصوتية التي تطرأ على صوت الهمزة في الأداء بسبب الأصوات التي تجاورها أو تأتي بعدها ، وتأثيرها فيها حيث يتبادل صوت الهمزة مع إخوته أصوات حروف العلة واللين في طائفة عظيمة من السياقات في اللغة العربية دون

٦٢ - ابن يعيش ، شرح المفصل ، ب ٩/١٠٧ .

٦٣ - رضي الدين الاسترأبادي . شرح شافية ابن الحاجب . ٣١/٣ .

أن يتغير المعنى ، مما يؤكد أن هذه الأصوات الأربعة (الألف والواو والياء والهمزة) أصوات متماثلة صوتيا ، أو عبارة عن تنوعات صوتية Allophonic يقتضيها السياق الأدائي لصوت واحد " فونيم Phonem " في تغير حر أو توزيع تكاملي Complementary

. Distribution

من نحو :

الواو - همزة لوقوعها عينا لاسم فاعل فعل أعلنت فيه .	قائم _____	قاوم
الواو - همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة .	سماو _____	سماو
الواو - همزة لوقوعها عينا لاسم فاعل أعلنت فيه .	قائل _____	قاول
الواو - همزة ميل إلى الغلق المفاجئ لصوت المد .	نؤوم _____	نووم
الواو - همزة ميل إلى الغلق المفاجئ لصوت المد .	الجمونة _____	الجمونة
الياء - همزة لوقوعها عينا لاسم فاعل فعل أعلنت فيه .	سائر _____	سائر
الياء - همزة لوقوعها عينا لاسم فاعل أعلنت فيه .	بائع _____	بايع
الياء - همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة .	بناء _____	بناي
الألف - همزة لزيادة ألف قبل الآخر للمد .	صحراء _____	صحراا
الهمزة - ألف لسكونها وفتح ما قبلها .	فأس _____	فاس
الهمزة - ياء لسكونها وكسر ما قبلها .	بئس _____	بيس

وهذا التبادل الألفوني بين هذه الحروف (الألف والواو والياء) من جهة والهمزة من جهة أخرى مع بقاء المعنى في أمثال هذه الكلمات مما حفلت به مفردات اللغة العربية قد جعلت - فيما نظن - بعض القدماء من علماء اللغة العربية والنحو - ومنهم الخليل - يعدونها تنوعات ألوфонية allophonic لصوت واحد فونيم phonem يقتضيها السياق الأدائي ، ويطلقون عليها حروف العلة واللين ، وينظرون إليها على أنها مجموعة صوتية واحدة . وقد

ينوب بعضها عن بعض حسب مقتضيات السياق الأدائي دون أن يؤثر ذلك على المعنى سواء بسواء مثل النون في اللغة العربية - مثلاً - حين تنطق مظهرة أو مخففة أو مقلبة أو مدغمة بغنة ودون غنة .

ويظهر هذا الإجراء الصوتي أيضاً في بعض هذه الكلمات - وأمثالها شدة تأثر صوت الهمزة العربية بما يجاورها من الأصوات (صامتة أو متحركة) ، فقد أدى - مثلاً - ضم ما قبلها أو كسره أو فتحه إلى انقلابها صوتاً متحركاً خالصاً من نوع الحركة التي قبلها .

وقد اطرء - في المقابل - عن العرب قلب ألف التانيث همزة وذلك نحو حمراء وصفراء وصحراء وأربعاء وعשרاء ورحضاء وقاصعاء وما أشبه ذلك ... وكذلك كل ما وقع لامه ياء أو واو طرفاً بعد ألف زائدة ، وذلك مثل قضاء وسقاء وشفاء وكساء وشقاء وعلاء ، والأصل : حمراء وصحراء .. وقضاء ، وسقاء .. الخ فلما التقى ساكنان كرهوا حذف أحدهما فلكل منهما علة تصريفية تمنع ذلك ، حركوا الألف الآخرة لالتقائهما فانقلبت همزة . فالهمزة في الحقيقة إنما هي بدل من الألف والألف التي أبدلت الهمزة عنها بدل من الياء والواو (٦٤) ولعل هذا ما جعل سيويه يقول : تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف وهي إحدى الثلاث والواو والياء شبيهة بها أيضاً مع شركتهما أقرب الحروف منها " (٦٥)

٦٤ - ابن جني ، سر صناعة الأعراب . ٩٤/١ .

٦٥ - سيويه ، الكتاب ٢٨٥/٢ .

وقال ابن يعيش : " الهمزة نبرة شديدة والألف لينة فإذا سكنت الهمزة وأريد تخفيفها دبرها حركة ما قبلها ، فإن كان ما قبلها فتحة صارت الهمزة ألفا ، وإن كان ضمة صارت واوا ، وإن كان كسرة صارت ياء لأنك إذا خففتها فأنت تزيل نبرتها فإذا زالت نبرتها لانت وصارت جنس الألف لأنها أقرب الحروف من فوق ، وسوغ ذلك الضمة قبلها لأن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا ، وإذا انضم ما قبلها صارت واوا ، وإذا انكسر ما قبلها صارت ياء . كذلك الهمزة إذا لينتها صارت من جنس الألف لسكونها وقربها منها وتبعت حركة ما قبلها فصارت إليها " (٦٦) .

وكذلك وجدناهم يهمزون فيما اجتمع فيه واوان نحو قؤول ومؤونة في قوول وموونة ، بل ورد عنهم ابدال الواو المضمومة همزة وذلك نحو : قولهم في ولد : ألد ، وفي وجوه : أجوه وفي وعد : أعد ، وفي وقت : أوقت ، وما ذلك إلا لأن الواو ضعيفة تحذف وتبدل فأردوا أن يضعوها مكانها حرفا أجلد منها . وأبدلوا أيضاً الواو المكسورة فقالوا : اسادة في وسادة واعاء في وعاء وولدة والدة ووشاح واشاح ووقاء واقاء ، وأبدلوا المفتوحة فقالوا : أناة في وناة وأحد في وحد ، وأجم في وجم ، وأسماء في سماء ، وأرخ الكتاب وورخه ، وأكفت الدابة ووكفتها وأكدت العهد ووكدته وآخيته وواخيته ، وروى الفراء : ما أبهت له ، وقالوا : قائم وبائع فأبدلوا من الواو والياء ، بل عاقبوا بين الياء المفتوحة والهمزة روى الأصمعي : رجل يلمعي وألمعي ، ويقال : يللم والملم ، ورجل ألد وألدند ويقال للجلد الأسود يرندج وأرندج (٦٧) .

^{٦٦} - ابن يعيش . شرح المفصل ١٠٧/٩ .

^{٦٧} - هقنر ، أوغست . الكنز اللغوي . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٩٠٣ م . ص ٥٤ وما بعدها .

وذهبوا في كل كلمة ابتدأت بواووين إلى قلب الأولى منهما إلى همزة استثقالا لاجتماع الواوين من نحو : أولى في وولى ، وأواقي في وواقي (٦٨) .

ومنه نستنتج أن بين صوت الهمزة وأصوات المد (حروف العلة واللين) علاقة وقربى ومناسبة ومواخاة وهو (صوت الهمزة) وإن كان يعد - أصلا - حرفا ساكنا (صامتا) إلا أنه له حالات من التلين والإبدال والتحقيق يعتل فيها ومن أجل ذلك ألحق بالألف والواو والياء ويجرى مجراها (٦٩) .

قال ابن سيده : " إن الهمزة شبيهة بحروف العلة (الألف والواو والياء) من جهات الحذف وجعلها بين بين وقلبها على حركة ما قبلها . ومن أجل أنها من أقصى الخلق فإذا أبدلت أولا جرى اللسان إلى جهة القدم فهذا يطرد عليه الإبدال . فلاجتماع الشينين من مناسبة حروف العلة وأنها من أقصى الخلق يستمر بها اللسان لإخراج الحرف جاز أن تبدل من غيرها وأن يبدل بها غيرها (٧٠) (ومن بينها حروف العلة) إذا تقرر لدينا هذا وأنه إجراء صوتي يقتضيه مسلك الأصوات العربية الأدائي الفنولوجي في الحدث الكلامي وتقبله أنظمتها الصوتية واستعملته في طائفة عظيمة من السياقات - التي أشرنا إلى بعضها سابقا - منذ حقب طويلة من تاريخها ، فأين الخطأ الذي اقترفه الخليل ومن لف لفه من القدماء - حسبما يزعم بعض المحدثين - حينما ذكروا أن الأصوات الأربعة (الألف والواو والياء والهمزة) تمتاز بكثرة التغير والضعف والانقلاب في أثناء التصريف وسموها - لأجل ما ذكرنا - الأصوات " المعتلة " في مقابل الأصوات " الصحاح " ، وهو ما يؤكد - بكل وضوح - أن الخليل

٦٨ - ابن يعيش . شرح المفصل ١٠/١٠ .

٦٩ - ابن منظور ، اللسان ١٧/١ .

٧٠ - ابن سيده . المخصص ٢٦٧/١٣ .

ومن رأى رأيه من القدماء لا يقصدون بما قالوه الطبيعة الصوتية لهذه الأصوات فلكل منها مخرجه وصفاته التي لا يشركه فيها غيره وإنما يعنون بما ذكروا الإشارة إلى مسلكها الصرفي الذي يرى من تغير وانقلاب وسقوط وعلائق فنولوجية مشتركة من نحو ما نجد من تبادل كثير بين الهمزة من جانب وأصوات الصوائت وأشباهها (حروف العلة واللين) من جانب آخر في نحو ما رأينا من الكلمات التي ذكرنا طرفا منها ، وقد كان بعض القدماء يسقطونها من حروف المعجم ولا يعدونها معها ويعتدرون عن ذلك بعدم ثباتها على صورة واحدة إذ هي كثيرة التغير والحذف - على نحو ما رأينا وسنرى فيما بعد . ولهذا فإني أعتقد - على عكس ما يذهب إليه بعض الباحثين المحدثين (٧١) من التشكيك في الرواية - صحة ما نسب إلى الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغير والحذف ، ولا بالالف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ، ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء ، فوجدت العين أنصع الحروف فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف . وليس العلم بتقديم شيء على شيء لأنه كله مما يحتاج إلى معرفته فبأي بدأت كان حسنا وأولاها بالتقديم أكثرها تصرفا " (٧٢) .

٢- تأمل بعض القدماء من علماء اللغة العربية والنحو - ومنهم الخليل - حال حروف المد والعلة واللين فوجدوا مخرجهن كلهن من عند الهمزة. يقول الخليل عن أصوات المد الثلاثة (الالف والواو والياء) : " بأن أصلهن من عند الهمزة ، ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن

٧١ - كمال بشر . علم اللغة العام (الاصوات) ص ١١٢ ، وما بعدها .

٧٢ - السيوطي . المزهر ، ٩٠/١ .

انقطع أنفاسهن فرجعن إلى أصل مبتدأهن من عند الهمزة " (٧٣) .
وذكر سيبويه : أنه ليس شيء من الحروف أوسع مخارج من الواو
والياء والألف ولا أمد للصوت ، وهي حروف لين ومد ، ومخارجها
متسعة لهواء الصوت . فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا
حلق ، كضم غيرها فيهوى الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره
في موضع الهمزة . وإذا تفتنت وجدت مس ذلك وذلك قولك :
ظلموا ورموا وعمي وحبل . وزعم الخليل أن بعضهم يقول : رأيت
رجلاً فيهمز وهذه حبلاً وتقديرهما رجلع وحبلع فهمز لقرب الألف
من الهمز حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمز فأراد أن يجعلها همزة
واحدة ، وكان أخف عليهم ، وسمعناهم يقولون : هو يضربها فهمز
كل ألف في الوقف (٧٤) .

وهذا الذي ذهب إليه الخليل وبعض القدماء يفسر كثيراً من حالات
قلب حروف المد إلى همزة في العربية عند الوقف عليها . فهذه الحروف هي
أصوات مد ولين - على ما ذكر سيبويه ومخارجها متسعة لهواء الصوت . وليس
شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمد للصوت فإذا وقف عندها لم تضم
بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها فيهوى الصوت . إذا وجد متسعا حتى
ينقطع آخره في موضع الهمزة فقد سبق أن أشرنا إلى أن الياء والواو والألف
اللينة منوطات بها (الهمزة) ولذلك همزوا في نحو : شابة ودأبة ، والضالين

٧٣ - سيبويه ، الكتاب ، ٢/٢٨٥ .

٧٤ - سيبويه . الكتاب ٢/٢٨٥ .

وجان ، وزامها والأصل : شابة ودابة ، والضالين وجان وزامها . وأنشدوا
لبعضهم :

وبعد انتهاض الشيب من كل جانب على لمتى حتى اشعال بهميتها
يريد : اشعال فهمز .

وقال دكين الفقيمي :

راكدة مخلاته ومحبه وجله حتى ابيض مليه
يريد : ابيض فهمز .

وأنشدوا لكثير :

والأرض : أما سودها فتجللت بياضا ، وأما بيضها فادهامت
يريد ادهامت فهمز .

قال ابن جني : وقد كاد يتسع هذا عنهم . وحكى سيويه في الوقف
عنهم : هذه حبلاً يريد حبلى ، ورأيت رجلاً يريد رجلاً .
وأنشد أبو علي :

أحب المؤقدين إلى موسى

بهمز الواو في المؤقدين وموسى

وروا أن العجاج كان يهمز العالم والخاتم . وحكى اللحياني عنهم :
نار بالهمز وحكى بعضهم : قوقات الدجاجة ، وحلات السوق ، ورثأت المرأة
زوجها ولبأ الرجل بالحج (٧٥) .

وهذه الأمثلة وغيرها كثير توضح أن العربية قد مالت على السنة بعض
متكلميها من أبنائها إلى قلب الحركات القصيرة والطويلة (حروف المد) إلى

٧٥ - ابن جني . سر صناعة الأعراب . ٨٢/١ .

الهمزة لقرب ما بين الهمزة وهذه الحروف ، ولأنها أصوات ضعيفة واسعة المخرج لا تتحمل الحركة فإذا أريد تحريكها وزيد فيه قلبت إلى أقرب الأصوات منها ، وهي الهمزة ، فإذا نشأ في أثناء التصريف تتابع مستكره^(٧٦) من حروف العلة واللين والمد نحو " قائل وبائع في قاول وبائع ، وعجائز وصحائف في عجائز وصحائف ، وسماء وبناء في سماو وبناء ... وصحراء ومؤنة في صحراء ومؤنة.. الخ ، وقد سبق ذلك مالت إلى الهمز قال ابن يعيش : " الهمزة والألف تتقاربان في المخرج ، فالهمزة أدخل إلى الصدر ثم تليها الألف ، ولذلك إذا حركوا الألف اعتمدوا بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبوها همزة " .^(٧٧) ولقد أشار الخليل فيما نقله عنه الأزهرى إلى شيء من هذا عند ذكره انقلاب الألف اللينة إلى الهمزة واللين حينما قال : " فأما الألف اللينة فلا حرف لها ، إنما هي جرس مدة بعد فتحة فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضعفت عن احتمالها واستنامت إلى الهمزة والياء والواو كقولك عصابة وعصائب وكاهل وكواهل وسعلاة وثلاث سعليات فيمن يجمع بالتاء فالهمزة التي في العصائب هي الألف التي في العصابة والواو في الكواهل هي الألف التي في الكاهل جاءت خلفاً منها والياء التي في السعليات خلف من الألف التي في السعلاة ونحو ذلك كثير ، فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة والهمزة أقواها متناً^(٧٨) وهذا إنما يكون في حروف العلة التي هي الواو والياء والألف وفي الهمزة أيضاً لمقاربتها إياها وكثرة تغيرها وذلك نحو قام أصله قوم فالألف واو في الأصل وموسى أصله الياء ورامي وآدم أصل الألف الهمزة

^{٧٦} - المطلي . في الأصوات اللغوية . ص ٧٥ .

^{٧٧} - ابن يعيش . شرح المفصل ١٠٧/٩ .

^{٧٨} - الأزهرى ، التهذيب ٥١/١ وما بعدها .

وإنما لينت فاستحالت ألفا^(٧٩) إذا أدركنا هذا - وهو متحقق إن شاء الله - فإننا غير مطمئنين إلى قول بعض المحدثين بأنه لا علاقة صوتية مطلقا بين الهمزة وبين أصوات المد والعلّة ، فكل ما نعرفه عن هذه المسألة يوحى بالتباعد الذي ينفي إمكان وقوع الإبدال بين الهمزة من جانب وأصوات المد والعلّة من جانب آخر ، وهو قول أيضا - على حد زعمه - لا ينهض لتفسير مشكلة التغير الذي تتعرض له الكلمة العربية ، لأن هذا التغير خاضع لجملة من العوامل التي تتصل بخصائص النطق العربي الذي يميل - حسب زعمه - إلى إقفال بعض المقاطع المفتوحة ذات الحركات الطوال ، ويعمد من أجل تجنبها إلى همزها حين تكون في مواقع معينة ، وذلك للفرار من تتابع الحركات ومن ثم لتكوين مقطع عربي سليم^(٨٠) . وسواء أكان السبب إلى قلب حروف العلّة همزة هو ما ذكره أم لا فقد حدث على كل حال - حسب زعمه - تبادل بين هذه الحروف وبعضها الآخر ، وهو الأمر الذي نفاه في بداية كلامه ولم يجد أي علاقة صوتية تجمع بين حروف العلّة (الألف والواو والياء) من ناحية والهمزة من ناحية أخرى ، فوق أنه لم يقدم لنا تفسيراً مقنعاً لماذا عمد النطق العربي إلى إحلال صوت الهمزة محل حروف العلّة واللين في بعض السياقات ؟ والقدماء من علماء اللغة العربية والنحو قد نصوا صراحة - كما رأينا ذلك في أقوالهم - على هذا القلب وذكروا العلّة الداعية إليه وبينوا - بما لا مزيد عليه - أسباب الجنوح المفاجئ إلى غلق الحنجرة دون غيرها وقد سبق بيان ذلك .

٣- تعد الكتابة - بأنظمتها المختلفة - وسيلة ابتدعها الإنسان ليعبر بها عن الرغبة التي عرفها الفكر البشري في تسجيل أفكاره بطريقة متعارفة لرسم الصور الصوتية . فهي لم تكن تحليلاً صوتياً للكلام فقط وترجمة أمينة للأصوات ،

^{٧٩} - ابن يعيش . شرح المفصل ٧/٧ .

^{٨٠} - عبد الصبور شاهين . المنهج الصوتي للبنية العربية . ص ١٧٢ وما بعدها .

ومجرد نقل لما يتفوه به الكائن البشري ، بل هي ترمز للواقع الذي تريد تصويره. ويعتقد أن العبقورية السامية هي التي اكتشفت للعالم الأبجدية الهجائية فوضعت لكل صوت لغوي رمزا كتابياً خاصاً يقوم اختياره على معرفة تامة بالصفات الأساسية التي تكون في كل صوت على حدة وهذه الصفات لها الأثر البين في تشكيل الكلمات وتصنيفها والتي تميز صوتاً عن غيره^(٨١). والناظر في النظام الأبجدي لأصوات اللغة العربية يلاحظ أن هناك علاقة صوتية وثيقة بين صوت الهمزة وحروف العلة واللين والمد في الرسم الكتابي لأصوات اللغة العربية وذلك نحو "أسف - آسف ، سأل ، قرأ ، إمان - إيمان - سئم ، قريء . آتي --- أوتي ، سؤال ، سماؤها ... " جعلت الناظرين الأوائل (ابتداء من أبي الأسود ، ت ٦٩هـ إلى الخليل بن أحمد ، ت ١٧٠هـ) إلى النظام الكتابي لأصوات العربية يربطون بين صوت الهمزة وحروف العلة واللين والمد في الرسم الكتابي من حيث إن الهمزة في الأصل لا هجاء لها في الرسم الكتابي العربي إنما تكتب مرة ألفاً ومرة ياء ومرة واوا^(٨٢) . وحين وضع الخليل رمز الهمزة - مع ما وضعه من علامات للشكل في الرسم الكتابي العربي ، وهي التي عليها الناس الآن كالفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة والمدة - لم يستعمل هذا الرمز منفرداً إلا في حالات قليلة جداً ، بل أدخل على رموز الألف والواو والياء للتعبير عن صوت الهمزة مضافاً إليه التأثيرات المدية في الكلمة ، وهو ما لم يحدث في رمز أي صوت آخر . ولعله يشير إلى تلك العلاقة الفنولوجية بين الهمزة وحروف العلة واللين والمد . وكان أبو العباس المبرد يقول : الهمزة لا صورة لها وإنما تكتب تارة واوا وتارة ياء وتارة ألفاً ، فلا أعدها مع التي أشكاها محفوظة معروفة ، فهي جارية على

^{٨١} - إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ٩٣ وما بعدها .

^{٨٢} - الأزهرى . التهذيب ٥١/١ وما بعدها .

الألسن موجودة في اللفظ ، ويستدل عليها بالعلامات في الخط لأنه لا صورة لها ولهذا كان أبو العباس المبرد يسقطها من حروف المعجم ولا يعدها منها (٨٣) . ويرى ابن جني (٨٤) أن الألف التي في أول حروف المعجم ، هي صورة الهمزة ، وإنما كتبت الهمزة واوا مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز ولو أريد تحقيقهم البتة لوجب أن تكتب ألفا على كل حال بل يقال : إنها لم تذكر باسمها في حروف الهجاء ولم تسمع عن العرب ، واسمها الألف بلا خلاف ، وسمى بعضهم أول الحروف الألف المهموزة والألف المتحركة وذلك في نحو أخذ وسأل وقرأ تمييزا لها عن الألف الساكنة في نحو قال وسعى ، وتسمى الهوائية واللينية والهاوية . وعلى كل حال فالألف والهمزة ليسا حرفين تامين بل يعدان حرفا واحدا ، لأن الحرف التام يتعين له صورة في النطق وفي الكتابة معا ، ولكن الهمزة ذات صورة في النطق دون الكتابة والألف ذات صورة في الكتابة دون النطق (٨٥) .

وقد أطلق القدماء اسم الألف على الهمزة في كثير من المواضع لأنها تصور بصورة الألف ، فلفظها مختلف وصورتها وصورة الألف اللينة واحدة (٨٦) ومقارنة بين ترتيب الخليل وسيبويه للأصوات العربية نجد أن الخليل ومن رأى رأيه قد عد الألف من حروف الجوف التي لا تندرج في مدارج الحروف بل تخرج من الجوف ، بينما عدها سيبويه أول حروف الخلق ، وعلى ذلك جلة الأتمة وقد أراد سيبويه بها الألف المتحركة التي في أخذ وأكل ، وأراد بها الخليل الألف اللينة في قال ، ولم يهمل سيبويه الألف اللينة فعد الحروف معها

٨٣ - ابن يعيش . شرح المفصل . ١٢٦/١٠ .

٨٤ - ابن جني . سر صناعة ٨٢/١ وما بعدها .

٨٥ - رضا محمد ، معجم معن اللغة ، دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٣٧٧ هـ ١٣١/١ وما بعدها .

٨٦ - ابن يعيش ، شرح المفصل ١٢٦/١٠ .

تسعة وعشرين حرفاً^(٨٧) ، وهذا يعني أن الخليل كان يدرك أن الالف الجوفية ليست هي - بحال - الهمزة المحققة وإنما هي الهمزة المخففة التي تسلك في تصرفها الفونولوجي مسلك الصوائت ، وتجري مجراها فتُرسَم مرة ألفاً وأخرى ياء ، وتارات واوا ، وقد تكتب همزة مضافاً إليها التأثيرات المدية التي تسبقها ، يعزز هذا ويقويه ما ذهب إليه ابن درستويه فيما نقله عنه د. المطليبي حيث قال: "إن الخليل لما وضع رمز الهمزة لم يستعمله الناس وإنما كتبوا الهمزة على صورة أصوات المد الطويلة وصيروا ما وضعه الخليل شكلاً لها"^(٨٨) .

وهذا التأليف بين رموز الحركات قصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) وطويلة (حروف المد) ورأس صوت الهمزة للتعبير عن حقيقة هذا الصوت في الرسم الكتابي لأصوات العربية بحسب الموقع يؤكد صلة القربى بين الصوائت والهمزة . ومعنى هذا أن رموز الهمزة العربية في الرسم الكتابي (أ ، و ، ي) تدل على رموز الصائت القصير السابق لصوت الهمزة أو اللاحق لها . والتعليل المنطقي لهذا هو التأكيد - عن طريق الرسم الكتابي - على تلك العلاقة الصوتية التي تجمع بين صوت الهمزة وأصوات الصوائت في العربية ، وليس نظام الكتابة لأصوات العربية بدعاً في هذا فقد قيل : " إن الإملاء الآرامي - الذي يعتقد أن الخط العربي مشتق منه - يرسم الهمزة ألفاً دائماً ، وكل ألف فيه تشير إلى همزة إلا في أواخر الكلمات فإن الألف فيها حرف مد يشير إلى الفتحة الممدودة وإلى غيرها من الحركات الممدودة أحياناً"^(٨٩) .

^{٨٧} - رضا محمد ، معجم من اللغة . ١٣١/١ .

^{٨٨} - المطليبي . في الأصوات اللغوية . ص ١٢٠ .

^{٨٩} - براجستراسر . التطور النحوي . القاهرة سنة ١٩٢٩م ص : ٤٣ .

ومال الرسم الكتابي لكل من البابلية - الآشورية والآرامية (وهما من اللغات السامية القديمة) منذ حقب موغلة في القدم إلى إحلال الصوائت محل صوت الهمزة ، حيث طرحت الهمزة في كثير من المواقع وعوضت عنها بالصائت القصير السابق لها . بل إن الساميين القدماء الذين ينسب إليهم وضع الأبجدية قد رمزوا إلى صوت الهمزة بصوت (الألف) ، وقد حافظوا على كتابتها على هذا النحو حتى بعد أن سهلت في بعض اللغات السامية وأصبحت في النطق حرف مد (٩٠) .

وهذه العلاقة بين رمز صوت الهمزة ورموز أصوات الصوائت قديمة جدا في أنظمة الكتابة في اللغات السامية القديمة . فقد وجد أن الأوغاريتية - من اللغات السامية القديمة البائدة - استعملت في نظامها الكتابي أيضا رموزا متعددة لصوت الهمزة وفاقا لتأثيرات الصوائت المحيطة به إذ إن لصوت الهمزة فيها ثلاث اشارات صوتية مختلفة (أ ، يء ، و) على حين لم يكن للأصوات الأخرى سوى رمز واحد لكل صوت (٩١) .

إذا اتضح لنا هذا تفهمنا وجهة نظر الخليل بن أحمد ومن رأى رأيه حول هذه النقطة (وهي العلاقة التي تربط بين صوت الهمزة وحروف العلة واللين أو المد) سواء من ناحية المخرج أو السلوك الأدائي أثناء النطق ، كما أن الخليل بن أحمد وهو العالم الصوتي ذو الإحساس الموسيقي والواضع الحقيقي لنظام الشكل في الرسم الكتابي العربي لا يمكن - بحال - أن يتغافل عن موهبته الصوتية الموسيقية الفذة وهو يضع رمزا لصوت الهمزة العربية في ضوء سلوك هذا الصوت الأدائي أو يتجاهل جهود القدماء من أسهموا في الأبجدية الهجائية

٩٠ - المطلي . في الأصوات اللغوية ١٥٠ .

٩١ - المطلي . في الأصوات اللغوية ١٥٠ .

لأصوات اللغة وإلا لعد ذلك عيباً يلحق بعمل الخليل ويقلل من فاعليته ،
ويحسب عليه - عند بعض المحدثين - لعدم اطلاعه على ما قيل حول هذا
الصوت وغيره من أصوات اللغات السامية القديمة ، والعربية واحدة منها . ولنا
أن نتساءل - في ضوء ما سبق - أين انبثات العلاقة - التي يقول بها بعض
المحدثين - بين صوت الهمزة وحروف العلة واللين ؟ (٩٢) ، وهل يحق لنا بعد ما
قاله القدماء حول شدة هذا التبادل بينهما وعلمه أن يجزم بأن ما توصلوا إليه
من قواعد لا ينهض لتفسير مشكلة هذا التغير الذي تتعرض له الكلمة العربية
وأن الصرفيين القدماء لم يفصحوا عن الأسباب الحقيقية لقلب الواو والياء همزة
في كثير من الكلمات ولم يقدموا لنا تفسيراً علمياً مقنعاً له أساس من أي نظرية
صوتية . (٩٣) ؟

٤- يلاحظ من الأقوال المنسوبة إلى الخليل بن أحمد أنه ذكر في مقدمة كتابه
العين أن صوت الهمزة في الهواء لم يكن له حيز ينسب إليه إلا الجوف ،
وهو بذلك يشبه الواو والياء والألف اللينة ، وسميت هذه الحروف
الأربعة حروفاً جوفية ، لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من
مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، وإنما
هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف (٩٤) ، كما
ندرك ذلك مما رواه الليث عن الخليل حيث قال : " قال الخليل : في
العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاح ولها
أحياز ومخارج وأربعة هوائية ، وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة ،

٩٢ - عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية . ص ١٧٣ .

٩٣ - إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية . ص ٩٩ .

٩٤ - الخليل بن أحمد . العين ١/٦٤ .

ونسبوا إليه كذلك قوله " والياء والواو والياء والألف اللينة والهمزة ،
ونسبوا إليه كذلك قوله " والياء والواو والألف والهمزة في حيز واحد ،
لأنها لا يتعلق بها شيء ^(٩٥) . غير أنه ثبت في المقابل أيضا أن الخليل
قال : " وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا
رفه عنها لانت فصارت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة
الحروف الصحاح ^(٩٦) . وكان يقول : " الألف اللينة والواو والياء
هوائية أي أنها في الهواء " ^(٩٧) ، وهو يوافق تماما ما نسبته إليه الأزهرى
حيث قال : ... والواو والياء والألف ثلاثة في الهواء لم يكن لها حيز
تنسب إليه غيره " ^(٩٨) فأخرج منها الهمزة . والنص بتمامه ورد في
العين أيضا في موضع آخر باختلاف في العبارة بعد أن زيدت الهمزة
وسياق النص هكذا : " ثم الألف والواو والياء في حيز واحد والهمزة
في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه " ^(٩٩) ، وهذه الاختلافات في
الروايات المنسوبة إلى الخليل عن صوت الهمزة وأصوات حروف العلة
واللين والمد) قد جعلت بعض المحدثين يتهمون الخليل رحمه الله بأنه
خلط في نظره إلى الهمزة بين المعايير الصوتية والمعايير الصرفية الأمر
جعله يعد الهمزة من حروف العلة والمد - بمفهومهم الذي شرحناه فيما

^{٩٥} - نفسه ٦٤/١ .

^{٩٦} - ابن منظور ، اللسان (مادة هتت) .

^{٩٧} - الخليل بن أحمد . العين ٦٤/١ .

^{٩٨} - الأزهرى . تهذيب اللغة . ٥١/١ وما بعدها .

^{٩٩} - الخليل بن أحمد . العين ٥٦/١ .

سبق - مرة ثم يعود لنزعها من بينها مرة أخرى بل وجدنا من يقول منهم صراحة : " والواقع أن قصة الهمزة عند الخليل مضطربة أشد اضطراب أنه ينسبها إلى الهواء - كما رأيت - ويضعها مع حروف المد (بمفهومهم) في موضع واحد ولا يبدأ بها أبجديته الصوتية كما كان المفروض والمتوقع منه . ويقول في موضع آخر : " والحق أن موضوع الهمزة والألف في العربية يشكل صعوبة ظاهرة في الدرس اللغوي عندهم ، وقد خلط العلماء بينهما خلطاً واضحاً وأثرا فيهما بمناقشات تتسم بالغموض وعدم الإدراك الحقيقي لطبيعة هذين الصوتين " (١٠٠) ويمكن أن يجاب عن هذا الشكل الذي أثاره بعض المحدثين حول موقف الخليل وبعض القدماء من صوت الهمزة - على ما رأينا - من وجوه عدة أهمها :

١- أوضحنا - فيما سبق - أن الخليل قد نظر إلى الهمزة من زاويتين نظرة صوتية نظامية من حيث نظام الأصوات في اللغة العربية . ومن هنا تحدث عن الهمزة كصوت مستقل في اللغة العربية له مخرج خاص به ، وموضع نطق ينطق به منه وهو أقصى الحلق ، ونظرة أخرى وظيفية فنولوجية اعتمدت على التغيرات الصوتية التي تطرأ على صوت الهمزة في الأداء بسبب الأصوات التي تجاورها تأتي بعدها وتأثيرها فيها مما يؤدي إلى تبادل كثير بين الهمزة من جانب وأصوات الصوائت الطويلة وأشباهها من جانب آخر في كلمات كثيرة في اللغة العربية دون أن يتغير المعنى ، الأمر الذي يجعلنا نميل إلى عد هذه الأصوات الأربعة

١٠٠ - كما بشر . علم اللغة العام (الأصوات) ٩٧ ، ١١٢ .

(الألف والواو والياء والهمزة) تنوعات ألوфонية allophnic لفونيم Phonem واحد في العربية ، وقد سبق ايضاح ذلك في موضعه من هذا البحث . والحق أن من تأمل وضع الهمزة العربية ومسلكها التصريفي في طائفة عظيمة من السياقات يجد شباها بينها وبين الصوائت طويلة أو قصيرة وأشباهها من حيث تغير الهمزة وقلبها أحيانا إلى ياء أو واو أو ألف أو سقوطها وهو ما لم يحدث مثله في الأصوات الأخرى الباقية ، وهذا أمر ثابت وملاحظ من أحوال الهمزة في النظام الصوتي للغة العربية يدركه الباحث المدقق بأدنى نظر وتأمل ، فلم هذا الإنكار والاستغراب من قبل بعض المحدثين أن يقول الخليل ومن لف لفه ما قالوه عن وجود علاقة ما بين صوت الهمزة وأصوات الصوائت في اللغة العربية وأن يصنفوها - ولو بوجه - معها ؟ (١٠١) .

٢- يلاحظ من أقوال القدماء - كما رأينا فيما سبق - أن هناك أنواعا متعددة لما يسمى بصوت الألف في النظام الهجائي لأصوات اللغة العربية . فمنها الألف المتحركة ومنها الألف اللينة ومنها الألف الساكنة ومنها ألف التأنيث ومنها الألف الزائدة ... الخ . ويهنا ههنا الوقوف على مقصود الخليل وبعض القدماء من الألف اللينة والمتحركة والساكنة عله يكشف لنا بعض معالم الحقيقة فيما نحن بصددده . فقد روى الأزهرى عن الخليل قوله : " حروف العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا لها أحياء ومدارج ، وأربعة أحرف يقال لها جوف . والواو أجوف ومثله الياء والألف اللينة والهمزة سميت

١٠١ - المرجع السابق ص ١١٢ وما بعدها .

جوها لأنها تخرج من الجوف فلا تخرج في مدرجة وهي في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف " ، وكان يقول : " الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء ^(١٠٢) وكان الخليل يسمي هذه الحروف حروفا ضعيفة هوائية ^(١٠٣) . والهمزة وإن كان لها مخرج تنسب إليه وتنتج منه إلا أنها تشترك مع الأصوات الصائتة في المسلك التصريفي الفونولوجي، وتتبادل معها المواقع في طائفة من السياقات من غير أن يتغير المعنى - على ما أوضحناه فيما سبق - والمتقدمون جميعهم كانوا يعرفون أن الألف هو الاسم القديم لنطق الهمزة . قال ابن جني : " اعلم أن الألف في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة ، وإنما كتبت الهمزة واوا مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز ولو أريد تحقيقها ألبتة لوجب أن تكتب ألفا على كل حال . وكان أبو العباس يعد حروف المعجم ثمانية وعشرين حرفا ويدع الألف من أولها ويقول : هي همزة لا تثبت على صورة واحدة وليست لها صورة مستقرة . ^(١٠٤) ويقول الرازي في الحروف : " الألف في الحقيقة ما كان ساكنا والمتحرك همزة ، وقد يقال للمتحرك ألف بطريق التوسع ^(١٠٥) " ، أما التي في نحو " قام وسار وكتاب وحمار " فصورتها أيضا صورة الهمزة المحققة التي في أحمد وإبراهيم وأترجة إلا أن تلك الألف لا تكون إلا ساكنة فصورتها وصورة الهمزة المتحركة واحدة وإن اختلف مخرجاها

^{١٠٢} - الأزهرى . تهذيب اللغة . ٥١/١ وما بعدها .

^{١٠٣} - ابن منظور ، اللسان . ١٣/١ .

^{١٠٤} - ابن جني . سر صناعة الأعراب ٤٢/١ وما بعدها .

^{١٠٥} - الرازي ، في الحروف ، تحقيق رمضان عبد التواب . مكتبة الخانجي القاهرة ، ط ١ ، ص ١٣٤ .

حيث إن مخرج الألف المتحركة التي هي همزة من الصدر ومخرج الألف الساكنة فوقها من أول الحلق (١٠٦) . والظاهر في ترتيب سيبويه لحروف الهجاء أن الألف أول حروف الحلق وعلى ذلك جلة الأئمة لكن الخليل بن أحمد في العين وابن سيده في المحكم عداها بين الحروف الجوف التي لا تدرج في مدارج الحروف بل تخرج من الجوف ، وأراد سيبويه بها الألف المتحركة (في أخذ) وأراد بها الخليل الألف اللينة (في قال) ولم يهمل سيبويه الألف اللينة فعد الحروف معها تسعة وعشرين حرفا واصطلح الناس على عد اللام ألفاً من حروف الهجاء فعدوها تسعة وعشرين حرفا وإنما أرادوا بها الألف اللينة الهوائية فقرنوها باللام (١٠٧) .

٣- وما يؤكد الصلة بين صوت الهمزة وأصوات حروف العلة واللين والمد (الألف والواو والياء) في النظام الصوتي العربي تلك القواعد التي سجلها بعض قدماء اللغويين والقراء في طرائق النطق بصوت الهمزة حيث نلاحظ إشاراتهم - في أكثر من موضع - إلى أن صوت الهمزة صوت ضعيف يتأثر بنوع الحركة التي تكتفه سواء بسواء مثل حروف العلة واللين والمد في النظام الصوتي العربي . والقاعدة المشهورة عندهم هي أن الهمزة إذا خففت فإما أن تكون ساكنة أو متحركة فالساكنة تبدل بحرف حركة ما قبلها (١٠٨) إذ حرف العلة أخف منها - قولا واحدا - وخاصة حرف علة ما قبل الهمزة من جنسه ، وإذا كان قبلها

١٠٦ - ابن جني . سر صناعة الأعراب ٤٨/١ .

١٠٧ - محمد رضا . معجم من اللغة ١٣١/١ وما بعدها .

١٠٨ - سيبويه ، الكتاب ١٦٤/٢ .

متحرك فتسع - كما ذكر ابن الحاجب - مفتوحة وقبلها الثلاث
ومكسورة كذلك ، ومضمومة كذلك نحو سأل ومائة ومؤجل وسنم
ومستهزئين ورؤوس فنحو مؤجل واو ونحو مائة ياء ونحو مستهزئون
وسئل بين بين المشهور وقيل : البعيد ، والباقي بين بين المشهور (١٠٩)
فإذا التقى همزتان في الكلمة العربية الواحدة فلا تخلو الهمزتان إما أن
تكون الأولى متحركة والثانية ساكنة أو بالعكس أو تكونا متحركتين
فإن كانت الأولى متحركة والثانية ساكنة أبدلت الثانية من جنس
حركة الأولى نحو آمنت أو من إيماناً ، وإن كانت الأولى ساكنة والثانية
متحركة ولا تكونان إلا في موضع اللام أو العين فإن كانتا في موضع
العين أدغمت الأولى في الثانية نحو سأل مبالغة في السؤال . وإن كانتا
في موضع اللام أبدلت الثانية ياء مطلقاً مثل قرأي مثال قطر من قرأ ،
وإن كانتا متحركتين فإن كانتا في الطرف أو كانت الثانية مكسورة
أبدلت ياء مطلقاً وإن لم تكن طرفاً وكانت مضمومة أبدلت واوا مطلقاً
وإن كانت مفتوحة فإن انفتح ما قبلها أو انضم أبدلت واوا وإن انكسر
أبدلت ياء (١١٠) .

وعند القراء أن اجتماع الهمزتين على ضربين : ضرب لم يختلف في
تخفيف الثانية فيه وذلك إذا كانت الثانية ساكنة نحو : " آمن " كلهم على
تخفيف الثانية وإبدالها بالفاء إذا انفتح ما قبلها ، وبياء إذا انكسر ما قبلها ،
وبواو إذا انضم ما قبلها وعلى ذلك لغة العرب فيها قد رفضوا استعمال تحقيق
الثانية في هذا النحو حيث وقع . والضرب الثاني : اختلف العرب والقراء في
تحقيق الثانية وتخفيفها فيه ، وهو كل همزتين اجتماعاً ، ويجوز أن تنفصل الأولى

١٠٩ - رضي الدين الاسترأبادي . شرح الشافية ٤٤/٣ وما بعدها .

١١٠ - الحملاوي ، أحمد ، شذا العرف في فن الصرف . المكتبة الثقافية . بيروت لبنان ص ١٤٠ .

من الثانية نحو " جاء أحدهم وهؤلاء إن كنتم ، ويشاء إلى وشبهه . أما ما كان التخفيف في كلمة والثانية ساكنة فقد سبق أنها تبدل من جنس حركة الحرف الذي قبلها . وما كان من التخفيف فيما هي من كلمة وكلاهما مفتوح فإنك تجعل الثانية بين الهمزة والألف .. وأما ما كانت الهمزة الثانية في كلمة مكسورة أو مضمومة والأولى مفتوحة فإنها تجعل في التخفيف المكسورة بين الهمزة والياء مضمومة بين الهمزة والواو والمفتوحة بين الهمزة والألف وذلك نحو " إند ، أولقي " وشبهه . وأما ما كان من كلمتين على اتفاق الحركة بالكسر أو الضم فإنه إذا خففت الأولى جعلت بين بين أيضاً وبين الهمزة والياء نحو " هؤلاء إن كنتم " والمضمومة بين الهمزة والواو نحو " أولياء أولئك " فإذا خففت الثانية فكذلك أيضاً مثل تخفيف الأولى . وأما ما كان من كلمتين باتفاق الحركة بالفتح فإنه إذا خففت الثانية جعلت بين بين (بين الهمزة والألف) وعن ورش أنه يبدل من الثانية ألفاً والأول أقيس . وأما ما كان من كلمتين باختلاف حركة الهمزة فإنك إذا خففت الثانية وقبلها حركة جعلتها بين بين إن كانت مضمومة فبين الهمزة والواو نحو " شهداء إذا حضر " فإن كانت الهمزة الثانية مفتوحة وقبلها ضمة أبدلت منها واواً مفتوحة نحو " من الشهداء أن تضل " (١١) .

ولعلنا نلاحظ - في ضوء ما سبق - أن صوت الهمزة في اللغة العربية صوت يتأثر بصوت المد الذي يكتنفه فينحى به ناحية حرف الحركة التي هي من جنسه أو يقرب به منه على نحو بينه وبين حرف الحركة الذي قبله . وهذه الهمزة المليئة تشبه - تقريباً - في نطقها نطق أصوات العلة والمد - على ما سنراه في التسجيلات الطيفية فيما بعد - إلا أنها تحمل مع ذلك شيئاً من التوتر . وسميت همزة بين بين لأنها تقع بين الحلق وجوف الفم أي بين الحروف

١١ - مكى بن أبى طالب . الكشف ٧٠/١ وما بعدها .

الحلقية والحروف الجوفية (١١٢) . وقد يسقط صوت الهمزة سقوطاً تاماً سواء بسواء مثل أصوات العلة واللين والمد نحو يعد ويصل إذا وقع بين حركتين . وقد شهد السياق الاستعمالي لأصوات العربية شيئاً من ذلك فيما أطلق عليه " همزة الوصل " . غير أن سقوط صوت الهمزة هذا يكون مصحوباً بسقوط الحركة القصيرة المرتبطة بها . وقد يطرد هذا الأمر مع همزة القطع أيضاً في بعض قراءات القرآن الكريم حيث جنحت إلى السقوط من الكلام مع الحركة المصاحبة لها ويمكن ملاحظة ذلك فيما نقل أن ورشا من القراء ينقل حركة الهمزة إلى الساكن الذي قبلها فيحركه بحركته ويسقطها في جميع القرآن (صورة رقم ٨) . ووقوع هذا الساكن قبلها على ضربين أحدهما : أن تكون معه في كلمة واحدة . والثاني : أن يكون في كلمة والساكن في كلمة أخرى قبلها . فأما كونها معه في كلمة واحدة فمثل : لام المعرفة كقوله " الاسماء " و " الآخرة " و " الإنسن " و " والأذن بالأذن " وما أشبه هذا فهو ينقل حركة الهمزة إلى اللام قبلها ثم يسقطها حيث وقع . وأما كون الهمزة في كلمة والساكن قبلها في كلمة أخرى فمثل " لأي يوم أجلت " وما أشبه هذا فهو ينقل حركة الهمزة إلى التنوين ثم يسقطها حيث وقع ، ونحو " قد أفلح المؤمنون " و " أن أرضعيه " ... وما أشبه هذا حيث ينقل حركة الهمزة إلى الحرف الساكن الذي قبلها ثم يسقطها حيث وقع (١١٣) .

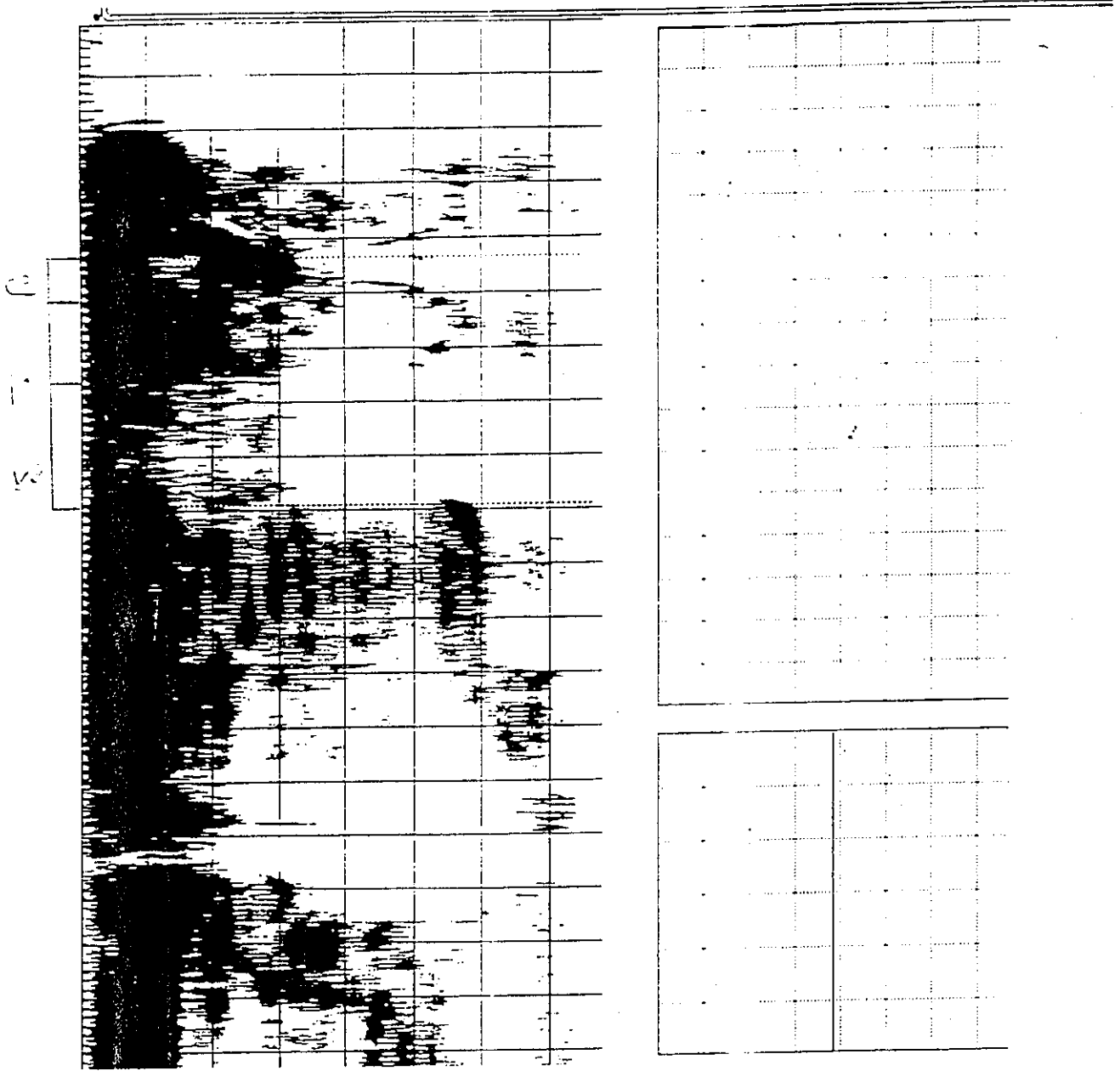
ويؤكد هذه العلاقة بين صوت الهمزة وأصوات العلة واللين والمد في العربية ما روى عن بعض قراء القرآن الكريم من النزوع بالهمزة الساكنة وربما المفتوحة إلى التأثر بصوت الحركة السابقة لها فتسقط هذه الهمزة ويستغنى عنها

١١٢ - الطلبي في الأصوات اللغوية ، ص ٢٧٧ .

١١٣ - ابن غلبون ، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم . التذكرة في القراءات الثمان ، تحقيق أيمن رشدي سويد

نشر الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمكة ، ط ١ ، سنة ١٤١٢ هـ ، ١/٢٢٣ وما بعدها .

صورة رقم (٨)



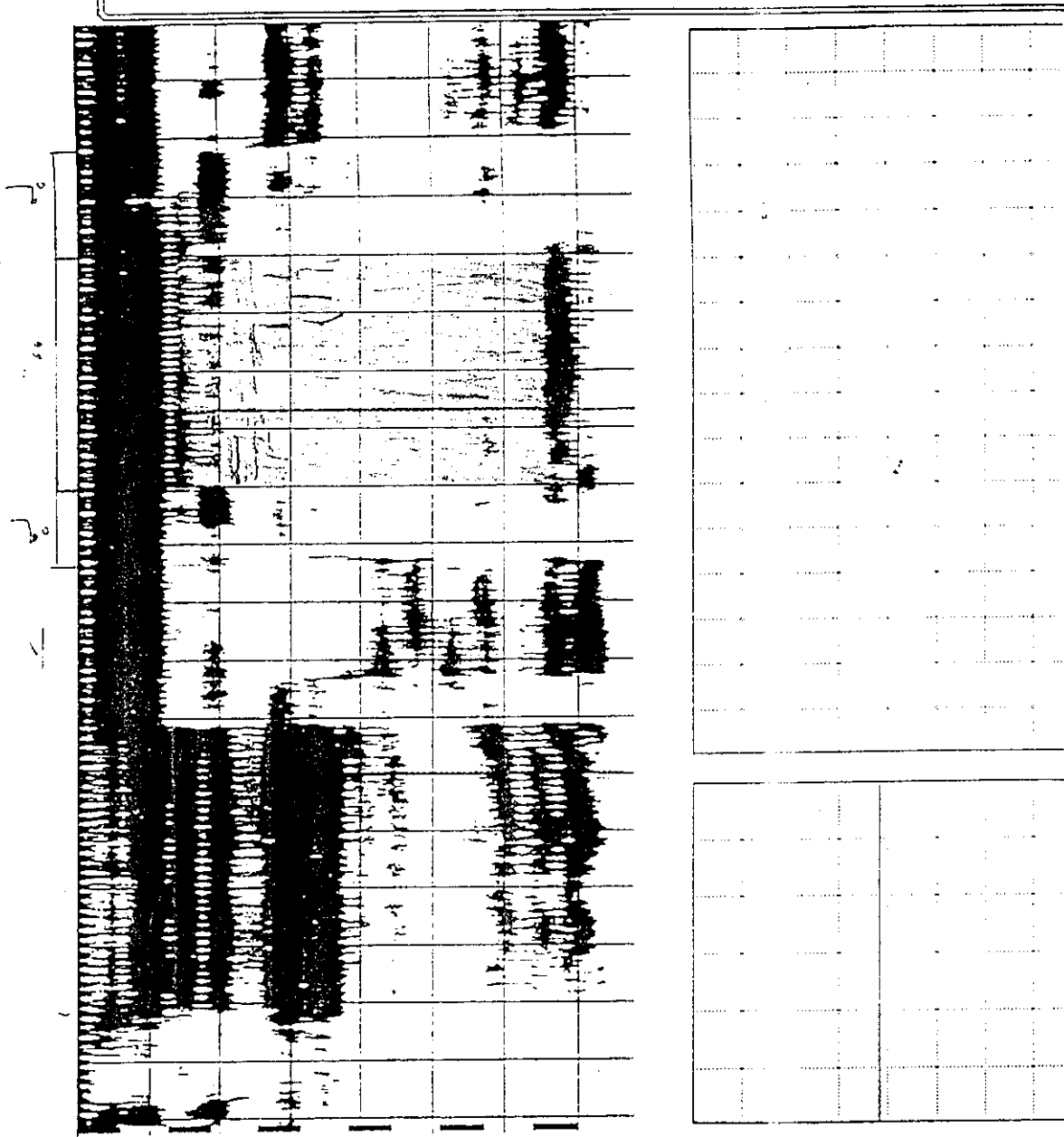
هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة بعد حذفها ونقل
حركتها إلى الساكن قبلها في قوله تعالى " قل أذن خير لكم .. " التوبة (٦١)
بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية ورش عن عاصم .

بصوت الحركة السابقة لها بعد الزيادة في طولها (صورة رقم ٩ ، ١٠) فقد روي السوسي عن اليزيدي أنه كان يترك كل همزة ساكنة كقوله " يومن - البقرة ٢٣٢ " و " براس - الأعراف ١٥٠ " و " بير - الحج ٤٥ " و " لقاءنا انت - يونس ١٥ " و " الذي اوتمن - البقرة ٢٨٣ " و " يصالح ايتنا - الأعراف ٧٧ " وما أشبه هذا فيبدل منها ألفا إذا انفتح ما قبلها ، وياء ساكنة إذا انكسر ما قبلها ، وواو اسكنة إذا انضم ما قبلها في جميع القرآن إلا في خمسة وثلاثين موضعا مذكورة في مواضعها من كتب القراءات ، وكان الأعمشى يترك الهمزات السواكن من الأسماء والأفعال في جميع القرآن وذلك نحو المؤمنون - البقرة ٢٨٥ " و " الذيب - يوسف ١٣ " و " ماواكم - العنكبوت ٢٥ " و " يومنون - البقرة ٣ " و " تاكلون - آل عمران ٤٩ " و " يوتي الحكمة آل عمران ٢٦٩ " ويترك الهمزات المتحركات في مواضع مخصوصة من نحو قوله تعالى " لا تؤاخذنا - البقرة ٢٨٦ " و " المولفة - التوبة ٦٠ " و " من تاخر فلا اثم عليه - البقرة ٢٠٣ " (١١٤) ، وما ذلك إلا لأن الهمزة حرف - كما قالوا - بعيد المخرج لا يشركه فيه إلا الهاء من الصوامت فيبدل مكان الهمزة الساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف وهي إحدى الثلاث والواو والياء شبيهة بها أيضاً مع شركتهما أقرب الحروف منها (١١٥) .

١١٤ - نفسه ١٣٧/١ - ١٤٣ .

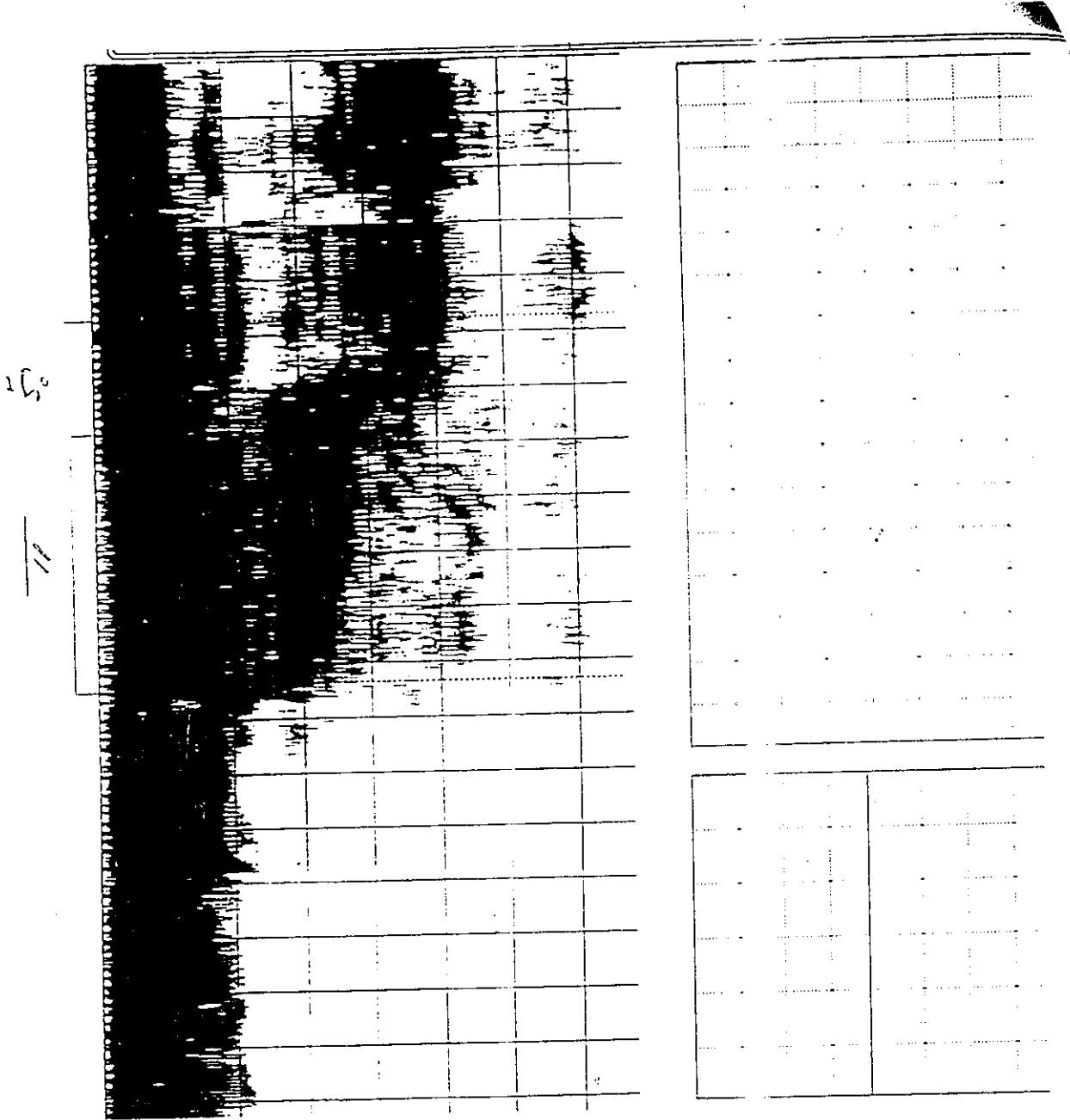
١١٥ - سيبويه . الكتاب ١٦٤/٢ وما بعدها .

صورة رقم (٩)



هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية أخذت لنطق صوت الهمزة بعد تخفيفها في الآية الكريمة : " والمؤمنون والمؤمنات " التوبة ٦ بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٠)



هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية للنطق بصوت الهمزة في كلمة
"يأمرون " بعد تخفيفها في الآية الكريمة " يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر
... " التوبة ٧١ .

ولعل في هذه الأقوال وغيرها بعض ما يرد به على من ذهب من بعض المحدثين إلى القول - باطمئنان حسب زعمه (١١٦) - إلى انبثات الصلة ما بين صوت الهمزة وبين أصوات العلة واللين في اللغة العربية . فكل ما سبق يؤكد تلك العلاقة القوية بين أصوات العلة واللين والمد من جهة وصوت الهمزة من جهة أخرى ، الأمر الذي جعلها تتداخل - فونيميا - ويحل بعضها محل بعض في سياقات كثيرة دون أن يتغير المعنى - كما أوضحنا ذلك سابقاً .

٤- سبق أن أوضحنا أن هناك شبيهاً واضحاً بين صوت الهمزة وأخواتها من حروف العلة واللين أو المد من حيث التغير والانقلاب والسقوط ، على الرغم من أنه صوت صامت له مخرج وموضع ينطبق به منه ، وقد يتبادل مع حروف العلة واللين والمد مواقعها حينما يحدث نتيجة انغلاق فجائي في التجويف الحنجري عند زيادة المد ، بأصوات العلة والمد مما استنتجنا منه حينئذ تقارباً فونيميا شديداً بين الخصائص الصوتية لهذه المجموعة من الأصوات في اللغة العربية . بالحركات التي تكتنفه ، حيث ينزع إلى التأثير بها فيلحقه بعض خصائص الصوائت المرتبطة به . ففي كثير من الصور المرفقة (الرقم ١ - ٤) نجد أيضاً أن صوت الهمزة يشبه في مسلكه الصوتي الأدائي أصوات الحركات الطويلة في بعض الأحيان . وقد تجلّى ذلك - بوضوح - في صور التسجيلات الطيفية التي أخذت لقراءة الهمزة في بعض آيات القرآن الكريم بصوت القارئ محمود خليل الحصري برواية ورش عن عاصم حيث قرأ " يامرون " في " يأمرهم - التوبة (٧١) و " المؤلفه قلوبهم " في " المؤلفه قلوبهم التوبة ٦٠ " و " المومنون والمومنات "

١١٦ - عبد الصبور شاهين . المنهج الصوتي للبنية العربية ص ١٧٢ .

في " المؤمنون والمؤمنات - التوبة ٧١ " ، وذلك بحركة طويلة في الهمزة الساكنة المسبوقة بفتحة أو ضمة أو كسرة ، وبشبه حركة في الهمزة المتحركة المسبوقة بضمة في " المؤلفه " كما أظهرت صور التسجيلات الطيفية المرافقة التي أخذت للقراءة بالهمزة في بعض آي القرآن الكريم بصوت الشيخ محمود خليل الحصري برواية ورش عن عاصم سقوط صوت الهمزة بعد الاستغناء عنها ونقل حركتها إلى الصامت الساكن قبلها (الرقم ١٢) مما يعني شدة شبهها بأصوات العلة واللين والمد في كثرة التغير والانقلاب والسقوط وعدم ثباتها على صورة واحدة في معظم أحوالها . ولعل هذا ونحوه هو الذي سوغ للقدماء من علماء اللغة العربية والنحو عد صوت الهمزة مع أصوات (الألف والواو والياء) وأطلقوا عليها جميعا مصطلح (الأصوات المعتلة) (١١٧) وذلك لأن التغير والاعتلال والانقلاب بل والسقوط أحيانا - كما رأينا - لا يكون في جميع كلام العرب إلا في أحدها تعتل الياء والواو وقد تقلبان ألفا مرة وهمزة مرة نحو كال وقال وسقاء ودعاء ، وتنقلب الهمزة ياء مرة وواو مرة وألفاً مرة فتقول : راي وبوس وبير ، (١١٨) وهوما يجعلنا - بطريقة أو بأخرى - نميز بين هذه الأصوات الأربعة (الهمزة والألف والواو والياء) وأصوات الحركات الخالصة (حروف المد) ، وهو ما كان واضحا تمام الوضوح عند سلفنا من علماء اللغة العربية والنحو وهم يتحدثون عن أصوات العلة الأربعة ويفرقون بينها وبين أصوات الحركات (حروف المد) وعليه يسقط اعتراض بعض (١١٩) المحدثين على القدماء من علماء اللغة والنحو - وفي مقدمتهم الخليل - من

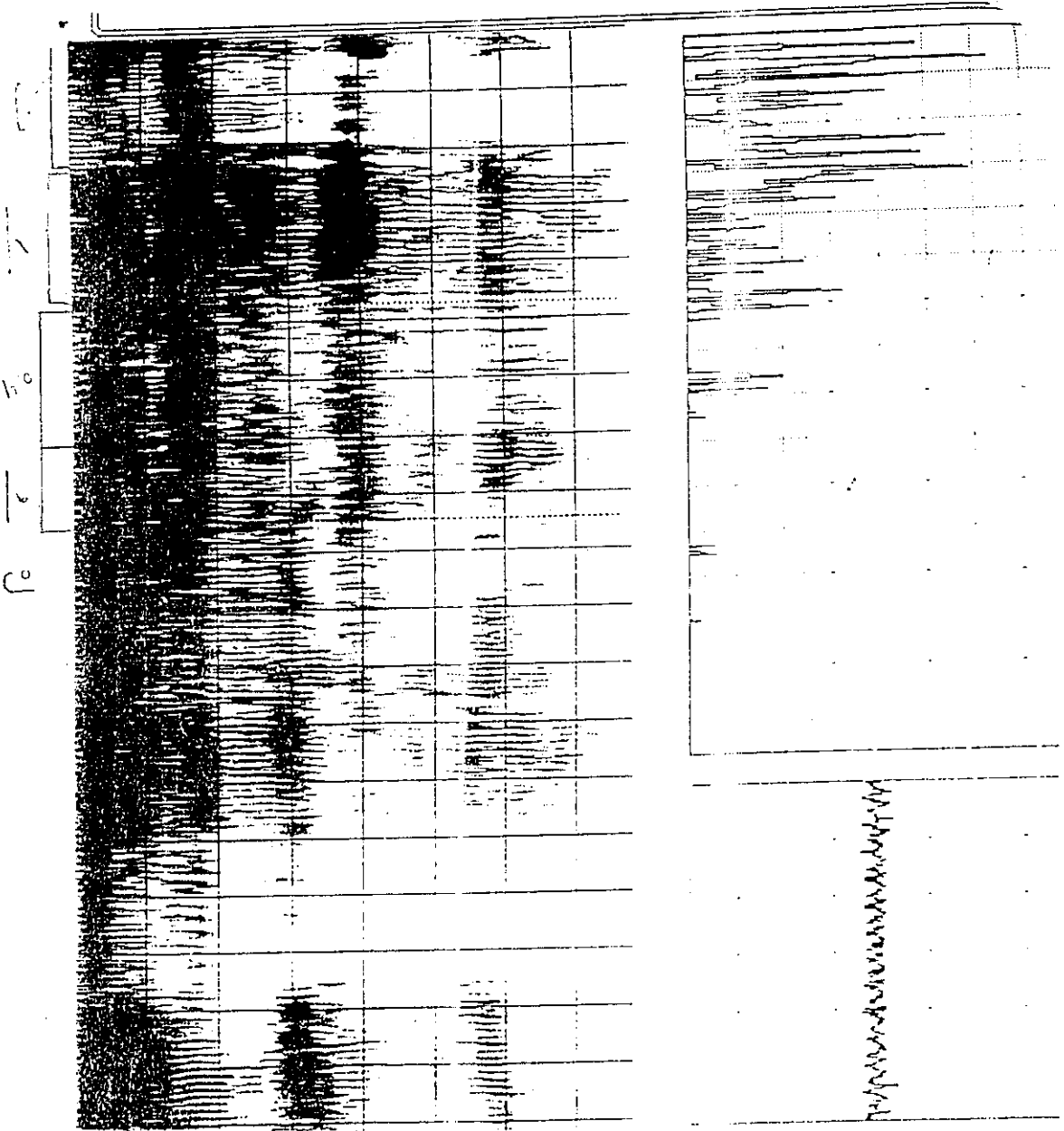
١١٧ - الأزهرى . تهذيب اللغة ٥١/١ وما بعدها .

١١٨ - المطلي . في الأصوات اللغوية . ص ٩٦ .

١١٩ - كمال بشر . علم اللغة العام (الأصوات) ص ١١٢ وما بعدها .

صورة رقم (١١)

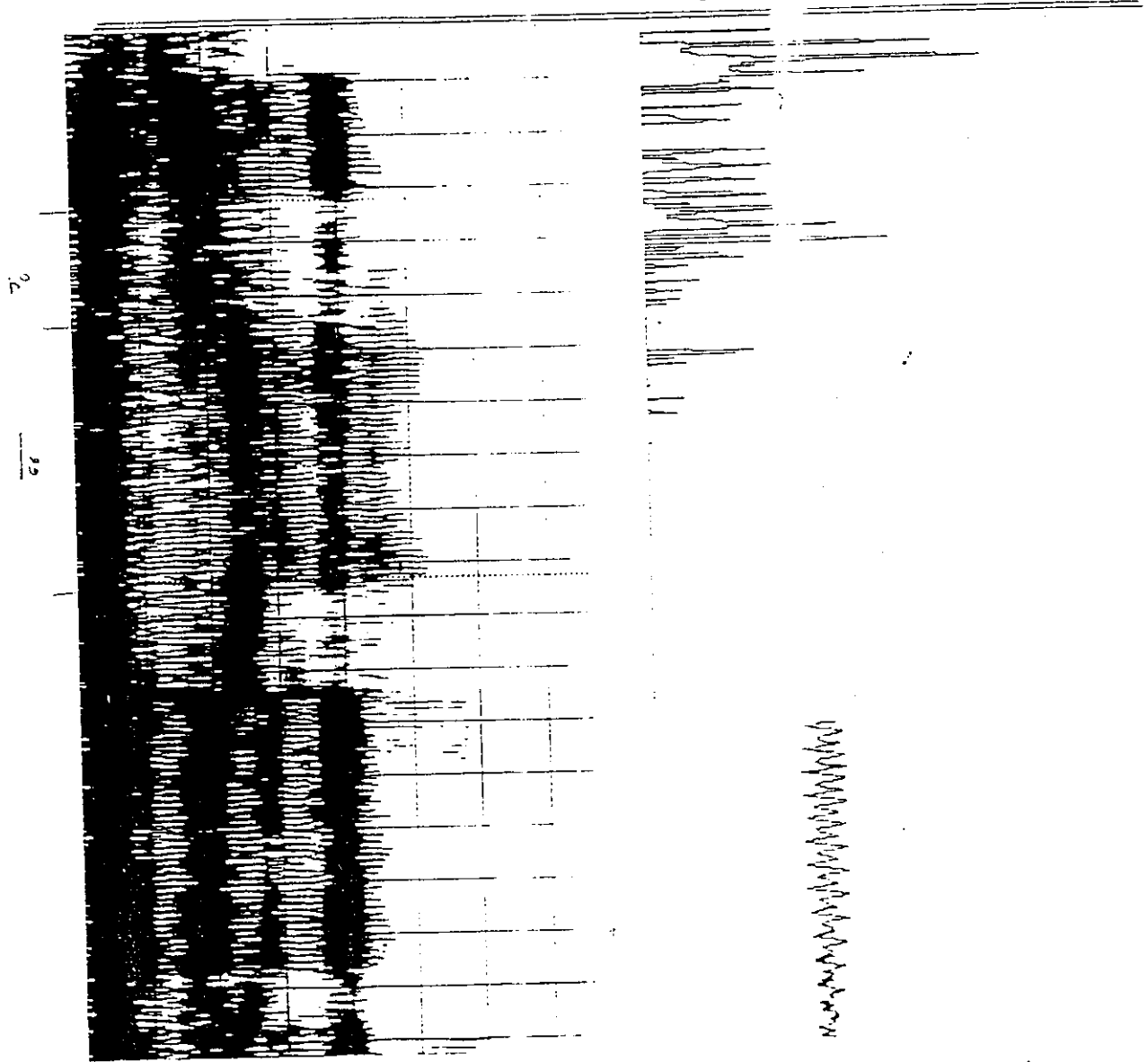
وقعت الهمزة بين حاتين ثلاث حتى بدت شيبة بركة



هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة إذا وقعت في بداية الكلام وردت في سورة النساء من الآية " وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى .. " النساء (٨) بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن

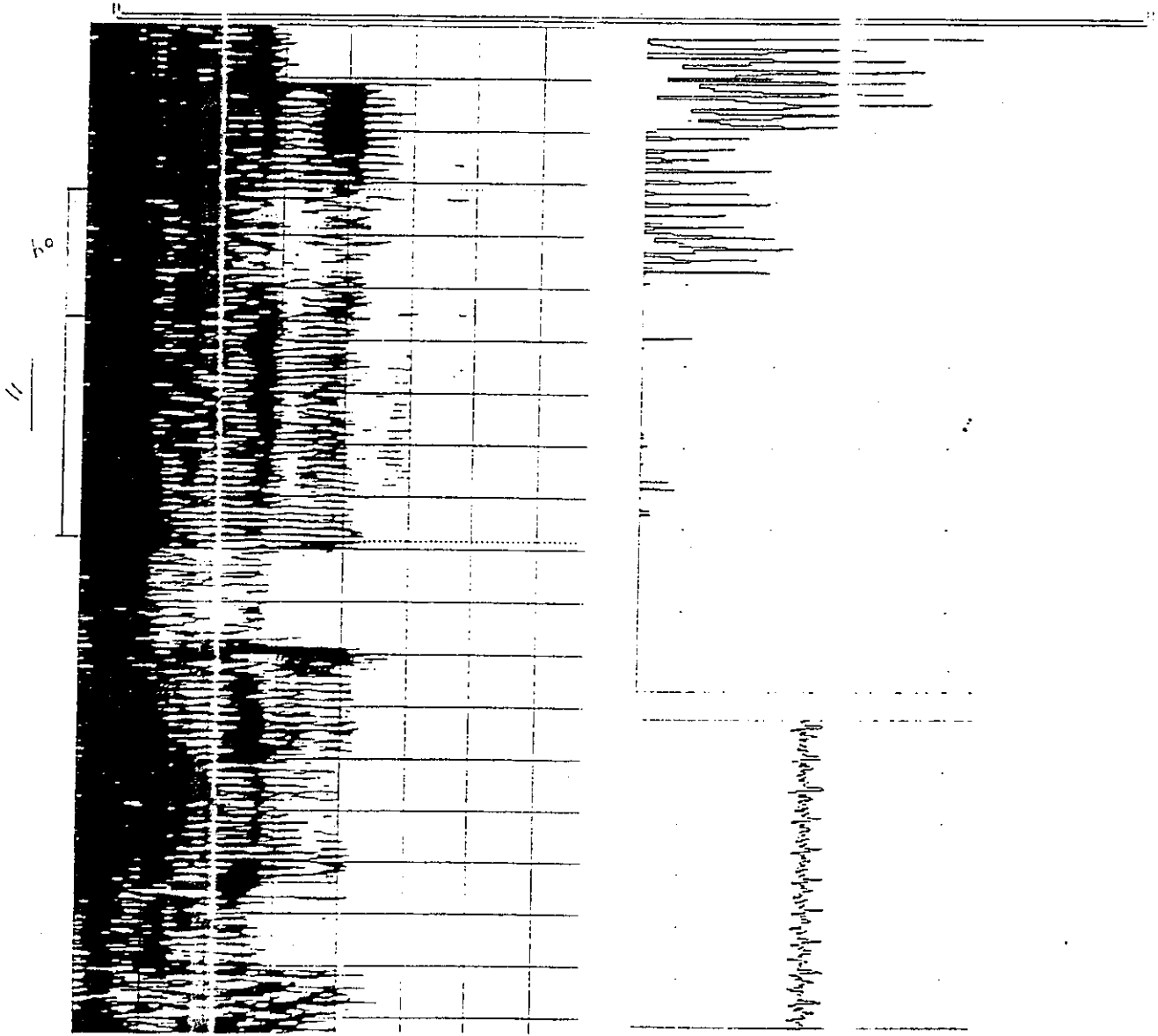
عاصم .

صورة رقم (١٢)



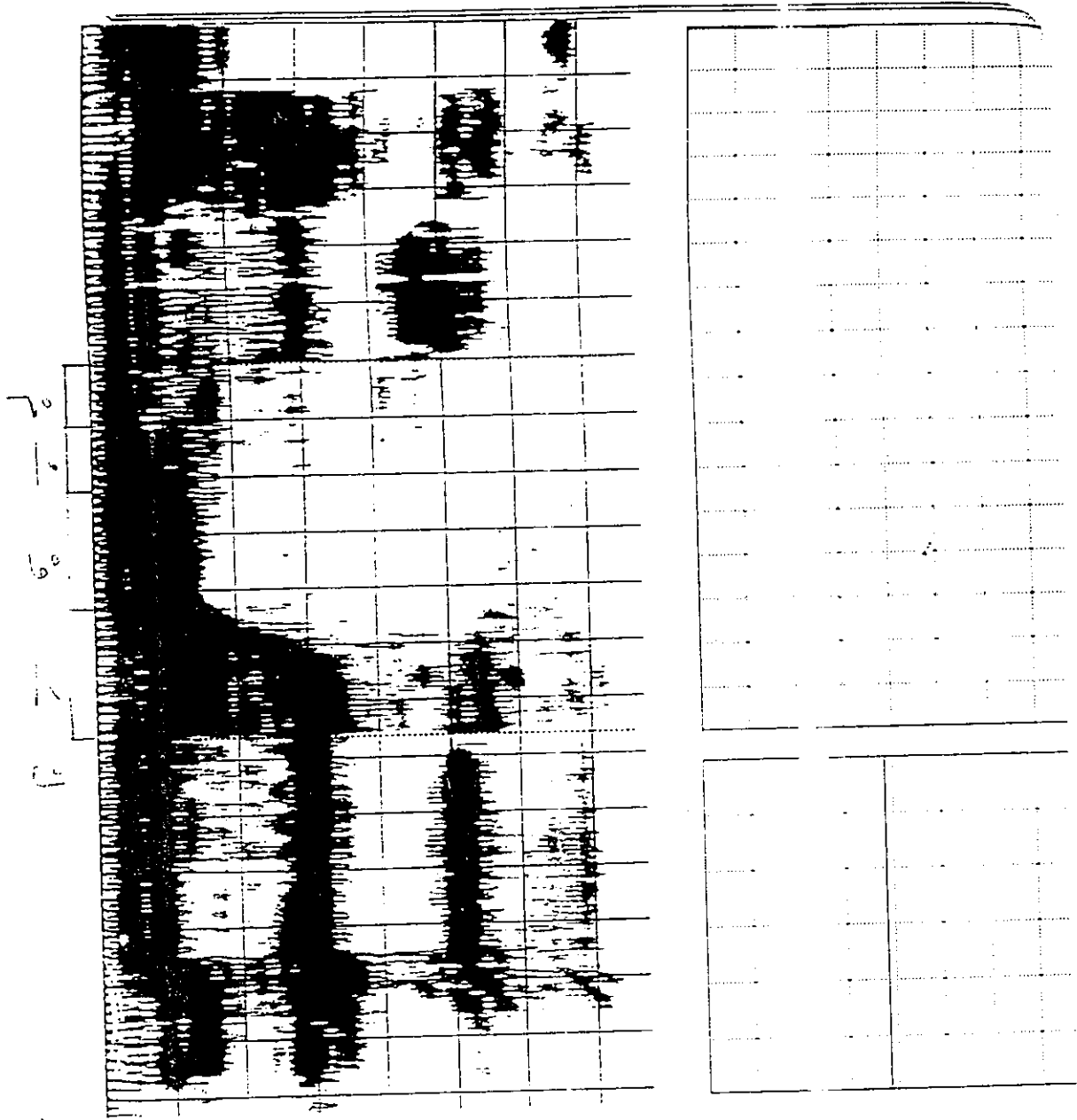
هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة وقد وردت في الكلمة " أوتوا الكتاب " من الآية (١٠٠) من سورة آل عمران بقراءة الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٣)

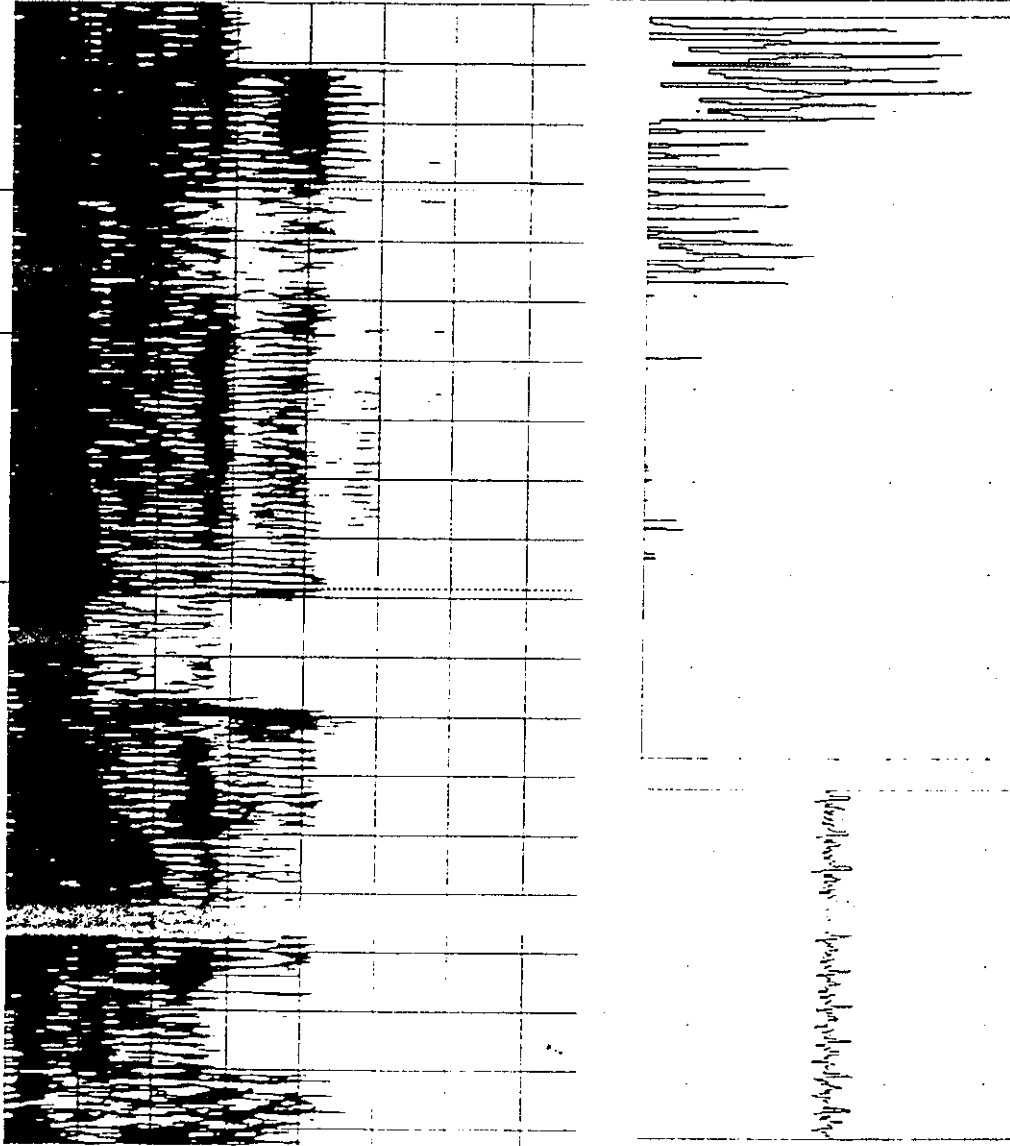


هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة الذي أتى متأثراً بما اكتنفه من الصوائت في كلمة "إيمانكم" " من الآية " يردونكم بعد إيمانكم كافرين - آل عمران (١٠٠) بقراءة الشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٤)



هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة بعد تخفيفها من كلمة " المؤلفة " من الآية " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ... التوبة (٦٠) " بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية ورش عن عاصم .



هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة التي أتى متأثراً بما
اكتنفه من الصوائت في كلمة "إيمانكم" من الآية "يردونكم بعد إيمانكم
كافرين - آل عمران (١٠٠) بقراءة الشيخ علي عبد الرحمن الحديفي برواية
حفص عن عاصم .

أنهم يدخلون صوت الهمزة الصامت مع أصوات العلة ذلك أن هؤلاء المحدثين قد فهموا من هذا المصطلح معنى (المد) Vowel وهو أمر يدل على أنهم لم يفهموا فكرة (العلة) عند أولئك القدماء المتمثلة في فكرة التغير والانقلاب والسقوط في هذه الطائفة من الأصوات في أثناء التصريف (١٢٠) .

١٢٠ - د. المطليبي . في الأصوات اللغوية . ص ٩٦ .

الخاتمة :

عرض هذا البحث في الصفحات السابقة بالدراسة لطائفة من الأصوات في اللغة العربية اصطلاح على تسميتها بأصوات " العلة " وهي الألف والواو والياء ، والهمزة . وهي تمايز - بطريقة أو بأخرى - عن تلك الطائفة من الأصوات في اللغة العربية التي اصطلاحنا على تسميتها - في مقدمة هذا البحث - بأصوات المد (الألف والواو والياء) . وتقوم فكرة هذا البحث على ما يثيره ذلك التبادل بين أصوات العلة هذه دون أن يتغير المعنى من تساؤلات عن حقيقة العلاقة بين كل من الألف والواو والياء من جانب وصوت الهمزة من جانب آخر . وهي علاقة تقوم - عند سلفنا من اللغويين والنحاة - على أساس من التقارب فيما بينها في المخرج والصفة والوظيفة الصرفية والمسلك الصوتي الأدائي ، الأمر الذي نفاه - جملة وتفصيلا - بعض الباحثين المحدثين وزعموا أن القول به لا يقدم تفسيراً علمياً مقنعاً لحقيقة هذا التبادل الذي يقع بينها جميعاً في سياقات عظيمة حفلت بها مفردات اللغة العربية .

وفي ظل هذا الاختلاف بين قدامى اللغويين والنحاة وبعض الباحثين المحدثين حول هذه القضية اللغوية في اللغة العربية أدلى كل من الفريقين بآرائه وأبان حججه . وقد قمنا في هذا البحث بعرض تلك الآراء والحجج - من مظانها - التي يتمسك بها كل فريق وناقشناها وتوصلنا إلى جملة من النتائج أهمها :

١ - أنه بالرغم من الاختلاف في الطبيعة الصوتية لكل من أصوات الواو والياء والألف من ناحية ، وصوت الهمزة من ناحية أخرى إذ لكل منها صفاته وخصائصه الصوتية والوظيفية والأدائية ... إلخ إلا أن أقوال

القدامى من علماء اللغة والنحو وما حفلت به مفردات اللغة العربية يشير إلى وجود علاقة ما بين صوت الهمزة العربية وأصوات أخواتها من حروف العلة واللين الأخرى (الألف والواو والياء) جعلت هذا التناوب بينها أمرا لغويا شائعا يقبله نظام الأصوات في اللغة العربية ويستعمله وسيلة للتخلص من التأليف المستثقل أو المكروه لحروف العلة واللين في سياقات عظيمة من كلمات اللغة العربية .

٢- اتفق القدماء والمحدثون من علماء اللغة والنحو على وجود هذا التناوب بين حروف العلة واللين الأربعة (الألف والواو والياء من جهة والهمزة من جهة أخرى) - كما أشرنا إليه سابقا - في طائفة عظيمة من كلمات اللغة العربية إلا أنهم اختلفوا في علته والدواعي إليه ، والقدماء على أساس من التقارب بين هذه الأصوات الأربعة في الصفات والخصائص الصوتية والصرفية ، وبعض الباحثين المحدثين على أساس أنه اجراء صوتي فحسب يعمد إليه النظام الصوتي في اللغة العربية للتخلص من تتابع الحركات ومن ثم لتكوين مقطع صوتي عربي سليم . وقد أثبت البحث صواب ما ذهب إليه القدماء من علماء اللغة العربية والنحو في هذا الشأن ، وتبين أن للتقارب بين صوت الهمزة وبقية أخواتها من أصوات العلة واللين الأخرى (الألف والواو والياء) في المخرج والصفة والوظيفة الصرفية والمسلك الصوتي الأدائي أثرا ملحوظا في حصول هذا التبادل وصحته .

٣- فهم بعض المحدثين من كلام القدامى من علماء اللغة والنحو - وعلى رأسهم الخليل - أنهم ينسبون مخرج الهمزة في اللغة العربية إلى الجوف

أو الهواء بسواء مثل حروف المد (الألف والواو والياء) ، وهذا الفهم - الذي فهمه بعض المحدثين من كلام القدامى - فيه نظر حيث كشف البحث - بعد الوقوف على معظم ما قاله القدامى من علمائنا حول هذه المسألة - أنهم كانوا يتحدثون عن صوت الهمزة باعتبارين :

الأول : اعتبار صوتي بحث من حيث نظام الأصوات في اللغة العربية ، وهنا تحدثوا عن صوت الهمزة كصوت مستقل له صفاته وخصائصه ، وله مخرج خاص به وهو أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر وهو عبارة عن نبرة كريهة في الصدر تخرج كالتهوع .

الثاني : اعتبار وظيفي أدائي يعتمد على التغيرات الصوتية التي تطرأ على صوت الهمزة في الأداء بسبب الأصوات التي تكتنفه وتأثيرها فيه حيث يتبادل صوت الهمزة مع أخواته حروف العلة واللين مواقعه ويجري مجراها في طائفة عظيمة من السياقات في اللغة العربية دون أن يتغير المعنى ، مما يؤكد أن هذه الأصوات الأربعة (الألف والواو والياء والهمزة) هي تنويعات لقونيم واحد ، وهنا تحدثوا عن صوت الهمزة باعتباره أحد حروف العلة المتميزة بكثرة التغير والانقلاب والسقوط ، وأنه شبيه بأصوات الصوائت الطويلة وأشباهها في بعض الأحيان .

٤- عد القداماء من علماء اللغة العربية والنحو صوت الهمزة من الأصوات المجهورة التي تخرج من أقصى الحلق من أسفله مما يلي الصدر ، وذهب الباحثون المحدثون مذاهب شتى في وصف الهمزة بالجهر والهمس . ومع إجماعهم على أن صوت الهمزة ليس بمجهور البتة إلا أنهم اختلفوا فيما بينهم على وصفها بالهمس من عدمه ، وردوا على القداماء وصفهم

صوت الهمزة بالجهر وقالوا : إنهم واهمون مخطنون وغير دقيقين فيما ذهبوا إليه . وقد ملنا - في هذا الشأن - إلى القول بجهريتها لأن القدماء - وعلى رأسهم الخليل - قد نظروا إلى أحوالها وعدم ثباتها على صورة معينة وأنها صوت غير مستقر وتتعاقب مع أصوات العلة بعض مواقعها وتبدل بها بعض أصواتها فعدوها مجهورة وهم محقون في ذلك . ومن راقب وضع الهمزة في التجارب العملية التطبيقية - كما أشرنا إلى طرف من ذلك في هذا البحث - سيجد حقيقة ارتباطها بأصوات العلة وأنها لا تثبت على حال . ورددنا على بعض المحدثين مذهبهم بعد مناقشته - في موضعه في هذا البحث - وتوصلنا إلى أنهم قد نظروا إلى الهمزة قبل نطقها أي قبل أن تكون فحكموا عليها بالهمس أو بعدم الهمس والجهر وهو حكم على معدوم . وهناك احتمال ممكن قال به بعض المنصفين من الباحثين المحدثين () وأرى صحة القول به وهو أن صوت الهمزة العربية كان مجهورا ووصفه القدماء بناء على ذلك بصفة الجهرية . ويحتمل أنه قد أصابه التطور كما أصاب غيره من أصوات العربية الأخرى كالقاف والطاء والضاد والجيم ... الخ . وهو قانون صوتي لا يتخلف . وهناك طائفة أخرى من النتائج مبثوثة هنا وهناك بين ثنايا هذا البحث وفي أكثر من موضع . وبعد : فإن هذه الدراسة تقوم على الوقوف - ما أمكن - على أقوال القدماء عن صوت الهمزة في مظانها من مؤلفاتهم وما قاله بعض المحدثين عنها ومحاكمتها جميعا في ضوء ما تهيأ للباحث من إمكانيات عصره في مجال علمي

- ينظر كتاب مناهج البحث في اللغة للدكتور : تمام حسان ص ٩٧ .

وظائف الأعضاء والتشريح وصور الأشعة والتقدم الهائل في المعامل المختبرية والأجهزة الصوتية . وقد هدفت هذه الدراسة الوصول إلى الحقيقة ، وتجنب - ما أمكن - تخطئة الآخرين - قدماء ومحدثين - في أقوالهم وآرائهم ، واكتفت بمحاكمة المنقول عنهم فقط وإخضاعه للمناقشة المستفيضة بهدف الوصول إلى رأى مقنع تعززه الأدلة ، وتأييده التجارب العملية ، ووضعت في حسابها أن المفاهيم قد تختلف والمصطلحات قد تتغير بين جيل وآخر من العلماء وليس هذا ونحوه مدعاة أن ننسب الآخرين للخطأ دون التدقيق في مرادهم مما قالوه وأوردوه من آراء وتسميات . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

مرجع الأشكال والصور

صورة رقم (١)

وفيها نلاحظ أن صوت الهمزة الذي أتى بعد حركة (س) من كلمة (سأل) والمنصوص عليه بالرمز في أسفل الصورة ، قد توقف معه النفس عند التقاء العضو الناطق بمكان النطق في موضع ما من الحلق وهو الذي يعبر عنه على الصورة بالفراغ الأبيض الصاعد من المعلم الأول إلى المعلم الثامن ثم انفرج النفس فجأة محدثاً صوتاً شبيهاً بالصوت الصائت الذي بعده ، وفي الواقع فإننا نرى في الصورة تداخلاً عجبياً بين معالم صوت الهمزة ومعالم صوت الصائت الذي أتى بعده ، حيث يؤكد جهاز اختبار قياس الصوت في المعمل الصوتي أن معالم صوت الهمزة تنتهي في النقطة التي أشرنا إليها بالرمز لتبدأ بعد ذلك معالم صوت الصائت الذي يأتي بعده مما يقوي الزعم لدينا بتلك العلاقة القوية بين صوت الهمزة والصوائت (قصيرة أو طويلة) من ناحية ، ويجعلنا نميل مطمئنين إلى نظرة القدماء إليها عندما وصفوها بالجهر من ناحية أخرى .

صورة رقم (٢)

ومنها يتبين أيضاً التداخل بين معالم صوت الهمزة المنصوص عليه بالرمز في أسفل الصورة ، ومعالم صوت الصائت الذي أتى بعده في الكلمة " قرأ " حيث يؤكد جهاز اختبار قياس الصوت في المعمل الصوتي أن معالم صوت الهمزة تنتهي في النقطة التي أشرنا إليها بالرمز لتبدأ بعد ذلك معالم صوت الصائت الذي يأتي بعده مما يؤيد صحة الزعم بتلك العلاقة بين صوت الهمزة والصوائت ، ويجعلنا نميل إلى القول بجهرتها .

صورة رقم (٣)

ومن هذه الصورة والتي بعدها نستنتج ذلك التداخل بين معالم صوت الهمزة المنصوص عليه في أسفل الصورة بالرمز ومعالم صوت الصائت الطويل " الفتحين " من الكلمتين " آتوا ، مزنيا " حيث يؤكد لنا جهاز اختبار قياس الصوت في المعمل الصوتي أن معالم صوت الهمزة تنتهي في النقطة التي أشرنا إليها بالرمز في أسفل الصورتين لتبدأ بعد ذلك معالم صوت الصائت الطويل " الفتحين " مما يؤكد صلة القرابة بين صوت الهمزة والصوائت في اللغة العربية من ناحية ، ويجعلنا نميل إلى صواب النظرة التي قررها القدماء بالقول بأنها صوت مجهور .

صورة رقم (٨)

وفيها نلاحظ سقوط همزة القطع مع الصائت المصاحب لها في الكلمة " أذن " من الآية الكريمة بعد نقله إلى الساكن " اللام " من " قل " فيحرك بحركته وهذه هي قراءة ورش وغيره من القراء في جميع القرآن .

صورة رقم (٩)

وفيها نلاحظ إبدال الهمزة الساكنة من كلمة " المؤمنون " حركة طويلة من جنس الحركة التي قبلها وهي " الضمة القصيرة " لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها .

صورة رقم (١٠)

وفيها نلاحظ إبدال الهمزة الساكنة من كلمة " يأمرون " في الآية حركة طويلة من جنس حركة ما قبلها وهي " الفتحة القصيرة " لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها .

صورة رقم (١١)

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية أخذت لنطق صوت الهمزة إذا وقعت في بداية الكلام وردت في سورة النساء من الآية (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى ..) النساء (٨) بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٢)

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية أخذت لنطق صوت الهمزة وقد وردت في الكلمة "أوتوا الكتاب" من الآية (١٠٠) من سورة آل عمران بقراءة الشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٣)

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة الذي أتى متأثراً بما اكتنفه من الصوائت في كلمة " إيمانكم " من الآية (يردوكم بعد إيمانكم كافرين -) آل عمران (١٠٠) " بقراءة الشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي برواية حفص عن عاصم .

صورة رقم (١٤)

هذه صورة من صور التسجيلات الطيفية لنطق صوت الهمزة بعد تخفيفها من كلمة " المؤلفة " من الآية (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ..) التوبة (٦٠) " بقراءة الشيخ محمود خليل الحصري برواية ورش عن عاصم .

أسماء المراجع

- ١- أسباب حدوث الحروف : لأبي علي بن سينا . منشورات جامعة طهران سنة ١٣٣٣ هـ.
- ٢- الأصوات اللغوية . إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية ط ١ سنة ١٩٨١ م.
- ٣- التذكرة في القراءات الثمان ج ١ . أبو الحسن طاهر بن غلبون ط ١ ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة سنة ١٤١٢ هـ .
- ٤- التطور النحوي . ج . براجسزاسر . مطبعة السماح . القاهرة سنة ١٩٢٩ م.
- ٥- تهذيب اللغة . أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى . تحقيق عبد السلام هارون وآخرين . الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٣ م .
- ٦- جهرة اللغة . أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد . دار صادر بيروت (طبعة بالأوفست)
- ٧- دراسة الصوت اللغوي . أحمد مختار عمر . عالم الكتب القاهرة سنة ١٩٧٦ م .
- ٨- دروس في علم أصوات العربية . جان كانتينو . تعريب صالح القرمادي . الجامعة التونسية سنة ١٩٦٦ م .
- ٩- سر صناعة الأعراب (ج ١) أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٩٥٤ م .
- ١٠- شذا العرف في فن الصرف . أحمد الحملاوي . المكتبة الثقافية بيروت .

- ١١- شرح شافية ابن الحاجب (ج٢ ، ٣) رضي الدين محمد بن الحسن الاسرأبادي - دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .
- ١٢- شرح المفصل (ج٩ ، ١٠) . موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش - عالم الكتب بيروت .
- ١٣- الصحاح . إسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق عبد الغفور عطار . مطبعة دار الكتاب العربي بمصر ١٣٣٧هـ .
- ١٤- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) محمود السعران . الإسكندرية . دار المعارف سنة ١٩٦٢م .
- ١٥- علم اللغة العام (الأصوات) كمال بشر . ط ٥ ، سنة ١٩٧٩م - دار المعارف - مصر .
- ١٦- العين . الخليل بن أحمد الفراهيدي . الجزء الأول . تحقيق عبد الله درويش . مطبعة العاني . بغداد ط ١ سنة ١٩٧٦م .
- ١٧- غاية المريد في علم التجويد . عطية نصر . ط ٤ سنة ١٤١٣هـ . القاهرة .
- ١٨- في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية) غالب فاضل المطلي . ط ٢ - دار الحرية للطباعة - بغداد - سنة ١٤١٢هـ .
- ١٩- كتاب سيويه ج٢ . أبو بشر عمرو الملقب بسيويه . المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر ط ١ ، سنة ١٣١٧هـ .

٢٠- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ج ١ ، أبو محمد
مكي ابن طالب القيسي ط ٢ ، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠١ هـ .

٢١- الكنز اللغوي في اللسن العربي . أوغست هفتر . المطبعة الكاثوليكية
للأدباء اليسوعيين سنة ١٩٠٣ م (اعادت طبعة بالأوفست مكتبة
المثنى ببغداد) .

٢٢- لسان العرب . جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور . دار صادر
بيروت .

٢٣- المخصص . المجلد ٤ . أبو الحسن علي بن إسماعيل . دار الفكر .
بيروت ١٣٩٨ هـ .

٢٤- المزهري في علوم اللغة وأنواعها . عبد الرحمن جلال الدين السيوطي .
دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي .

٢٥- معجم متن اللغة . محمد رضا . دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة
١٣٧٧ هـ .

٢٦- المقتضب . أبو العباس محمد بن يزيد المبرد . تحقيق محمد عبد الخالق
عزيمة ، القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ .

٢٧- المنهج الصوتي للبنية العربية - عبد الصبور شاهين . مؤسسة الرسالة
سنة ١٤٠٠ هـ .

٢٨ - مناهج البحث في اللغة . تمام حسان . المكتبة الأنجلو مصرية . القاهرة
سنة ١٩٥٥م.

٢٩ - النشر في القراءات العشر . للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي
الشهير بابن الجزري . باعتناء علي بن محمد الضباع . دار الفكر
للطباعة والنشر .

ثانياً : بعض المراجع الانجليزية :

- 1- Al-Ani , H.S. “ Reading in Arabic Linguistics “
Indianation Univ. Lingusitics Club . Bloomington Indiana ,
1978.
- 2- Borden , J.G. “ Speech Science Primer - physiology ,
Aconstics and Perception of Speech “ 2 nd Eddition,
Williams and Wilkins Baltimore , London , 1989.
- 3- Godby , J.C. “ Language Files “ ,2nd Edition . Advocate
Publishing Group The Ohio State Univ. (1979 - 1982) .
- 4- Ladefogd , P. “ A Course in Phonetics , 2nd Edition ,
Harcourt Brace Jovanovich , Inc. New York , 1975 .
- 5- Lieberman , Ph. and Others , “ Speech Physiology Speech
Perception , and Acoustic Phonetics “ Combridge Univ.
Press . 1st Edition . Combridge . 1988.



مَجْلَدُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِسَنَةِ

السنة السابعة عشرة

كانون الثاني - كانون الأول ١٩٩٢ م

عدد المزدوج (٤٢ - ٤٣)

ل. ٨١٤١٢ - ربيع الثاني ١٤١٣ هـ

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٤٢ - ٤٣

رقم الصفحة

الفهرس

- أولاً : البحوث ٩
- ١ - المصطلح العلمي بين الثراء والإغناء د . جلال شوقي ١١
- ٢ - وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية د . عدنان الخطيب ٦٧
- بالقاهرة في الدورة السابعة والخمسين
- ٣ - الهمزة التي ليس لها تكأة د . عبد الفتاح أحمد الحموز ١١٣
- ٤ - النحت والاختصار د . حامد صادق القنبي ١٩٩
- ٥ - الكتب الأساسية في تاريخ العلوم
الطبيعية عند العرب والمسلمين لطف الله قاري ٢٥٧
- ٦ - «بيد» و«لا سيما» بين ثبات المصطلح
وتعدد الاستعمال د . حنا عودة ٢٨٣
- ثانياً - مع الكتب ٣٣٥
- كتاب الفرق لأبي حاتم السجستاني د . محمد حسن عواد ٣٣٧
- ثالثاً - تعليقات ومناقشات ٣٧٩
- كتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية د . ابراهيم السامرائي ٣٨١
- رابعاً : أخبار مجتمعية ٣٩٧
- الموسم الثقافي العاشر ٣٩٩
- المؤتمرات والندوات ٤٠٠
- رسائل الدكتوراة والماجستير ٤٠٦
- المشاركة في معارض الكتب ٤٠٩
- مجمعيون في ذمة الله ٤٠٩

الهمزة التي ليس لها تكأة^١ د. عبدالفتاح الحمود

كثيراً ما كان يستوقفني في كثير من مظان الرسم القديمة والحديثة، والرسم القرآني - كُتِبَ الهمزة التي ليس لها تُكْأَةٌ، من حيث مغايرة الرسم الاصطلاحي الحديث لما يطالِعُنَا في مظان الرسم القديمة، والرسم القرآني، في بعض المسائل، وإجازة وجه إملائي ورد آخر، ومطابقة الرسم الاصطلاحي القديم للرسم القرآني في رسم الهمزة التي ليس لها تُكْأَةٌ في كثير من المواضع، على الرغم من أنه يُعَدُّ غير قياسي عند كثير من علماء الرسم القدامى، وَمَنْ صَنَّفُوا فيه من المحدثين، ومغايرة المنطوق للمكتوب في بعض الألفاظ، إذ يتوافر بتوافره تعثر القراء من الطلبة والمريدين وغيرهم، واختفاء المعنى أحياناً، وعدم تبيين كيفية تخفيف الهمزة، وحذفها؛ لأن حذف صورتها لهما أثر فيه .

ولعل أهمية هذا البحث تكمن في تبيين مذاهب القدامى والمحدثين في رسم الهمزة التي حُذِفَتْ صورتُها، ومسايرتها للرسم القرآني، أو عديمها، إذ انتهيت فيه إلى أن الرسم القرآني يُعَدُّ مرحلة متطورة من مراحل الكتابة العربية، وقياساً للقدامى في كثير من المسائل، على الرغم من أنه يوسم في كثير من مظان الرسم القديمة والحديثة - بأنه ليس كذلك، وهي مسألة لا أتفق معهم فيها؛ لأن كتبة المصحف كتبوا الآيات القرآنية على حسب تلك الأصول الكتابية التي كانت تدور في فلكها الكتابات المختلفة، ولعل ما يُعزَّرُ ما أذهب إليه حذف الألف صورة الهمزة المفتوحة الساكن ما قبلها في مظان الرسم القديمة في الغالب، نحو: يَسْئَلُ، واسْئَلْ، وَمَسْئَلَةٌ، وأضرابها، وغير ذلك من الأمور التي سنبسط الحديث فيها في هذا البحث .

وانتهيت في هذا البحث أيضاً إلى أن كثيراً ممن صَنَّفُوا في الرسم الإملائي من المحدثين يتناسون العودة إلى مظان الرسم القديمة الرئيسة،

التي تُعَدُّ النَبْعُ الثَّرْلَهُم، والقول نفسه بالنسبة إلى الرسم القرآني من حيث تناسيهم العودة إليه، إذ يكفي اللاحق منهم باتخاذ مؤلف المُحَدَّث قبله عمدته في هذه المسألة؛ ولذلك نطالعنا الأمثلة المصنوعة نفسها في أثناء تأليفهم، والقول نفسه بالنسبة إلى القواعد والأصول زيادة على تلك الاستثناءات. ولعل ما يعزُّ ذلك تلك النبرة أو الياء المهملة، أو السن الصغيرة، التي فرضت سلطانها عليهم متناسين مذهب القدامى والرسم القرآني، اللذين كانت توضع فيهما على المطعة أو المتسع الذي يصل الحرف الذي قبلها بما بعدها، على الرغم مما يمكن أن تؤدي إليه في كتب هؤلاء المحدثين من لبس بالياء المهملة صورة الهمزة المكسورة أو المكسور ما قبلها، وعدم مسايرتها لأصول التخفيف والتحقيق والحذف. ويُعزِّزه أيضاً إجازة بعض الأوجه الإملائية التي يُعَدُّ المصير إليها من باب عدم تبين مذاهب القدامى تماماً، وهي أوجه يؤدي بعضها إلى مغايرة المنطوق للمكتوب، وهي مسألة تقود إلى أن يتعثر الطلبة والمريدون وغيرهم في القراءة، واختفاء المعنى، ولعل ما يؤكد ذلك كتبهم (جاوا)، و (رؤف) وأضرابهما بواو واحدة، هي واو الهمزة، وتبدو هذه المسألة بينة جلية فيما يطالعنا به محققو بعض التصانيف القديمة من رسم بعض الألفاظ على حسب الرسم الحديث متناسين وجوب مطابقتها لما يريد مصنفوها.

ولقد حاولت في كل موضع من مواضع الهمزة في هذه المسألة أن أرجع مذهباً، أو أردد آخر متخذاً عمدتي في ذلك التيسير والتقريب، وتخفيف الهمزة وتحقيقها، وتحقيق أمن اللبس، وغير ذلك من المرجحات المختلفة التي تراءت لي.

ولتبدو هذه المسألة بينة جلية؛ رأيت أن يكون هذا البحث فيما يأتي :

(١) رمز الهمزة قبل التوصل إلى القطعة، وموضعه في الكتابة العربية.

(٢) الهمزة التي ليس لها تكأة في الرسم القرآني. وهي فيما يأتي :

- الهمزة المتوسطة التي حُذِفَتْ صورةُ الألف تُكَاتُّها.
- الهمزة المتوسطة التي حُذِفَتْ صورةُ الواو تُكَاتُّها.
- الهمزة المتوسطة التي حُذِفَتْ صورةُ الياء تُكَاتُّها.
- الهمزة المتطرفة التي حُذِفَتْ تُكَاتُّها.

(٣) الهمزة التي ليس لها تُكَاةٌ في مِظَانٍ علماء الرسم القدامى . وهي فيما يأتي :

- الهمزة المتوسطة التي حُذِفَتْ صورةُ الألف تُكَاتُّها.
- الهمزة المتوسطة التي حُذِفَتْ صورةُ الواو تُكَاتُّها.
- الهمزة المتوسطة التي حُذِفَتْ صورةُ الياء تُكَاتُّها.

(٤) الهمزة التي ليس لها تُكَاةٌ في تصانيف المحدثين . وهي فيما يأتي :

- الهمزة المتوسطة المتحركة الساكن ما قبلها .
- الهمزة المتحركة المتحرك ما قبلها .

ولستُ أنكرُ أنني قد كنتُ أرغب في أن أنهَجَ نهجاً يجمع النظائر والأشباه، بالحديث عن الرسم القرآني ومذاهب القدامى والمحدثين في المكان نفسه، ولكنني آثرتُ أن أُفرد مكاناً خاصاً لكل مذهب، ليدوِّسَ سهمُ كلٍّ من كُتَّبةِ المُصَحِّف، وعلماءِ الرسم القدامى، ومن صَنَّفوا فيه من المحدثين، بيِّناً. والله أسألُ أن يوفِّقنا جميعاً لخدمة لغة القرآن الكريم وكتِّبها، وأسأله المغفرة، إن زِلْتُ، وجزيل الثواب، إن أصِبتُ، إنَّه المولى والنصير.

(١) رمزُ الهمزة قبل التوصل إلى القطعة وموضِعُهُ في الكتابة العربية

يظهرُ لي أن الهمزة في نقط أبي الأسود الدؤلي لم تحظَ برمزٍ أو علامةٍ ما، أمَّا نقاطُ المصاحف فلم يتناسوا هذه المسألة، إذ توصلوا إلى وضع علامةٍ لها، ليتمكن القراء وغيرهم من إجادَةِ قراءة القرآن وإتقانها، وهي

مسألة تُسهم في توضيح المعنى وتبيينه . ويُفهم ممّا في مظانّ الرسم القرآنيّ أنّ هذا الرمز هو نقطة ، وفي لونها مذهب :

١ - مذهب أهل المدينة المنورة : لقد اختصها النقاط في هذا المذهب بالصفرة ، إنّ كانت محقّقة ، وبالحمرة ، إنّ سهّلت ؛ لتحقيق أمن اللبس بين المسهّلة والمحقّقة ، وهو الأظهر والأولى ، والأكثر شيوعاً^(١) . ولعلّ اختصاصها بالصفرة يعود إلى تحقيق أمن اللبس بينها وبين نقط الإعراب ، والتنوين ، والتشديد ، والسكون ، والوصل ، والمدّ ، التي كانت بالحمرة .

٢ - مذهب أهل العراق : لقد اختصّها النُّقاط في هذا المذهب بالحمرة كالحركات ، فيتوافرّ بذلك اللبس الذي حقّق أهل المدينة أمنه .

٣ - مذهب أبي عمرو الداني وأهل بلده : ذكر أبو عمرو الداني^(٢) أنّه لا بأس في استعمال الخضرة للدلالة على الابتداء بألفات الوصل . ويبدو أنّ أهل الأندلس في زمن ابن وثيق (ت : ٦٥٤هـ) كانوا يجعلون علامة الصلة في مصاحفهم بالْحُمْرة على صورة الفتحة ، إذ يلجؤون إليها لتبيين ألف الوصل المبتدأ بها ، وبذلك يتحقّق أمن اللبس بينها وبين همزة القطع^(٣) .

٤ - مذهب بعض الكتاب : اختصّها بعض النقاط - إذا كان مبتدأ بها - بنقطة صفراء متناسياً حركتها ومستغنياً بموضعها من الألف عن ضمّها أو

(١) انظر عثمان بن سعيد الداني (ت : ٤٤٤هـ) ، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط ، تحقيق محمد الصادق المهدي ، القاهرة - مكتبة الكليات الأزهرية (بلا تاريخ طبع) (كتاب النقط) : ١٣٠ ، د. غانم قدوري ، رسم المصحف ، دراسة لغوية تاريخية ، بغداد - منشورات اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م : ٥٧٦ ، ابن وثيق الأندلسي (ت : ٦٤٥هـ) ، الجامع لما يُحتاج إليه في رسم المصحف ، تحقيق د. غانم قدوري ، بغداد - دار الأندلس للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م : ١٥١ - ؟

(٢) الداني ، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط : ١٣٠ .

(٣) ابن وثيق ، الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف : ١٦٠ .

فَتَحَّهَا أَوْ كَسَرَهَا، إِذْ تَوَضَّعَ الْمَفْتُوحَةُ فِي رَأْسِ الْأَلْفِ، وَالْمَكْسُورَةُ تَحْتَهَا،
أَمَّا الْمَضْمُومَةُ فَفِي وَسْطِهَا^(٤).

ويظهرُ لي أنَّ صورة الألف كانت رمزاً للهمزة، وتقوم مقامها في الكتب قبل أن يُصارَ إلى التعبير عنها بنقطة صفراء أو حمراء، أو خضراء، وقبل أن يتوصل الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى أن يُعبرَ عنها بالقطعة (رأس العين). ولعلَّ ما يعزَّز ما أذهب إليه أن الهمزة تُعدُّ أخت الألف^(٥)، وأنها يعبرُ عنها بالألف المهموزة: «ويُعبرُ عنها بالألف المهموزة؛ لأنها لا تقوم بنفسها، ولا صورة لها، فلذا تُكتب مع الضمة واواً، ومع الكسرة ياء، ومع الفتحة ألفاً»^(٦). وعليه فليس بمستغرب أن يُطالعنا بعضُ شراح كشاف الزمخشري - بأن الهمزة لم تُسمَّعَ لأنه يُطلقُ عليها الألف: «فلا عِزَّةٌ بما في بعض شروح الكشاف أنها لم تُسمَّعَ، وإنما اسمُها الألف. قال شيخنا: وقد فرَّقَ بينها وبين الألف جماعة بأن الهمزة كثرَ إطلاقها على المتحركة، والألف على الحرف الهاوي الساكن الذي لا يقبل الحركة»^(٧). ولعلَّ ما يُعزَّز ذلك أيضاً ما طالعنا به الفراء بأن العرب تجعل الهمزة مكتوبةً بالألف في كلِّ حالاتها: «ولو قرأها قارئٌ كان صواباً موافقاً لقراءتنا؛ لأنَّ العرب تكتب (تستَهْزِءُ): تستَهْزِءُ، فيجعلون الهمزة مكتوبةً بالألف في كلِّ حالاتها، يكتبون (شيءٌ): شيئاً، ومثله كثير في مصاحف عبد الله. وفي مصحفنا (ويُهَيِّئْ لكم): ويُهَيِّئْ بالألف»^(٨). ويُفهمُ ممَّا في (صبح الأعشى) أن بعض العرب هم الذين

(٤) انظر د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٥٨٠.

(٥) محمد بن عبد الرزاق مرقضى الحسيني الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت - مطبعة حكومة الكويت، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٥ - ١٩٨٣م: همز.

(٦) الزبيدي، تاج العروس: ١/١٢٥.

(٧) الزبيدي، تاج العروس: همز.

(٨) يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق عبد الفتاح شلبي، مراجعة علي النجدي ناصف، القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب (بلا تاريخ طبع): ٣/٣٠.

كتبوها على ألف في كل حالاتها: «ومنهم من يجعل صورتها الألف على كل حال، فيكتبها على هذه الصورة: المرأة، والكمأة، ويسأم، ويلاأم. وهو أقل استعمالاً...»^(٩). والقول نفسه فيما طالعنا به ابن قتيبة فيما تعدد الهمزة فيه متوسطةً توسطاً عارضاً: «وكان بعض كتاب زماننا يدع الحرف على حاله بالألف، فيكتب: هو يقرأه، وهو يملأه، وهذا ملأهم، وهو يشنأك، والله يكلأك، وفلان لا يرزأك شيئاً، ويدل على الهمز والإعراب فيها بضمة يوقعها على الألف...»^(١٠).

ويطالعنا أبو عمرو الداني في كتابه (النقط) بكيفية نقط القدامى للهمزتين اللتين في كلمة أو كلمتين ذاكراً بعض مذهبهم^(١١):

١ - نقطة صفراء عليها نقطة حمراء وبعدها ألف عليها نقطة حمراء: تدل هذه العلامة على تجاور همزتين مفتوحتين، ثانيتهما مملئة، على أن صورة الحرف الذي رسمت عليه الألف، أما الأولى فمرسومة على السطر بلا صورة، نحو: ءأنذرتهم، فالنقطة الصفراء علامة الهمزة، والحمراء حركتها (الفتحة). أما النقطة الحمراء التي على الألف فحركتها (الفتحة) قبل تليينها. ويجوز أن توضع ألف حمراء بعد الهمزة، وغير ذلك مما طالعنا به الداني. وعليه فإن (ءامن) وأضرابها لا توضع على الألف فيها نقطة حمراء

٢ - ألف عليها نقطتان، إحداهما صفراء، علامة الهمزة، والأخرى حمراء علامة الفتحة، وواو بعدها، صورة حرف الهمزة المملئة، نحو:

(٩) أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١ هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، القاهرة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (بلا تاريخ طبع): ٢٠٧/٣.

(١٠) عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦ هـ)، أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، بيروت - مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م: ٢٦٢ - ٢٦٣.

(١١) الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط (كتاب النقط): ١٣٧.

أَوْ تَبَيَّنَ كُمْ / (أُو)، أو ياء، صورة الهمزة المخففة أيضاً، نحو: أُنْذا (أيذا)

٣ - نقطة صفراء عليها نقطة حمراء، إن كانت مفتوحة، وتحتها، إن كانت مكسورة، وأمامها (على يسارها)، إن كانت مكسورة، للهمزة الأولى المحققة من الهمزتين المتجاورتين في كلمتين، أما الهمزة الثانية المليئة فعلايتها نقطة حمراء، نحو قوله تعالى «هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ»^(١٢). وغير ذلك من المذاهب الأخرى^(١٣).

وعلامة الهمزتين المتجاورتين اللتين فيهما الثانية مليئة عند المتأخرين ألفٌ عليها مدّة (آ)، أما إن كانت الثانية المليئة مضمومة أو مكسورة فترسم صورة حرف الهمزة بعد الأولى المرسومة على ألف. وللمد علامة هي مَطَّة بالحمرة، أو ميمٌ صغيرٌ ممدودة في آخرها دالٌ صغيرٌ (مد) عند ابن وثيق الأندلسي^(١٤). وموضع هذه العلامة فوق حروف المد واللين (الألف، والواو والياء)^(١٥).

وللهمزة علامات أخرى في بعض المخطوطات العربية، وهي: نقطة حمراء، وهلالٌ صغيرٌ، أو دالٌ، ودالٌ في داخلها أو أمامها نقطة، ودالٌ معكوسة، ودائرة مفرغة^(١٦).

ويُزوّدنا ابن وثيق الأندلسي (ت: ٦٥٤هـ) بما يمكن أن نُعده دليلاً

(١٢) البقرة: ٣١.

(١٣) انظر: الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط (كتاب النقط): ١٣٩، د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٥٨٦.

(١٤) انظر: ابن وثيق، الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ١٥٤، الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط (كتاب النقط): ١٣٨، د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٥٩١.

(١٥) انظر: ابن وثيق، الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ١٥٤، الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط (كتاب النقط): ١٣٨، د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٥٩١.

(١٦) انظر: د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٥٨٦.

بيِّنًا على أنَّ القدامى من نقَّاط المصاحف وكتَّبتَها في عصره - لم يعرفوا تلك النبرة أو السن الصغيرة التي اعتاد مُصنِّفو مظانِّ الإملاء الحديثة الالتجاء إليها؛ ليجعلوها تُكَأَةُ تُكَيِّء عليها الهمزة المتوسِّطة التي ليس لها صورة حروفٍ إذا كان الحرف الذي قبلها ممَّا يتَّصل بما بعدها، وهي مسألة تجعلنا نذهب بلا تردُّدٍ إلى أنَّ هذه النبرة أو السن الصغيرة من ابتكار المحدثين، وأنَّ كثيراً منهم لم يَتنبَّه إلى ذلك. فالهمزة المتوسِّطة المضمومة التي تُرسم على واو بعدها وأو أخرى - تُحذف الواو صورتها أو تُكَأُتها بلا تصوير الواو بالحمرة، نحو (مُسْئِلاً)^(١٧) و (مَذْهُوماً)^(١٨). والساكنة فيها مذهبان، أحدهما تصوير الواو بالحمرة على أنَّ موضع هذه الواو تحت الهمزة، نحو (تُؤَيِّه)^(١٩)، و (الرُّؤْيَا)^(٢٠) والآخر عدمُ التصوير، وهو الأشهر. والقول نفسه في الهمزة في مثل (أولياؤه)^(٢١) من حيث التصوير وعدمه، على أنَّ الأحسن التصوير^(٢٢).

وينصُّ بوضوح وجلاءٍ على أنَّ الهمزة التي ليس لها صورة حروفٍ - لا تُكَأَةُ لها، إذ يجب أن تُكْتَبَ على الخطِّ الواصل ما قبلها بما بعدها (المِطَّة): «فإن لم تكن لها صورة فموضعها في السطر بين الحرف الذي قبلها في النطق والذي بعدها، إن كان الحرف الذي قبلها منفصلاً من الذي بعدها، نحو (سَوْءَةً)^(٢٣)، و (شَيْءٍ)^(٢٤)، و (جَاءَكُمْ)^(٢٥)، وشبهه. وإن كان الحرف الذي قبلها مُتصلاً بالذي بعدها فعلى الخطِّ الواصل بين الحرف، نحو

(١٧) الإسراء: ٣٤، الفرقان: ١٦، الأحزاب: ١٥.

(١٨) الأعراف: ١٨.

(١٩) المعارج: ١٣.

(٢٠) يوسف: ٤٣، الإسراء: ٦٠، الصافات: ١٠٥، الفتح: ٢٧.

(٢١) الأنفال: ٣٤.

(٢٢) انظر ابن وثيق، الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ١٦٣.

(٢٣) المائدة: ٣١.

(٢٤) انظر البقرة: ٢٠، ٢٩، ١٠٦.

(٢٥) انظر البقرة: ٨٧، ٩٢، آل عمران: ٨١.

المُشْمَتَةُ^(٢٦) و (مَسْئُولًا)^(٢٧)، إن كانت الهمزة مفتوحة أو مضمومة، وتحت الخط، إن كانت مكسورة، نحو (الأفيدة)^(٢٨)...^(٢٩). والهمزة التي حُذِفَتْ صَوْرَتُهَا (الألف) لأجل ألف بعدها - موضعها في قفا (على يمين) هذه الألف، نحو (نأ)^(٣٠)، و (رأ)^(٣١)، وغيرهما.

ويطالعنا ابن وثيق أيضاً بذكر موضع الهمزة المضمومة أو المكسورة التي تنكئ على ألف، أو واو، أو ياء، ليتبين القارئ حركة هذه الهمزة، إن لم تصاحبها. فالهمزة المفتوحة موضعها رأس الألف، والمكسورة أسفلها، أما المضمومة فصدرها (أمامها)، نحو (أَوْحِي)^(٣٢)، و (يُسْتَهْزَأُ)^(٣٣) وكتابتنا الحديثة تُوَثِّرُ وضع الهمزة على الألف بأي حركة تحركت^(٣٤).

وللنقاط في موضع الهمزة (نقطة بالحمرة) مذهبان حملاً على مذهب النحويين وغيرهم في الحرف الأول من اللام ألف (لا)^(٣٥)، على أن

(٢٦) الواقعة: ٩، البلد: ١٩

(٢٧) الإسراء: ٣٤، الفرقان: ١٦، الأحزاب: ١٥.

(٢٨) النحل: ٧٨، المؤمنون: ٧٨، السجدة: ٩

(٢٩) ابن وثيق؛ الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ١٥١.

(٣٠) الإسراء: ٨٣، فصلت: ٥١.

(٣١) انظر: الأنعام: ٧٦، ٧٧، ٧٨.

(٣٢) الأنعام: ٩٣، ١٩، ١٠٦.

(٣٣) النساء: ١٤٠.

(٣٤) انظر: ابن وثيق الأندلسي، الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ١٥٥، الداني،

المقنع في رسم مصاحف الأمصار، مع كتاب النقط (كتاب النقط): ١٤١.

(٣٥) انظر في هذه المسألة: كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، منشور الفوائد، تحقيق د.

حاتم الضامن، بيروت - مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ٧٥،

عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، سر صناعة الإعراب، تحقيق د. حسن هندراوي، دمشق -

دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥: ٤٣/١ -، ابن وثيق، الجامع لما يحتاج إليه

من رسم المصحف: ١٥٢ -، الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط

(كتاب النقط): ١٤٥ -، د. عبد الفتاح الحموز، ظاهرة التعويض في العربية، وما حمل

عليها من المسائل، عمان - دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ -

١٩٨٧م: ٤٢، د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٥٨١.

الألف، لا يصحُّ الابتداءُ بها، فجاءَ باللام للتخلص من صعوبة النطق بالساكن، ليكون ذلك ضرباً من المعاوضة بين هذه الألف ولام التعريف، إذ جاءَ بألف الوصل التي حرَّكوها، فصارت همزةً في أول الكلام، وجاءَ باللام في (لا) للتخلص من صعوبة النطق بالألف ساكنة :

١ - أن توضع نقطة بالصفرة فوقها نقطة الإعراب، أو تحتها، أو بين يديها. وذكر ابنُ وثيق الأندلسي أن موضع الهمزة في (لا) كموضعها في المفردة، رأسها، أو أسفلها، أو صدرها (أمامها)، كما مرَّ إلا المضمومة التي يكونُ لها موضعان، صدرُ الألف (فوق اللام)، وقاعدةُ اللام ألف (تحت اللام)^(٣٦). وهذا المذهبُ يدور في فلك قول الخليل بن أحمد الفراهيدي وعامة النُّقاط والنحويين، من حيث كون الطرف الأول من (لا) هو الألف، والثاني هو اللام، حملاً على أن أصل اللام ألف هو لامٌ اتَّصلت بها الألف (لا) يكتصال الياء والميم في (يا) و (ما)، ولكنَّ الكتابَ حَسَّنوا هذا الرمز وجَمَلوه بأن ضمَّوا أحد الطرفين إلى الآخر، فصار الرمز (لا).

٢ - أن توضع نقطة صفراء مصحوبة بالحركات بالحمرة في صدر الألف (لا) على حسب مذهب الأخفش الذي يعدُّ اللام الصورة الأولى، والألف الصورة الثانية؛ لأنَّ الملفوظ به أولاً يجب أن يكون في الكتابة كذلك. ومذهب الخليل هو الأولى والأظهر عند النحويين والنُّقاط.

ويطالعنا ابنُ وثيق أيضاً بموضع الهمزة التي تتكىء على واو، فالمفتوحة والساكنة موضعهما رأس الواو، نحو (لَوْلُوا)^(٣٧)، و (الفُؤَاد)^(٣٨)، والمضمومة جِبْهَتُها، نحو (يَكَلُّوْكُمْ)^(٣٩)، أما المكسورة فذَنِبُها، نحو

(٣٦) انظر ابن وثيق، الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف: ١٥٢.

(٣٧) الحج: ٢٣، فاطر: ٣٣، الإنسان: ١٩.

(٣٨) الإسراء: ٣٦.

(٣٩) الأنبياء: ٤٢.

(اللؤلؤ) (٤٠). وموضعها في كتابتنا الحديثة فوق الواو بأي حركة تحركت (٤١).

والقول نفسه في موضع الهمزة التي تنكئ على ياء، فالهمزة المفتوحة والساكنة موضعهما على الياء، والمكسورة أسفلها، أما المضمومة فصدرها (ي.ء).

وذهب أبو عمرو الداني إلى أن الهمزة تُجَعَلُ في الواو والياء والألف إذا كنَّ صورَ حروفها، وتُعَرَّبُ بالحركات، لأنها من حروف المعجم، إذ لم يذكر ما زودنا به ابن وثيق الأندلسي، كما مر، ويرى أن الهمزة يجب كُتِبَها على السطر إذا كانت هذه الصور قبلها أو بعدها: «فإن أُتِينَ بعدها جُعِلَتْ قبلهن، وإن أُتِينَ قبلها جُعِلَتْ بعدهن، وهذا الذي لا يوجب القياس غيره. وحق الهمزة في النقط أن تلزم مكاناً واحداً من السطر؛ لأنها حرف من حروف المعجم، ثم تعرب بالحركات كلهن، وبالله التوفيق» (٤٢).

ويزودنا أبو عمرو الداني بمذهب النقاط في الهمزة التي تُنْقَلُ حركتها إلى الساكن قبلها، إذ يضعون نقطة حمراء على الساكن المنقولة إليه حركتها، على أن يُوضَعَ في موضع الحركة جرة للدلالة على سقوطها من اللفظ، وموضع هذه الجرة مُقَيَّدُ بنوع الحركة المنقولة، إذ تُجَعَلُ فوقها إن كانت مفتوحة، وأسفلها إن كانت مكسورة، ووسطها إن كانت مضمومة (٤٣).

وبعدُ فَيَتَبَيَّنُ لنا ممَّا مرَّ أنَّ الهمزة لم يكن لها رمزٌ في بدايات الكتابة العربية، إذ كان يُعَبَّرُ عنها بالألف التي ما زالت تفرض علينا سلطانها في عصرنا، إذ يترأى لكثير منا أن الألف هي الهمزة، كما كان يترأى لكثير من الناس

(٤٠) الواقعة ٢٣.

(٤١) انظر ابن وثيق، الجامع لأحكام ما يحتاج إليه من رسم المصحف: ١٥٣.

(٤٢) الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط (كتاب النقط): ١٤٥.

(٤٣) انظر الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط (كتاب النقط): ١٤٠.

الناس من الكتبة وغيرهم في تلك البدايات التي كانت تُسم الكتاب العربية فيها بالخلو من النقط الإعرابي ورموز كثير من الأمور التي لا بد منها، كالمد والتشديد، والوصل، والهمز، وغيرها. وتتطور الكتابة العربية تجويداً وإتقاناً بتطور الحاجة إليها، وتحقيق أمن اللبس بين الحروف والكلمات المكتوبة، فيتوصل نصر بن عاصم (ت ٩٠هـ)، أو يحيى بن يعمر (ت : ١٢٩هـ) أو غيرهما، على حسب روايات أخرى، إلى نقط الإعجام، ويتوصل أبو الأسود الدؤلي (ت : ٦٩هـ) أو غيره، على حسب روايات أخرى، إلى نقط الإعراب. ويتوصل نقات المصاحف وكتبتها إلى بعض العلامات التي لا بد منها في المصاحف؛ لتحقيق أمن اللبس، والإسهام في إتقان قراءة القرآن وإجادتها، وتوضيح معانيها وتجليتها، ومن هذه العلامات الهمزة، إذ كان يُعبر عنها بنقطة صفراء في المصاحف المدنية مصحوبة بنقط الإعراب، أو نقطة حمراء، يُعزّزها ما طالعنا به الداني من أنه رأى مصحفاً كُتب سنة (١١٠هـ)^(٤٤)، وقد عُبر فيه عن الهمزة بنقطة حمراء. وكان يُعبر عنها أحياناً بنقطة خضراء للدلالة على ألفات الوصل التي يُتدأ بها، كما مر.

ويتبين لنا أيضاً أن نقات المصاحف جميعهم لم يطالعنا أحدهم بذكر النبرة أو السن الصغيرة، أو الإيماء إليها، إذ ينصون صراحة على أن الهمزة متوسطة كانت أو غير متوسطة مما لا تُكأ له، ويُعبر عنها بنقطة صفراء أو حمراء على السطر، وعليه فإن هذه النبرة أو السن الصغيرة لم تكن متوافرة في نقط المصاحف في تلك الفترة التي تمتد في الأندلس إلى القرن السابع الهجري حملاً على ما طالعنا به ابن وثيق (ت : ٦٥٤هـ) في كتابه (الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف) على الرغم من أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٠هـ) قد توصل إلى أن تكون القطعة (رأس العين الصغيرة، أو عين بلا عرافة) علامة للهمزة.

(٤٤) انظر د. غانم قدوري، رسم المصحف ٥٧٦.

(٢) الهمزة التي ليس لها تُكَاةٌ في الرسم القرآني

لعلَّ الرسم القرآني يُعَدُّ مرحلةً من مراحل تطوُّر الكتابة العربيَّة من حيث التجويد والإتقان، إذ كَتَبَ الكتبة المصحف الإمام على حسب ما كان مألوفاً وشائعاً في زمانهم. وإنَّني لأذهب بلا تردُّدٍ إلى اتِّخاذه عمدةً في تَعْرِفِ رسم الهمزة بأوضاعها المختلفة، ولا سيما تلك التي ليس لها تُكَاةٌ، على الرغم من أنَّه لا يُعَدُّ قياساً. وللدلالة على أنَّ النبذة أو السنَّ الصغيرة التي جُعِلَتْ تُكَاةٌ للهمزة التي حُذِفَتْ صورة الحرف الذي تَتَكَّى عليه - لم تكن متوافرةً في الكتابة العربية القديمة في المصحف وغيره، بل من ابتكار بعض من صنَّفوا في الرسم الإملائي من المحدثين الذين وقعوا فيما قرَّ منه القدماء، وكرهوا أن يكونَ في الكتابة العربية، فأوجد هؤلاء صورة حُرَفٍ على خلاف القياس الإملائي، وقياس تسهيل الهمزة الذي يدور في فلك صورة الحرف الذي تَتَكَّى عليه هذه الهمزة - رأيتُ أن أتحدَّثَ بإيجازٍ عن كَتَبِ تلك الهمزة التي ليس لها تُكَاةٌ في الرسم القرآني، ولعلَّ أهمَّ ما يمكن أن يُعَدَّ من هذه المسألة ما يأتي :

(١) الهمزة التي حُذِفَتْ صورة الألف تُكَاَتُها

لعلَّ أهمَّ ما يمكن عدُّه من باب حذف الألف تُكَاةُ الهمزة في المصحف الكريم، والاكتفاء بجعلها على الخط الذي يَصِلُ ما قبلها بما بعدها لا على النبذة أو السنَّ الصغيرة - ما يأتي :

١ - أن تكون الهمزة متوسطةً أو متوسطةً أصيلاً مفتوحةً ساكنةً ما قبلها^(٤٥) :

لعلَّ هذا الحذف يطرُد في فعل السؤال الذي تكون فيه الهمزة مفتوحةً

(٤٥) المصحف الذي اتخذته عمدتي في هذا البحث هو: المصحف المبسَّر، للشيخ عبد الجليل عيسى، بيروت - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ساكناً ما قبلها ، ومن ذلك (أَنْ أَسْأَلَكَ) (٤٦) ، (أَسْأَلُكُمْ) (٤٧) .
و (يَسْتَم) (٤٨) ، (تَجْفَرُونَ) (٤٩) ، و (يَنْشُونَ) (٥٠) ، و (تَأْيَسُّوا) (٥١) .
ومِمَّا يمكن عَدُّه من باب الاسم في هذه المسألة (المَشْمَةُ) (٥٢) ،
(يَثَامُ) (٥٣) وذكر الداني أنه لا يعلم همزة متوسطة قبلها ساكن رُسِمَتْ
صورته في المصحف إلا في (النشأة) (٥٤) ، و (مَوَيْلًا) (٥٥) ، وأجاز أن يُحْمَلَ
رِسْمُ الألف في (النشأة) على قراءة من فَتَحَ الشين (٥٦) .

(٢) أَنْ تكونَ الهمزة متوسطةً تَوْسُطاً عارضاً مفتوحةً ساكناً ما قبلها :

ومِمَّا يمكن عَدُّه من هذه المسألة الهمزة المفتوحة في كلمة قبل الهمزة

(٤٦) هود : ٤٧ .
(٤٧) الأنعام : ٩٠ . وانظر : هود : ٢٩ ، ٤٦ ، ٥١ ، الفرقان : ٥٧ ، الشعراء : ١٠٩ ، ١٢٧ ،
١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ ، ص : ٨٦ ، الشورى : ٢٣ ، الكهف : ٧٠ ، يوسف : ١٠٤ ،
المؤمنون : ٧٢ ، الطور : ٤٠ ، القلم : ٤٦ ، البقرة : ١٠٨ ، المائدة : ١٠١ ، طه : ١٣٢ ،
الأعراف : ٦ ، الحجر : ٩٢ ، الأحزاب : ٨ ، المعارج : ١٠ ، القيامة : ٦ ، النساء : ١٥٣ ،
الأحزاب : ٦٣ ، يس : ٢١ ، محمد : ٣٦ ، ٣٧ ، الرحمن : ٢٩ ، الممتحنة : ١٠ ، البقرة :
٢٧٣ ، الأحزاب : ٢٠ ، الذاريات : ١٢ . وانظر شواهد أخرى في المعجم المفهرس
لألفاظ القرآن الكريم (سأل) .

(٤٨) فصلت : ٤٩ ، وانظر : البقرة : ٢٨٢ ، فصلت : ٣٨ .

(٤٩) انظر : النحل : ٥٣ ، المؤمنون : ٦٤ ، ٦٥ .

(٥٠) الأنعام : ٢٦ .

(٥١) يوسف : ٨٧ . وانظر : يوسف : ٨٠ ، ١١٠ ، الرعد : ٣١ .

(٥٢) البلد : ١٩ .

(٥٣) الأعراف : ١٩ .

(٥٤) انظر : العنكبوت : ٢٠ ، النجم : ٤٧ ، الواقعة : ٦٢ .

(٥٥) الكهف : ٥٨ .

(٥٦) انظر : الداني ، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط : ٤٩ - ٥٠ ، قراءة فتح

الشين قراءة أبي عمرو بن العلاء وابن كثير . انظر عبد الرحمن بن زنجلة أبا زرعة ، حجة

القراءات ، تحقيق سعيد الأفغاني ، بيروت - مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ -

١٩٧٩ م : ٥٤٩ .

فيها حرف اتّصال، ومن ذلك (شَيْثًا)^(٥٧)، و (وَطْثًا)^(٥٨)، و (خِطْثًا)^(٥٩)، و (بَرِثًا)^(٦٠)، و (هَنْثًا مَرِثًا)^(٦١)، و (خَطِثَةً)^(٦٢)، و (هَيْثَةً)^(٦٣). وَمِمَّا فِيهِ مَا قَبْلَ الْهَمْزَةِ لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ الْإِتِّصَالِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ (جُزْءًا)^(٦٤).

(٣) أَنْ تَكُونَ الْأَلْفُ صُورَةَ الْهَمْزَةِ قَدْ حُذِفَتْ لِنَوَالِي الْأَمْثَالِ :

ومن ذلك (تراءا)^(٦٥) الذي حُذِفَتْ فِيهِ الْأَلْفُ صُورَةَ الْهَمْزَةِ لِنَوَالِي الْأَلْفَيْنِ، قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا، إِذْ تُخَلَّصُ مِنْ نَوَالِي أَلْفَاتِ ثَلَاثٍ بِحَذْفِ أَلْفِ الْهَمْزَةِ. و (أَبْنَاءُكُمْ)^(٦٦)، و (أَبْنَاءُنَا)^(٦٧)، و (أَبْنَاءُكُمْ)^(٦٨)، و (نِسَاءُنَا)^(٦٩)، و (نِسَاءُكُمْ)^(٧٠)، و (نِسَاءُكُمْ)^(٧١)، و (أُولِيَاءُهُ)^(٧٢)، و (جَاءَنِي)^(٧٣)، وَغَيْرِهِ

(٥٧) انظر: آل عمران، ١٢٠، ١٤٤، ١٧٦، ١٧٧، النساء: ١٩، ٢٠، ٣٦، المائدة: ١٧،
٤١، ٤٢، ١٠٤، الأنعام: ٨٠، ١٥١، الأعراف: ١٩١، الأنفال: ١٩، التوبة: ٢٥، ٤،
٣٩، يونس: ٣٦، ٤٤، هود: ٥٧، النحل: ٢٠، ٧٠، ٧٣، ٧٨، وانظر المعجم
المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (شيثًا).

(٥٨) المزمّل: ٦.

(٥٩) الإسراء: ٣١.

(٦٠) النساء: ١١٢.

(٦١) النساء: ٤. وانظر: الطور: ١٩، الحاقة: ٢٤، المرسلات: ٤٣.

(٦٢) انظر: النساء: ١١٢، البقرة: ٨١، الشعراء: ٨٢، الأعراف: ١٦١، نوح: ٢٥.

(٦٣) انظر: آل عمران: ٤٩، المائدة: ١١٠.

(٦٤) انظر: البقرة: ٢٦٠، الزخرف: ١٥.

(٦٥) الشعراء: ٦١. وانظر الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ٣٢.

(٦٦) انظر: البقرة: ٤٩، آل عمران: ٦١، الأعراف: ١٤١، الأحزاب: ٤.

(٦٧) آل عمران: ٦١.

(٦٨) انظر: البقرة: ١٤٦، الأنعام: ٢٠، الأعراف: ١٢٧، القصص: ٤، المجادلة: ٢٢.

(٦٩) آل عمران: ٦١.

(٧٠) انظر الأعراف: ١٢٧، القصص: ٤، غافر: ٢٥.

(٧١) انظر: البقرة: ٤٩، آل عمران: ٦١، الأعراف: ١٤١، إبراهيم: ٦.

(٧٢) آل عمران: ١٧٥.

(٧٣) غافر: ٦٦.

مِمَّا اتَّصَلَتْ بِهِ ضَمَائِرُ النَّصْبِ أَوْ تَاءُ التَّائِيثِ السَّاكِنَةِ^(٧٤)، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا حُذِفَتْ فِيهِ الْأَلْفُ صُورَةُ الْهَمْزَةِ الْمَفْتُوحَةِ لِكِرَاهِيَةِ تَوَالِي الْفَيْنِ، الْأَلْفِ الْأُولَى وَالْفِ الْهَمْزَةِ. وَهِيَ مَسْأَلَةٌ لَا خِلَافَ فِيهَا بَيْنَ رِسْمِ الْمَصْحَفِ وَغَيْرِهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

وَذَكَرَ الدَّانِي^(٧٥) أَنَّهُمْ رَسَمُوا (جَانَا)^(٧٦) بِالْفِ وَاحِدَةً، عَلَى أَنَّ الْمَحْذُوفَةَ عَيْنُ الْفِعْلِ (الْيَاءُ الْمَقْلُوبَةُ أَلْفًا لِتَحَرُّكِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا)، وَالْأَقْيَسُ عِنْدَهُ حَذْفُ أَلْفِ الْهَمْزَةِ حِمْلًا عَلَى نَظَائِرِهِ.

(٤) أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ مَفْتُوحَةً مَفْتُوحًا مَا قَبْلَهَا:

وَمِمَّا حُذِفَتْ فِيهِ الْأَلْفُ صُورَةُ الْهَمْزَةِ لثَلَا تَتَوَالَى الْفَانِ (نَا)^(٧٧)، وَذَكَرَ الدَّانِي أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تُحْذَفَ الْأَلْفُ الَّتِي تُعَدُّ لَامَ الْفِعْلِ؛ لِأَنَّهَا مَنْقَلِبَةٌ عَنِ الْيَاءِ^(٧٨). وَ (رَاءُ)^(٧٩) إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ^(٨٠)، وَ (رَاءُ)^(٨١) وَ (رَاءُهَا)^(٨٢). وَيُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الدَّانِي أَنَّ الْمَحْذُوفَةَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَّةُ^(٨٣)، وَيُظْهِرُ لِي أَنَّ مَا عَلَيْهِ الْمَصْحَفُ الَّذِي اتَّخَذْنَاهُ عِمْدَتَنَا وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَصَاحِفِ الْقَدِيمَةِ

(٧٤) انظر: الأنعام، ١٠٩، الأعراف: ٤٣، الزمر: ٥٩، البقرة: ٨٧، ٨٩، ٩٢، ١٢٠، ١٤٥، آل عمران: ٦١، ٨١، المائدة: ١٩، ٨٤، مريم: ٤٣، الفرقان: ٢٩، الأعراف: ٤. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ج١).

(٧٥) انظر الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ٣٢.

(٧٦) الزخرف: ٣٨. وانظر الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ٣٢.

(٧٧) الإسراء: ٨٣، فصلت: ٥١.

(٧٨) انظر الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ٣٣.

(٧٩) الأحزاب: ٢٢.

(٨٠) انظر النجم: ١١، ١٨.

(٨١) انظر: النمل: ٤٠، فاطر: ٨، الصافات: ٥٥، النجم: ١٣، التكويد: ٢٣، العلق: ٧.

وانظر الأنبياء: ٣٦ (رَأَاكَ).

(٨٢) انظر: النمل: ١٠، القصص: ٣١.

(٨٣) انظر الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ٣٣.

أولى ؛ لأن صورة ألف الهمزة يشيع حذفها، لكونها عارضة، أما الثانية فأصيلة ؛ لكونها لام الفعل .

وقد حُذِفَت هذه الألفُ صورةُ الهمزة أيضاً فيما ليس فيه ألفان مِمَّا فيه لامٌ فعل الرؤية (الياء) غيرُ محذوفة على أن يكونَ مسبوقاً بهمزة الاستفهام، نحو (أَرَعَيْتَكَ)^(٨٤)، و (أَرَعَيْتَكُمْ)^(٨٥)، و (أَرَعَيْتُمْ)^(٨٦). ويظهر لي أن الحذف فيما مرُّ يُمكنُ تأويلُهُ زيادةً على توالي ألفين بينهما الراء - بالاعتداد بالأصل، وعليه فسكون الياء (لام الفعل) عارضٌ لكرهية توالي الحركات، إذ لو اعتد بالأصل لَقَلِبَت هذه الياءُ ألفاً. وتطالعنا ألفُ الهمزة مثبتة في غير ما مرَّ، نحو (رَأَيْتُمُوهُ)^(٨٧)، و (رَأَيْتُهُمْ)^(٨٨)، و (رَأَيْتُ)^(٨٩) و (رَأَتْهُ)^(٩٠)، و (رَأَوْا)^(٩١).

وذكر الداني أنه رأى أكثر مصاحف المدينة والعراق قد اتفقت على أن الألف صورة الهمزة قد حذفت في (أَمَلْتُمْ)^(٩٢)، و (أَطْمَنُوا)^(٩٣)، و (أَشْمَزَتْ)^(٩٤)، و (أَمْتَلْتِ)^(٩٥)، وأنه قد رأى الألف مثبتة في بعض

(٨٤) الإسراء: ٦٢. وانظر الملق: ٩، ١١، ١٣ (أَرَعَيْتَ).

(٨٥) انظر: الأنعام: ٤٧.

(٨٦) انظر: الأنعام: ٤٦، يونس: ٥٠، ٥٩، هود: ٢٨، ٦٣، ٨٨، الشعراء: ٧٥، القصص:

٧١، ٧٢، فاطر: ٤٠، الزمر: ٣٨، فصلت: ٥٢، الأحقاف: ٤، ١٠، النجم: ١٩،

الواقعة: ٥٨، ٦٣، ٦٨، ٧١، الملك: ٢٨، ٣٠.

(٨٧) آل عمران: ١٤٣.

(٨٨) انظر: يوسف: ٤، طه: ٩٢، الأحزاب: ١٩، المنافقون: ٤، الإنسان: ١٩.

(٨٩) انظر: يوسف: ١٤، ٣١.

(٩٠) انظر: النمل: ٤٤، الفرقان: ١٢.

(٩١) انظر: البقرة: ١٦٦، الأعراف: ١٤٩، يونس: ٥٤، يوسف: ٣٥، مريم: ٧٥، القصص:

٦٤، سبأ: ٣٣، الصافات: ١٤، غافر: ٨٤، ٨٥، الفرقان: ٤١، الروم: ٥١،

الأحقاف: ٢٤.

(٩٢) انظر: الأعراف: ١٨، هود: ١١٩، السجدة: ١٣، ص: ٨٥.

(٩٣) يونس: ٧.

(٩٤) الزمر: ٤٥.

(٩٥) ق: ٣٠.

المصاحف^(٩٦) . وقد كُتِبَتْ في المصحف الذي اتَّخَذْنَاهُ عَمَدَتَنَا وَغَيْرِهِ مِنْ
المصاحف في عصرنا - بالالف .

وَمِمَّا تُعَدُّ فِيهِ الْهَمْزَةُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مُتَوَسِّطَةً تَوْسِطاً عَارِضاً
(خَطأً)^(٩٧) و (مَلَجَأً)^(٩٨) ، و (مُتَكَّأً)^(٩٩) .

(٥) أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ سَاكِنَةً مُفْتَوْحاً مَا قَبْلَهَا :

وَمِمَّا يُعَدُّ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ (فَادَارَةٌ تُمْ)^(١٠٠) ؛ و (اسْتَدْنَكَ)^(١٠١)
و (يَسْتَدْنُكَ)^(١٠٢) ، و (اسْتَدْنُوكَ)^(١٠٣) ، و (اسْتَجَرْتَ)^(١٠٤) و
(اسْتَجِرْهُ)^(١٠٥) ، و (تَسْتَخِرُونَ)^(١٠٦) ، و (الْمُسْتَخِيرِينَ)^(١٠٧) ، و
(مُسْتَسِينٍ)^(١٠٨) . وَمِمَّا كُتِبَتْ فِيهِ الْأَلْفُ صُورَةُ الْهَمْزَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ
(تَسْتَأْنِسُوا)^(١٠٩) ، و (يَسْتَأْخِرُونَ)^(١١٠) .

(٦) أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ أَوَّلَ الْكَلِمَةِ وَبَعْدَهَا أَلْفٌ عَوْضٌ مِنْهَا مَدَّةٌ :

وَمِمَّا حُذِفَتْ فِيهِ الْأَلْفُ صُورَةُ الْهَمْزَةِ فِي الرَّسْمِ الْقُرْآنِيِّ فِي هَذِهِ

(٩٦) انظر الداني ، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط : ٣٣ - ٣٤ .

(٩٧) النساء : ٩٢ .

(٩٨) التوبة : ٥٧ .

(٩٩) يوسف : ٣١ . وانظر الداني ، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط : ٣٤ .

(١٠٠) البقرة : ٧٢ .

(١٠١) التوبة : ٨٦ .

(١٠٢) التوبة : ٤٤ .

(١٠٣) التوبة : ٨٣ .

(١٠٤) القصص : ٢٦ .

(١٠٥) القصص : ٢٦ .

(١٠٦) بآ : ٣٠ .

(١٠٧) الحجر : ٢٤ .

(١٠٨) الأحزاب : ٥٣ .

(١٠٩) النور : ٢٧ .

(١١٠) الأعراف : ٣٤ .

المسألة؛ للتخلص من توالي ألفين - الفعل، ومنه (ءَامَتُمْ) (١١١)، و
(ءَامَنُوا) (١١٢) و (ءَامَنَ) (١١٣) وغيرها من أفعال الإيمان التي من باب
(أَفْعَلَ) (١١٤)، و (ءَاتَيْنَا) (١١٥)، و (ءَأْتَى) (١١٦)، وغيرها مما يُعَدُّ من باب
(أَفْعَلَ) من فعل الإتيان (١١٧). وقياس رسم ما مر في كتابتنا حذف الألف
الثانية على أن يُعَوَّض منها المدة.

ومن الأسماء (ءَايَات) (١١٨)، (بِئَايَتِ) (١١٩)، و (ءَايَتُكَ) (١٢٠)، و
(ءَايَةُ) (١٢١)، وغيرها (١٢٢)، و (ءَابَاءَكُمْ) (١٢٣)، و (الْآخِرَةُ) (١٢٤)، و
(الْآخِرَى) (١٢٥)، و (ءَالِاف) (١٢٦)، و (ءَالَاء) (١٢٧)، و (ءَالِهَتُنَا) (١٢٨)، و
(ءَالِهَةُ) (١٢٩)، و (ءَالِهَتِي) (١٣٠) وغيرها (١٣١)، و (لَاكِلُونَ) (١٣٢).

(١١١) الأعراف: ٧٦.

(١١٢) البقرة: ١٣٧.

(١١٣) البقرة: ١٣.

(١١٤) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (أمن).

(١١٥) البقرة: ١٠٠.

(١١٦) البقرة: ١٧٧.

(١١٧) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (أمن).

(١١٨) البقرة: ٧٩.

(١١٩) البقرة: ٦١.

(١٢٠) آل عمران: ٤١.

(١٢١) آل عمران: ٤١.

(١٢٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (أي ي).

(١٢٣) البقرة: ٢٠٠. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: (أبو).

(١٢٤) البقرة: ٢٠٠، ٢٠١. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (آخر).

(١٢٥) البقرة: ٨. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (آخر).

(١٢٦) آل عمران: ١٢٤، ١٢٥.

(١٢٧) الرحمن: ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠.

(١٢٨) هود: ٥٣، ٥٤.

(١٢٩) الأنعام: ١٩. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (أله).

(١٣٠) مريم: ٤٦.

(١٣١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (أله).

(١٣٢) انظر: الصافات: ٦٦، المؤمنون: ٢، الواقعة: ٥٢.

وَمِمَّا يُمَكِّنُ عَدُّهُ مِنْ بَابِ الْهَمْزَةِ الْمَتَوَسِّطَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ
(بِرَّاءُؤَا) (١٣٣) و (الْقَرْءَان) (١٣٤)، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْأُخْرَى مِمَّا حُذِفَتْ
فِيهَا الْأَلِفُ صَوْرَةُ الْهَمْزَةِ الْمَتَوَسِّطَةِ الْأُولَى، أَوْ الْهَمْزَةُ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ؛
لِلتَّخْلُصِ مِنْ تَوَالِي الْأَمْثَالِ.

(٢) الْهَمْزَةُ الَّتِي حُذِفَتْ صَوْرَةُ الْوَائِ تُكَاتِّهَا

لَعَلَّ أَهَمَّ مَوَاضِعِ حَذْفِ الْوَائِ صَوْرَةُ الْهَمْزَةِ تِلْكَ الَّتِي تَتَجَاوَرُ فِيهَا
وَإِوَانٌ، أَوْ ثَلَاثٌ، إِذْ صِيرَ لِلتَّخْلُصِ مِنْ هَذَا التَّوَالِي إِلَى حَذْفِ وَائٍ فِيمَا فِيهِ
وَإِوَانٌ، أَوْ وَائِينِ فِيمَا فِيهِ ثَلَاثٌ. وَذَكَرَ ابْنُ وَثِيقٍ أَنَّ وَائِ الْهَمْزَةِ هِيَ الَّتِي
تَحْذَفُ سِوَاءَ أَكَانَ فِي الْكَلِمَةِ وَإِوَانٌ أَوْ ثَلَاثٌ زِيَادَةً عَلَى حَذْفِ وَائٍ أُخْرَى فِي
كُلِّ مَا فِيهِ ثَلَاثٌ (١٣٥).

وَمِمَّا يُعَدُّ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْوَائِ صَوْرَةُ الْهَمْزَةِ فِيمَا فِيهِ وَإِوَانٌ مُتَجَاوِرَتَانِ
تِلْكَ الْأَسْمَاءُ الَّتِي فِيهَا وَائٍ الْهَمْزَةُ وَوَائٍ أُخْرَى لَيْسَتْ وَائٍ الْجَمَاعَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ
الْأَفْعَالُ، وَمِنْهَا (وَتُؤَيِّ) (١٣٦)، وَ (تُؤَيِّهِ) (١٣٧)، وَ (وَلَا يُؤَدُّهُ) (١٣٨).
وَمِنْ الْأَسْمَاءِ (يَتُوسُّ) (١٣٩)، وَ (رُؤُوسُ) (١٤٠)، وَ (رُؤُوفُ) (١٤١) وَ

(١٣٣) الممتحنة : ٤ .

(١٣٤) البقرة : ١٨٥ ، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (قرأ) .

(١٣٥) انظر ابن وثيق، الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف : ٤٣ ، الداني المقنع في رسم
مصحف الأمصار مع كتاب النقط : ٤٣ .

(١٣٦) الأحزاب : ٥١ .

(١٣٧) المعارج : ١٣ .

(١٣٨) البقرة : ٢٥٥ .

(١٣٩) انظر : هود : ٩ ، فصلت : ٤٩ ، الإسراء : ٨٣ .

(١٤٠) انظر : البقرة : ١٩٦ ، المائدة : ٦ ، الفتح : ٢٧ ، إبراهيم : ٤٣ ، الإسراء : ٥١ ، الأنبياء :

٦٥ ، الحج : ١٩ ، السجدة : ١٢ .

(١٤١) انظر : البقرة : ١٤٣ ، ٢٠٧ ، آل عمران : ٣٠ ، التوبة : ١١٧ ، ١٢٨ . وانظر المعجم

المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (رأف) .

(مَسْئُول) (١٤٢). ولعلِّي لم أوفق في الاهتداء إلى ما يمكن أن يكون المحذوف فيه الواو الثانية، أو إلى من ينض من القدامى مِمَّنْ صَنَّفُوا في رسم المصحف على ذلك، وعليه إنني أذهب بلا تردد إلى وَشَمِ رسم ما مرُّ بواو واحدة، هي واو الهمزة - بالغلط، وأن من أجاز هذه المسألة لم يتبين حقيقة الأمر، أو لم يطلع على مذهب القدامى فيها؛ ولذلك فإنني أدعو إلى عدم إجازة ما مرُّ لمخالفته ما عليه القدامى زيادةً على توافر اللبس؛ لمغايرة المنطوق للمكتوب. أمَّا رسم الهمزة على أنبرة أو سن صغيرة في (يُثوس) وأضرابه فمن ابتكار مَنْ صَنَّفُوا في الرسم الإملائي من المحدثين، كما سيأتي.

ومِمَّا فيه الواو الثانية للجماعة من الأفعال على أن المحذوف واو الهمزة (جاءوا) (١٤٣)، و(باءوا) (١٤٤)، و(أساءوا) (١٤٥)، و(تشاءون) (١٤٦)، و(يشاءون) (١٤٧)، و(أقرءوا) (١٤٨)، و(يقرءون) (١٤٩)، و(يراءون) (١٥٠). ولم يطالغني حذف واو الجماعة وابقاء واو الهمزة في رسم المصحف البتة، والقول نفسه في عدم نص مصنفي كتب الرسم القرآني على هذه المسألة، وعليه فإن مَنْ يَكْتُب (جاءوا) بواو واحدة، كما يطالغنا به المحدثون - يُعَدُّ من باب الغلط؛ لأن مذهب القدامى من كتابة المصحف وغيرهم على خلاف

(١٤٢) انظر: الإسراء: ٣٤، الفرقان: ١٦، الأحزاب: ١٥، الصافات: ٢٤.

(١٤٣) انظر: آل عمران: ١٨٤، الأعراف: ١١٦، يوسف: ١٦، ١٨، النور: ١١، ١٣،

الفرقان: ٤، النمل: ٨٤، الحشر: ١٠. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (جاء).

(١٤٤) انظر: آل عمران: ١١٢، البقرة: ٦١، ٩٠.

(١٤٥) انظر: الروم: ١٠، النجم: ٣١.

(١٤٦) انظر: الإنسان: ٣٠، التكوين: ٢٩.

(١٤٧) انظر: النحل: ٣١، الفرقان: ١٦، الزمر: ٣٤، الشورى: ٢٢، ق: ٣٥.

(١٤٨) الحاقة: ١٩.

(١٤٩) انظر: يونس: ٩٤، الإسراء: ٧.

(١٥٠) الماعون: ٦.

ذلك، زيادةً على تحقيق اللبس الذي يتوافر بمغايرة المنطوق للمكتوب، والتباس المكتوب بآخر، نحو: لم يَقْرُوا (مسنداً إلى واو الجماعة)، (ويَقْرُوا) على مذهب من يعتد بحركة الهمزة المتطرفة، فيعاملها معاملة المتوسطة، كما سيأتي، ولا سيما أن هنالك مَنْ يدعو إلى عدم زيادة الألف الفارقة بعد واو الجماعة. وقد حُذِفَتْ واو الهمزة في جمع المذكر السالم في (مُبرِّئون) (١٥١).

ومِمَّا حُذِفَتْ فيه واو الهمزة وأخرى من كلِّ ما فيه ثلاث واوات متجاورات (لِيسُوا) (١٥٢) على أن هاتين الواوين حُذِفَتَا للتخلص من توالي الأمثال كَتَبُوا (المؤدَّة) (١٥٣). ويظهر لي أن الواو الثانية التي حُذِفَتْ فيما مرَّ في الرسم القرآني ناب عنها في المصحف الذي اتَّخَذْنَاهُ عَمَدَتَنَا تلك المدة فوق ضمة ما قبل واو (لِيسُوا) الأولى، والقول نفسه في (المؤدَّة) التي كُتِبَتْ فيها واو صغيرة بعد الهمزة. ولستُ أَنْكِرُ أن الداني (١٥٤) وابن وثيق (١٥٥) قد نصَّبا على حذف واو الجماعة زيادةً على واو الهمزة وهي مسألة توحى بأن واو الجماعة التي تُعَرَّبُ فاعلاً - يجوزُ حذفها في الرسم. ولعلَّ الأظهر عدم الحذف لأن واو الجماعة فاعل، والفاعل لا يصحُّ حذفه عند جمهور النحويين إلا فيما يُعَدُّ من باب (لا تَلْعَبْنَ، ولا تَلْعَبْنَ) لالتقاء الساكنين، ولست أدعو في ذلك إلى حذف الواو الأخرى؛ لأن في حذفها تحققاً للبس في اللفظ الذي يتبعه لبس في المعنى، وعليه فإنني أذهب بلا تردُّدٍ إلى كتب ما مرَّ بواوين على أن واو الهمزة تُحذفُ للتخلص من توالي الواوات في كتاباتنا. ولعلَّ ما يُعَزِّز ما أذهب إليه أن (تِسْؤُوا) (١٥٦) قد كُتِبَتْ فيها واو

(١٥١) النور: ٢٦.

(١٥٢) الإسراء: ٧.

(١٥٣) التكوين: ٨.

(١٥٤) انظر الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ٤٣.

(١٥٥) انظر ابن وثيق، الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف: ٤٣.

(١٥٦) الحشر: ٩.

الجماعة على الرغم من أنَّ فيها أربعَ واوَاتٍ (الواوَانِ المُدْغِمَتَانِ، وواو الهمزة، وواو الجماعة).

وقد ورد حذف واو الهمزة فيما ليس فيه توالي واوين في الرسم القرآني، ولعلَّ هذه المسألة تكادُ تكون محصورةً في (الرَّءْيَا) ^(١٥٧)؛ لأنَّ الرءاء شُبِّهتْ بالسواو على رأي ابن وثيق ^(١٥٨). أمَّا ما كان من باب (جزاؤه) ^(١٥٩) وأضرابه مِمَّا فيه همزة مضمومة بعد ألف - فلم تُحذف فيه الواو صورة الهمزة في الرسم القرآني اعتداداً بالعارض؛ لأنَّ الهمزة في الأصل متطرِّفة بعد ساكن، أو حملاً على معاملة المتطرِّفة معاملة المتوسطة، إذ تتكفَّل حركة الهمزة في هذه المسألة بتحديد صورتها. وذكر الداني ^(١٦٠) أنَّ في بعض المصاحف القديمة حذف الواو صورة الهمزة فيما مرَّ، وأنَّ في مصاحف أهل العراق حذف واو الهمزة والألف في (أُولَيْسُهُمْ) ^(١٦١) على أنَّ الهمزة ليس لها نُكَاةٌ.

وبعدُ فيتبيَّن لنا مِمَّا مرَّ أنَّ الواو صورة الهمزة تُحذف في كلِّ ما فيه واوان متجاورتان فعلاً كان أو اسماً؛ للتخلُّص من توالي واوين، وواو أخرى زيادةً على واو الهمزة في كلِّ ما فيه ثلاث واوَاتٍ متجاورات اسماً كان أو فعلاً إلا (تَبَوَّعُوا)، كما مرَّ، على الرغم من بقاء ثلاث واوَاتٍ بعد حذف واو

(١٥٧) انظر: يوسف: ٥، ٤٣، ١٠٠، الإسراء: ٦٠، الصافات: ١٠٥، الفتح: ٢٧.

(١٥٨) انظر: ابن وثيق، الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف: ٤٣، الداني المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ٤٣.

(١٥٩) انظر: النساء: ٩٣، يوسف: ٧٤، ٧٥، الإسراء: ٦٣، ٩٨، آل عمران: ٨٧، ١٣٦، الكهف: ١٠٦، البينة: ٨.

ومن ذلك أيضاً (أَبَاوَهُمْ) انظر: البقرة: ١٧٠، المائدة: ١٠٤، هود: ١٠٩، يس: ٦. وانظر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (أبو)، و (أولياؤه) (انظر: فصلت: ٣١، الأنفال: ٣٤، البقرة: ٢٥٧، الأنعام: ١٢٨).

(١٦٠) انظر الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، مع كتاب النقط: ٤٤.

(١٦١) انظر: البقرة: ٢٥٧، الأنعام: ١٢٨، الأحزاب: ٦.

الهمزة. ويتبين لنا أيضاً أن حذف واو الجماعة في الأفعال قد أجازته من صُنِفُوا في رسم المصحف على الرغم من أن المصحف الذي اتخذناها عمدتنا في هذا البحث - لم يطالعنا فيه هذا الحذف، وهي مسألة لا أوافقهم فيها لما مر، ولكونها تؤدي إلى أن يُغايَر المنطوق المكتوب. ولست أميل أيضاً في كتابتنا في غير الرسم القرآني - إلى حذف غير واو الهمزة من الواوِين أو ثلاث الواوات، على الرغم من توالي الأمثال المشار إليه، ليطابق المنطوق المكتوب، وليتحقق أمن اللبس قراءة ومعنى. ويتبين لنا أيضاً أن الواو صورة الهمزة قد حُذِفَتْ في (الرُّؤْيَا) على الرغم من أن توالي الأمثال ليس متوافراً فيها، وأن هذه الواو قد جاء حذفها في مثل (أُولَئِهِمْ)، على أن حركة الهمزة (الضمة) تتكفل بتحقيق أمن اللبس بين المرفوع والمجرور.

(٣) الهمزة المتوسطة التي حُذِفَتْ صورة الياء تُكَاتِهَا

تُحَذَفُ الياء صورة الهمزة في كل ما يمكن أن يُحْمَلَ على تجاوز ياءين، إحداهما صورة الهمزة، للتلخُّص من توالي الأمثال. ومما تقدّمت فيه الهمزة التي حُذِفَتْ صورتُها (الصبيّين)^(١٦٢)، و (المُسْتَهْزِئِينَ)^(١٦٣) و (مُنْكِثِينَ)^(١٦٤)، و (خَطِئِينَ)^(١٦٥)، و (الْحَسِثِينَ)^(١٦٦)، ومما وقعت فيه الهمزة بعد الألف (إسرائيل)^(١٦٧)، و (شركاءي)^(١٦٨)، و (وراءِي)^(١٦٩). ويظهر لي أن الياء صورة الهمزة لا تُحَذَفُ إذا كانت المِثْلُ الثاني،

(١٦٢) انظر: البقرة: ٦٢، الحج: ١٧.

(١٦٣) الحجر: ٩٥.

(١٦٤) انظر: الكهف: ٣١، ص: ٥١، الطور: ٢٠، الرحمن: ٥٤، ٧٦، الواقعة: ١٦.

(١٦٤) انظر: النساء: ١١٢، البقرة: ١٨، الشعراء: ٨٢.

(١٦٦) انظر: البقرة: ٦٥، ١٦٦.

(١٦٧) البقرة: ٤٠. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (إسرائيل).

(١٦٨) انظر: النحل: ٢٧، الكهف: ٥٢، القصص: ٦٢، ٧٤، فصلت: ٤٧.

(١٦٩) مريم: ٥.

، ويسدو ذلك بينا في (يُسْ) (١٧٠) وَيَسُوا (١٧١)، و (يَسْنَ) (١٧٢)، والقول نفسه فيما فيه قبل هذه الياء ياءً مشددة، نحو (سَيِّئًا) (١٧٣)، و (سَيِّئَةً) (١٧٤)، إذ لم تُحذف صورة الهمزة على الرغم من توالي ثلاثة أمثال. ولعل ذلك يعود إلى أن التاء المربوطة أو ألف التنوين التي تأتي بعد الهمزة تعدّان خفيفتين، وعارضتين لا يُعتدُّ بهما، ويُعزّز ما نذهبُ إليه أنها حذفت في (السيئات) (١٧٥). وذكر الداني أنهم كرهوا الجمع بين ياءين وألف مع ثقل الجمع (١٧٦). ويسطالعنا هذا التوالي أيضاً في (هَيَّءَ) (١٧٧)، و (يُهَيَّءُ) (١٧٨)، ويمكن حمل هذه المسألة في هذين الفعلين على أن الهمزة متطرفة مكسورة ما قبلها، والقول نفسه في (السَّيِّءُ) (١٧٩). وذكر الداني (١٨٠) أن هذه الألفاظ الثلاثة كُتِبَتْ في بعض المصاحف بألف (صورة الهمزة)، ويظهر لي أن ذلك على مذهب من يكتب الهمزة أياً كان موضعها على ألف. ويطرّد حذف الياء صورة الهمزة في الرسم القرآني في كل ما فيه همزة مكسورة ما قبلها وبعدها واو في الأفعال الخمسة وجمع المذكر السالم، ويمكن عدّ ذلك من باب توالي واوين حملاً على أن كتبه المصحف من

(١٧٠) المائدة : ٣ .

(١٧١) انظر : الممتحنة : ١٣ ، العنكبوت : ٢٣ .

(١٧٢) الطلاق : ٤ .

(١٧٣) التوبة : ١٠٢ .

(١٧٤) انظر : الإسراء : ٣٨ ، البقرة : ٨١ ، آل عمران : ١٢٠ ، النساء : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٥ ، الأنعام :

١٦٠ ، الأعراف : ٩٥ ، ١٣١ ، يونس : ٢٧ .

(١٧٥) انظر : النساء : ١٨ ، الأعراف : ١٥٣ ، ١٦٨ ، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (سوء) .

(١٧٦) انظر الداني ، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط : ٤٥ .

(١٧٧) الكهف : ١٠ .

(١٧٨) الكهف : ١٦ .

(١٧٩) فاطر : ٤٣ .

(١٨٠) انظر : الداني ، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط : ٥٧ ، ابن وثيق ،

الجامع لما يحتاج إليه في رسم المصحف : ٤٥ .

المحتمل أن يكونوا قد اعتدوا بحركة الهمزة (الضمة) لا بحركة ما قبلها (الكسرة)، أو عدّه من باب الثقل الذي يعود إلى كسر ما قبل ياء الهمزة، وتجاوز هذه الياء والواو، حرف المد واللين، ويبدو ذلك بيّناً في تسهيل الهمزة. ولعلّ ما يُعزّز ما أذهب إليه أن هذه الياء، صورة الهمزة، لا تُحذف إذا لم تأتِ الواو المشار إليها بعدها في المصحف الكريم، نحو (سَائِبُكَ) ^(١٨١)، و (نُبَيْكُم) ^(١٨٢) و (يُبَيْكُ) ^(١٨٣)، وغير ذلك مما يدور في فلك فعل التنبيء غير المسند إلى واو الجماعة. أمّا المسند إلى هذه الواو فتطالعنا هذه الياء فيه محذوفة، نحو (نُبُونِي) ^(١٨٤)، و (أُنْبُونِي) ^(١٨٥)، و (يَسْتَنْبُونُكَ) ^(١٨٦)، و (أُنْبُونُ) ^(١٨٧). ومن الأفعال الأخرى في هذه المسألة (يُضَاهُونُ) ^(١٨٨)، و (يَسْتَهْزِءُونَ) ^(١٨٩)، و (استهزءوا) ^(١٩٠)، و (ليواطئوا) ^(١٩١)، و (أَنْ يُطْفِئُوا) ^(١٩٢). ومن جمع المذكر السالم الذي حذفت فيه الياء صورة الهمزة في هذه المسألة (مالئون) ^(١٩٣)، و (مستهزءون) ^(١٩٤).

(١٨١) انظر: الكهف: ١٨، يونس: ٢٣.

(١٨٢) الكهف: ١٠٣.

(١٨٣) فاطر: ١٤.

وانظر: فصلت: ٥٠، المائدة: ١٤، ٤٨، يوسف: ٣٦، الحجر: ٤٩، ٥١. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (نبأ).

(١٨٤) الأنعام: ٤٣.

(١٨٥) البقرة: ٣١.

(١٨٦) يونس: ٥٣.

(١٨٧) يونس: ١٨.

(١٨٨) التوبة: ٣٠.

(١٨٩) انظر: التوبة: ٦٥، الأنعام: ٥، ١٠، هود: ٨، الحجر: ١١، النحل: ٣٤. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (نبأ).

(١٩٠) التوبة: ٦٤.

(١٩١) التوبة: ٣٧.

(١٩٢) التوبة: ٣٢، الصف: ٨.

(١٩٣) الصفات: ٦٦، الواقعة: ٥٣.

(١٩٤) البقرة: ١٤.

وَمِمَّا يُمْكِنُ عُدُّهُ مِنْ غَيْرِ مَا مَرَّ حَذْفُ الْيَاءِ صَوْرَةَ الْهَمْزَةِ الْمَكْسُورَةِ
السَّاكِنِ مَا قَبْلَهَا، وَيَبْدُو ذَلِكَ بَيِّنًا فِي (أَفْئِدَةً) (١٩٥). وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ
يَعُودُ إِلَى أَنَّهَا عَوَمِلَتْ مَعَامِلَةَ الْمَفْتُوحَةِ السَّاكِنِ مَا قَبْلَهَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، كَمَا
مَرَّ، لِيَطْرُدَ الرَّسْمُ الْقِرَآنِي فِي ذَلِكَ. أَوْ أَنَّهَا مَحْمُولَةٌ عَلَى قِرَاءَةِ حَذْفِ الْهَمْزَةِ
بَعْدَ نَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَى الْفَاءِ قَبْلَهَا (أَفِئِدَةً) (١٩٦).

(٤) الْهَمْزَةُ الْمَتَطَرِفَةُ الَّتِي حُذِفَتْ تُكَاتُّهَا

يَبْدُو أَنَّ أَصُولَ الْإِمْلَاءِ وَقَوَاعِدَهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ تَدَوَّرُ فِي
فَلَكَ تِلْكَ الَّتِي تَطَالَعْنَا فِي الرَّسْمِ الْقِرَآنِيِّ إِلَّا فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، فَالْهَمْزَةُ
الْمَتَطَرِفَةُ فِي الرَّسْمِ لَا يُعْتَدُّ بِحَرَكَتِهَا الْبَتَّةُ بَلْ بِحَرَكَتِ مَا قَبْلَهَا، إِذْ تُرْسَمُ عَلَى
حَرْفٍ مِنْ جَنْسِ تِلْكَ الْحَرَكَتِ، فَإِنْ كَانَتْ فَتْحَةً فَصَوْرَتُهَا الْأَلْفُ، وَإِنْ كَانَتْ
كَسْرَةً فَالْيَاءُ، وَإِنْ كَانَتْ ضَمَّةً فَالْوَاوُ، وَإِنْ كَانَ مَا قَبْلَهَا سَاكِنًا فَعَلَى السَّطْرِ
مَنْفُودَةً (١٩٧). وَمِمَّا رُسِمَتْ فِيهِ عَلَى أَلْفٍ حَمَلًا عَلَى مَا مَرَّ (بَدَأُ) (١٩٨)، وَ
(أَسْوَأُ) (١٩٩)، وَ (أَقْرَأُ) (٢٠٠)، وَ (أَنْشَأُ) (٢٠١). وَمِمَّا رُسِمَتْ فِيهِ عَلَى يَاءٍ
(يُنْشِئُ) (٢٠٢)، وَ (أَمْرِي) (٢٠٣). وَمِمَّا رُسِمَتْ فِيهِ عَلَى وَ (لَوْ لَوْ) (٢٠٤).
وغير ذلك من الألفاظ المختلفة التي تطالعنا في القرآن الكريم.

(١٩٥) انظر الأنعام: ١١٣، إبراهيم: ٣٧، النحل: ٧٨.

(١٩٦) انظر كتابنا الحمل على الجوار في القرآن الكريم، الرياض - مكتبة الرشيد، الطبعة
الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م: ١١٤.

(١٩٧) انظر: الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ٦٨. ابن وثيق،
الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ٧٥.

(١٩٨) انظر: يوسف: ٧٦، العنكبوت: ٢٠. وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
(بدا).

(١٩٩) الزمر: ٣٥.

(٢٠٠) انظر: الإسراء: ١٤، العلق: ٣، ١.

(٢٠١) انظر الأنعام: ١٤١، المؤمنون: ٧٨.

(٢٠٢) انظر: الرعد: ١٢، العنكبوت: ٢٠.

(٢٠٣) انظر: النور: ١١، الطور: ٢١، المعارج: ٣١.

(٢٠٤) انظر: الطور: ٢٤، الرحمن: ٢٢، الواقعة: ٢٣، الحج: ٢٣.

ولعلَّ ضالَّتُنَا في هذا البحث تلك الهمزة المتطرفة، التي حُذِفَتْ صورتها؛ لأنَّ ما قبلها ساكن مُعْتَلٌّ أو صحيحٌ، ومن الحرف الصحيح ((الْحَبَاءُ))^(٢٠٥)، و((دِفَاء))^(٢٠٦)، و((جُزْء))^(٢٠٧)، و((مِلْء))^(٢٠٨)، و((الْمَرْء))^(٢٠٩). ومِمَّا فيه قبل الهمزة ألفٌ أو واوٌ أو ياءٌ في هذه المسألة (شيء)^(٢١٠)، و((بريء))^(٢١١)، و((المُسيءُ))^(٢١٢)، و((السُّوء))^(٢١٣)، و((قُرُوء))^(٢١٤)، و((شاء))^(٢١٥)، و((تشاء))^(٢١٦)، و((ساء))^(٢١٧)، و((جاء))^(٢١٨)، و((سواء))^(٢١٩)، وغير ذلك من الألفاظ التي تطالعنا هنا وهناك في القرآن الكريم. وذكر الداني^(٢٢٠) وغيره^(٢٢١) أنَّ صورة الهمزة حُذِفَتْ فيما مرَّ حملاً على ذهابها في التخفيف لفظاً، فساير المكتوب الملفوظ فيها، ولعلَّ ما يُعزِّز هذا الحذف أنَّ الهمزة تُحذفُ ويعوَّضُ منها تشديدُ الحرف

(٢٠٥) النمل : ٢٥ .

(٢٠٦) النحل : ٥ .

(٢٠٧) الحجر : ٤٤ .

(٢٠٨) آل عمران : ٩١ .

(٢٠٩) البقرة : ١٠٢ ، الأنفال : ٢٤ .

(٢١٠) البقرة : ٢٠ ، ٢٩ ، ١٠٦ ، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (شاء)

(٢١١) انظر : الأنعام : ١٩ ، ٧٨ ، الأنفال : ٤٨ ، التوبة : ٣ . وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (بريء) .

(٢١٢) غافر : ٥٨ .

(٢١٣) انظر : التوبة : ٩٨ ، النحل : ٦٠ ، مريم : ٢٨ .

(٢١٤) البقرة : ٢٢٨ .

(٢١٥) انظر : البقرة : ٢٠ ، ٧٠ ، ٢٢٠ . وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

(شاء) .

(٢١٦) انظر : آل عمران : ٢٦ ، ٢٧ ، الأعراف : ١٥٥ .

(٢١٧) انظر : العنكبوت : ٤ ، الصافات : ١٧٧ ، الجاثية : ٢١ .

(٢١٨) انظر : النساء : ٤٣ ، المائدة : ٦ . وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (جاء) .

(٢١٩) انظر : البقرة : ٦ ، ١٠٨ ، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (سوى) .

(٢٢٠) انظر الداني : المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط : ٦٨ .

(٢٢١) انظر ابن وثيق ، الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف : ٧٥ .

الذي قبلها، ومن ذلك قراءة ابن القَعْقَاع: «لكلِّ سبَابٍ منهم جُزٌ مقسوم»^(٢٢٢) بالتشديد^(٢٢٣).

ويمما يمكن عدّه على خلاف ما مرّ في الرسم القرآني كُتِبَ الهمزة المتطرّفة المضمومة بعد ألف المدّ - على واو بعدها ألفٌ مزيدة، نحو (جزأوا) في المائدة^(٢٢٤)، والشورى^(٢٢٥)، والحشر^(٢٢٦). وفي المواضع الأخرى في القرآن الكريم رُسِمَت قياسيًّا^(٢٢٧) إلّا في بعض المصاحف، إذ كُتِبَ بعضها بالواو والألف كما مرّ^(٢٢٨). و (شركؤا) في الأنعام والشورى^(٢٢٩). وفي المواضع الأخرى رُسِمَت قياسيًّا ولم تُحذف الألف التي قبلها^(٢٣٠)، و (أنبؤا) في الأنعام^(٢٣١)، والشعراء^(٢٣٢). و (علمؤا) في الشعراء^(٢٣٣) وفاطر^(٢٣٤)، و (الضعفؤا) في إبراهيم^(٢٣٥)، وغافر^(٢٣٦)، وأمّا

(٢٢٢) الحجر: ٤٤.

(٢٢٣) انظر د. عبد الفتاح الحموز، الحمل على الجوار في القرآن الكريم: ١١٤.

(٢٢٤) المائدة: ٢٩، ٣٣.

(٢٢٥) الشورى: ٤٠.

(٢٢٦) الحشر: ١٧.

(٢٢٧) انظر: المائدة: ٨٥، ٩٥، التوبة: ٢٦، يونس: ٢٧، يوسف: ٣٥ وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (جزى).

(٢٢٨) انظر الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ٦٣، ابن وثيق، الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ٧٦.

(٢٢٩) الأنعام: ٩٤.

(٢٣٠) الشورى: ٢١.

(٢٣١) انظر: النساء: ١٢، الأنعام: ١٠٠، الأعراف: ١٩٠.

(٢٣٢) الأنعام: ٥.

(٢٣٣) الشعراء: ٦.

(٢٣٤) القصص: ١١.

(٢٣٥) الشعراء: ١٩٧.

(٢٣٦) فاطر: ٢٨.

(٢٣٧) إبراهيم: ٢١.

(٢٣٨) غافر: ٤٧.

التي في البقرة^(٢٣٩) فَكُتِبَتْ قِيَاسِيًّا . و (نشؤا) التي لم ترد في القرآن بهذا الرسم إلا هي^(٢٤٠) ، و (دعوا) في غافر وحدها^(٢٤١) ، و (شفعوا) في الرم^(٢٤٢) ، و (البلوا) في الصافات^(٢٤٣) ، والدخان^(٢٤٤) .

ولعل السبب في هذه المغايرة في الرسم القرآني لما يعد قياساً في الأصل الأملائي - يعود عند الداني وغيره إلى نية الاتصال وتسهيل الهمزة، إذ تصبح الهمزة المتطرفة فيما مر بهذا الاتصال متوسطةً وتوسطاً عارضاً؛ ولذلك كُتِبَتْ على واو؛ لأنها تُسَهِّلُ بحذف الهمزة^(٢٤٥) . ويحمل الدكتور غانم قدوري حذف الألف قبل الهمزة على استطالة هذه الألفاظ بالواو صورة الهمزة والألف التي بعدها: «ويمما يلاحظ على الأمثلة السابقة التي أُثِبَتْ الواو في آخرها إشارة إلى ما تؤول إليه الهمزة عند التخفيف والتي تسبق الهمزة فيها فتحة طويلة - أن رمز الألف التي تشير إلى تلك الفتحة الطويلة قد جاءت غير مثبتة في جميعها، وكأن إثبات الواو في آخر الكلمة والألف بعدها قد جعل الكتاب يشعرون أن الكلمة قد استطالت في رسمها، فسوّغ لهم ذلك عدم إثبات الألف قبل الواو...»^(٢٤٦) . ويظهر لي رأي آخر على خلاف ما ذهب إليه الداني والدكتور الفاضل، وهو يكمن في أن ما دعا كتبه المصحف إلى كُتِبَ هذه الهمزة على واو - حذفهم الألف التي قبلها، وهو حذف قد طالعنا في ألفاظ كثيرة لكثرة الاستعمال التي أفردنا لها بحثاً^(٢٤٧) ،

(٢٣٩) البقرة: ٢٦٦ .

(٢٤٠) هود: ٨٧ .

(٢٤١) غافر: ٥٠ .

(٢٤٢) الروم: ١٣ .

(٢٤٣) الصافات: ١٠٦ .

(٢٤٤) الدخان: ٣٣ .

(٢٤٥) انظر: الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ٦١، وانظر د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٣٩٢ .

(٢٤٦) د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٣٩٥ .

(٢٤٧) انظر د. عبد الفتاح الحموز، ظاهرة كثرة الاستعمال ومسائنها في العربية، المجلة العربية

للعلوم الإنسانية، مجلد ٧، شتاء ١٩٨٧م، العدد: ٢٥ : ٤٣

وَحَذْفُهَا يُؤَدِّي إِلَى الإِجْحَافِ فِي الحذف، لَأَنَّ فِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ أَيْضاً حَذْفَ
صورة الهمزة، ولذلك صير إلى رسم هذه الهمزة على واو ليكون ذلك ضرباً
من التعاوض، ولعلَّ ما يعزّز ما أذهب إليه أَنَّ المواضع التي ذُكِرَتْ فِيهَا هَذِهِ
الْأَلْفُ فِي المصحف الكريم تُرِكَتْ فِيهَا هَذِهِ الْوَاوُ وَالْأَلْفُ الَّتِي بَعْدَهَا. ولعلَّ
اختيار الواو لتكون صورة الهمزة فيما مرَّ يعود إلى الضمة حركتها القويّة، كما
مرَّ فِي الْأَلْفِ أُخْرَى قَدْ بَسَطْنَا الحديث فيها، ويعزّز ذلك أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ
يُرْسِمُ الهمزة المتطرّفة على حسب حركتها لا حركة ما قبلها. أما زيادة الألف
بعد واو الهمزة فيعود في رأيي إلى الإيماء إلى تخفيف الهمزة المفتوح ما
قبلها في الوقف. وحملها الكسائيُّ على تقوية الهمزة لخفائها، وأبو عمرو بن
العلاء على تشبيه واو الهمزة هذه بواو الجماعة التي جيء بالألف الفارقة
بعدها^(٢٤٨). والصحيح عند الدكتور غانم قدوري مذهب أبي عمرو بن
العلاء بقيد أَنَّ الواو ليست صورة الهمزة بل هي الواو الضعيفة المتخلفة، عن
تخفيف الهمزة المضمومة بعد فتحة^(٢٤٩). ولعلَّ ما يعزّز ما ذهبنا إليه من
حيث كون الواو فيما مرَّ صورة الهمزة حملاً على حركتها - قولُ الزمخشري :
«وَكُتِبَتْ (شَفَعُوا)^(٢٥٠) فِي المصحف بواو قبل الألف، كما كُتِبَ (عَلِمُوا) بِنِي
إِسْرَائِيلَ^(٢٥١)، وكذلك كُتِبَتْ (السُّوْأَى)^(٢٥٢) بِالْفِ قَبْلَ الْيَاءِ إِبْتِثَاناً لِلْهِمَزَةِ
عَلَى صُورَةِ الْحَرْفِ الَّذِي مِنْهُ حَرَكَتُهَا^(٢٥٣)، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ يَذْكَرُ فِي
مَكَانٍ آخَرَ أَنَّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى لُغَةٍ مِنْ يُمِيلُ الْأَلْفُ إِلَى الْوَاوِ، وَهِيَ لُغَةٌ قَدْ

(٢٤٨) انظر الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط : ٦٥.

(٢٤٩) د. غانم قدوري، رسم المصحف : ٣٩٤.

(٢٥٠) الروم : ١٣.

(٢٥١) الشعراء : ٢٩٧.

(٢٥٢) الروم : ١٠.

(٢٥٣) جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ)، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون

الأقوال في وجوه التأويل، القاهرة - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة

الآخيرة، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م : ٢١٦/٣. وانظر د. غانم قدوري، رسم المصحف :

٣٩٤.

كُتِبَتِ (الصلوة) وغيرها على حسبها: «فإن قلت: كيف خُطَّ في المصحف (علموا)»^(٢٥٤) بواو قبل الألف؟ قلت: خُطَّ على لغة من يميل الألف إلى الواو، وعلى هذه اللغة كُتِبَتِ الصلاة، والزكاة، والربا»^(٢٥٥).

وتُطالِعنا هذه المسألة أيضاً في الرسم القرآني فيما فيه همزة متطرفة مضمومة قبلها حرف مفتوح لا ألف مد، على أن ذلك محمولٌ عندي، كما مر، على الاعتداد بحركة الهمزة (الضمة) لا بحركة ما قبلها (الفتحة)، أما الألف التي بعد الواو فللايماء إلى تخفيف الهمزة في الوقف. وقد جاء هذا الرسم في الأفعال المضارعة والأسماء المرفوعة. ومن الأفعال (يبدؤا)^(٢٥٦)، و (تفتؤا)^(٢٥٧)، و (يتفيؤا)^(٢٥٨)، و (أتوكؤا)^(٢٥٩) وغير ذلك من الأفعال المختلفة في هذه المسألة^(٢٦٠). ومن الأسماء (نبؤا)^(٢٦١)، و (الملؤا)^(٢٦٢).

ومِمَّا يمكن عدّه من باب الاعتداد بكسرة الهمزة المتطرفة بعد ألف المد تلك الألفاظ التي لا يُعدُّ رسمها قياسياً، نحو (تلقأى)^(٢٦٣)، و

(٢٥٤) الشعراء: ١٩٧.

(٢٥٥) الزمخشري، الكشاف: ١٢٨/٣، وانظر د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٤.

(٢٥٦) انظر: يونس: ٤، ٣٤، النمل: ٦٤، الروم: ١١، ٢٧.

(٢٥٧) يوسف: ٨٥.

(٢٥٨) النمل: ٤٨.

(٢٥٩) طه: ١٨.

(٢٦٠) انظر: ابن وثيق، الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ٥٣، ٧٧، الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ٦١ - ٦٢، د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٣٩٢.

(٢٦١) انظر: إبراهيم: ٩، ص: ٢١، ٦٧، التغابن: ٥.

(٢٦٢) أنظر: المؤمنون: ٢٤، النحل: ٢٩، ٣٢، ٣٨. وانظر: ابن وثيق، الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ٥٣، ٧٠، الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط: ١٢، د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٣٩٢.

(٢٦٣) يونس: ٥١.

(إِشْأَى) (٢٦٤)، و(آنْأَى) (٢٦٥)، و(وَرَأَى) (٢٦٦)، و(لِقَأَى) (٢٦٧)، وغيرها. ويظهر لي أنَّ الياء هذه فيما مر صورة الحرف الذي رسمت عليه الهمزة حملاً على مذهب من يعتد بحركتها، لا بحركة ما قبلها، ولعلَّ ما يُعزِّز ذلك أنَّ هذه الهمزة توضع تحت الياء المهملة صورتها. ولهذا الكتب ستة تأويلات ذكرها الدكتور غانم قدوري نقلاً عن التنسي، وهي:

- (١) أنَّ الياء صورة للهمزة.
- (٢) أنَّها صورة لحركة الهمزة.
- (٣) أنَّها حركتها نفسها.
- (٤) أنَّها زيدت تقوية للهمزة.
- (٥) أنَّها زيدت دلالة على إشباع حركتها.
- (٦) أنَّها صورة لها على مراد التسهيل (٢٦٨).

ويتراءى لي أنَّ كتبَ (نَبَائِي المرسلين) (٢٦٩) ليس ممَّا مر؛ لأنَّ الياء ناشئة عن إشباع كسرة الهمزة، ويعزِّز ما نذهب إليه أنَّ مكان الهمزة في هذا الموضع يختلف عنه في تلك المواضع السابقة، إذ هي فيه تحت الألف، وفيها تحت الياء صورتها.

(٢٦٤) النحل: ٥١.

(٢٦٥) طه: ١٣٠.

(٢٦٦) الشورى: ٥١.

(٢٦٧) الروم: ٨.

(٢٦٨) انظر: د. غانم قدوري، رسم المصحف: ٤٠٦، ابن وثيق، الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف: ٥٥، ٥٦.

(٢٦٩) الأنعام: ٣٤. وانظر: ابن وثيق، الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصحف: ٥٥ الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، مع كتاب النقط: ٥٣.

(٣) الهمزة التي ليس لها تُكَاة في مظان علماء الرسم القدامى

يكاد كثير ممن صنفوا في الرسم الإملائي من القدامى يدور في فلك الرسم القرآني في كثير من المسائل؛ لأنه يُعَدُّ - كما يتراءى لي - مرحلة متطورة من مراحل الكتابة العربية التي كانت تقوم على أصول وقواعد قد تكون مَطرَدة في كثير من المسائل الإملائية، إذ يتخذونه عمدة في تصانيفهم، ويشيرون إليه فيها، على الرغم من أنه لا يُعَدُّ قياساً فيما هو على خلاف قواعدهم وأصولهم، فهو عند بعضهم يكاد يكون خطأً مستقلاً زيادةً على الخطئين الاصطلاحي والعروضي. ولست أنكر أن خطأ المصحف قد طرأ عليه تطوُّر وتطوُّير بتطوُّر الفكر العربي، والتجاء الناس إلى تحقيق أمن اللبس بين المكتوبات المختلفة، ليتوافر المعنى البين، الجلي، ولست أنكر أيضاً أن مقاييس الرسم القرآني، أو خطأ المصحف الإمام - لم تكتمل أو تنضج تماماً في بعض المسائل، وعليه فليس بمستغرب أن يتوافر فيه رسمان لبعض الألفاظ، أو رسم على خلاف ما عليه الرسم الاصطلاحي؛ لأن كُتبه الوحي كانوا يكتبون على حَسَبِ أصولهم آنذاك، وما كان شائعاً عند من يُتَقَنون الكتابة، وهم نفر قليل.

ولتبدو هذه المسألة بيّنة في الهمزة التي ليس لها تُكَاة؛ رأيت أن أتبع القدامى في تصانيفهم الإملائية أو غيرها، لئتمكّن القارئ الكريم من تبين إسهام علماء الرسم الاصطلاحي في الكتابة العربية، وإسهام كُتبه الوحي وغيرهم قبل أن يُصار إلى وضع الأصول والمقاييس التي يخضع لسلطانها الرسم قديماً وحديثاً، والتطور الذي اعترى رسم الهمزة في هذه المسألة. ورأيت أن أنهَج في هذه المسألة ما نهجته في الرسم القرآني، لئبدو ما مرَّ بيئاً خالياً من الشوائب والغبار الذي قد يعلق به.

(١) الهمزة التي حُذِفَتْ صورةُ الألف تُكَاثِنُهَا

لعلَّ أهمَّ ما يمكن أن تُحَذَفَ فيه الألف تُكَاثِنُ الهمزة على حَسَبِ ما طالعنا به علماء الرسم القدامى في تصانيفهم - ما يأتي :

(١) أن تكون الهمزة متوسطةً أو متوسطةً أصيلاً مفتوحةً ساكنةً ما قبلها :

لقد مرَّ أن بعض الكتبة يكتبون الهمزة المتوسطة على ألف إن كان ما قبلها ساكنةً، فلا يعتدُّون بحركتها البتَّة، على الرغم من أنَّ المشهور مراعاةُ هذه الحركة، إلَّا ما استثنى من ألفاظٍ تخضع لسلطان كراهية توالي الأمثال . وأنَّ الفراء قد ذكر أنَّ العرب يكتبون الهمزة المتطرفة على ألف من غير اعتدادٍ بحركة ما قبلها . وأنَّ ابن قتيبة قد ذكر أيضاً أنَّ بعض الكتاب في زمانه يعتدُّون بحركة ما قبل الهمزة المتوسطة أو متوسطةً عارضاً، إذ تكتبُ على ألفٍ في قولنا : هو يقرأه، وعلى واوٍ في : مررت بأكمؤك وعلى ياءٍ في : هذا قارئنا .

ويتراءى لي أنَّ الذين صنَّفوا في الرسم أو الذين أفردوا له في تأليفهم النحوية أو الصرفية أمكنةً - يدورون في هذه المسألة في فلك الرسم القرآني، إذ يُعَدُّون حذف الألف صورة الهمزة في مثل : يَسْئَلُ، وَيَزْعُرُ، وَمُسْئَلَةٌ، وأضرابها - هو المختار والقياس حملاً على الحذف بعد نقل الحركة إلى الساكن قبلها . فابن قتيبة ت : ٢٧٦هـ الذي يُعَدُّ أول من طالعنا بإفراد باب للرسم (كتاب تقويم اليد) (٢٧٠) - يُعَدُّ الحذف أجودَّ من الإنبات أياً كانت حركة الهمزة : «فإذا قلت من ذلك (يَفْعَلُ) حَذَفْتُ، فكتبْتَ (يَسْئَلُ)، و (يَزْعُرُ)، و (يَسَامُ)، و (يَيْسَسُ)، و (يَلْمُ)، و (يَيْبُسُ)، وقد أبدل منها بعضهم، والحذف أجود، وبالحذف كُتِبَتْ في المصحف إلَّا في حرفٍ واحدٍ (يسألون عن أنبيائكم) (٢٧١) (٢٧٢) . ويبدو أنه يوجبُ كتبها على ألفٍ بلا

(٢٧٠) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب : ٢١٣ .

(٢٧١) الأحزاب : ٢٠، ورسمها في المصحف الذي اتخذناه عمدتنا بلا ألف (يسألون) .

(٢٧٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب : ٢٦٦ .

حذف فيما يمكن أن تكون الهمزة فيه متلوّة بقاء التانيث، نحو: المَرأة، والكمأة، والجُرأة، والنشأة، وغيرها ممّا يكونُ من باب (فَعَلَة) صحيحة العين، وأنه يوجبُ حذفها فيما كان من البناء نفسه بقيد كونِ العين ياءً، أو واوًا، أو ألفاً، نحو: هيئة، وسوءة، وباءة^(٢٧٣). ولستُ أرى موجباً لهذا الاستثناء؛ لأنها ألفاظٌ كسابقتها من حيثُ نقلُ حركةِ الهمزة فيها إلى الساكن قبلها، وحذفُ الهمزة تخفيفاً، على الرغم من أن نُقلَ حركتها في معتلّ العين يُؤدّي إلى قلب هذه العين ألفاً، إن اعتدنا بحركة النقلِ العارضة (هاة، وساة، وفاة). ولا يميلُ إلى هذا الحذف فيما فيه اللام ألفاً؛ لئلا يتوالى الحذف والإعلال في لفظة واحدة، نحو: يَنأى، ويشأى، ويثأى، وهي مسألة يميل إليها بعض الكتبة في زمانه، وهو الأظهر، إن أردنا الاطراد، وهجرَ تكثير الأوجه الإملائية^(٢٧٤).

وابنُ درستويه (ت : ٣٤٧هـ) الذي يُعدُّ كتابه (كتاب الكتاب) أولَ مصنّفٍ في الرسم الإملائي وصل إلينا - يذهبُ أيضاً إلى أن الأجودَ والأقيسَ حذفُ صورة الهمزة في هذه المسألة أيّاً كانت حركتها، نحو: يَمُثِلُ، ويُزِيرُ، ويَلُثُومُ، حملاً على أن سائر العرب يحذفونها من اللفظ تخفيفاً بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها. ويستثني ممّا مرّت تلك الهمزة التي قبلها ألفٌ، إذ لا بدّ من إثبات صورتها في الكتابة حملاً على إثباتها في اللفظ، نحو: سائِلٌ، مُسائِلٌ ومُسائِلٌ^(٢٧٥). ويظهرُ لي أن ذلك مقيّدٌ بكونِ الهمزة غير مفتوحة؛ لأنّ الألف تُحذفُ لتوالي الأمثال.

والقولُ نفسه مع ابنِ جنّي (ت : ٣٩٢هـ)، إذ يذكرُ أن أكثرَ الكتاب لم يُثبت صورة الهمزة في هذه المسألة أيّاً كانت حركتها ما عدا تلك التي قبلها

(٢٧٣) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب : ٢٦٧.

(٢٧٤) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب : ٢٦٨.

(٢٧٥) انظر ابن درستويه، كتاب الكتاب : ٢٩ - ٣٠.

واو أو ياء مفتوح ما قبلهما، إذ يجب أن تُكتبَ على ألف، نحو : حَوَّابَةٌ (أوسع ما يكون من الدلاء)، وجَيَّال (الضَّبْع) : «فإن كان ما قبلها ياء أو واواً ساكنين مفتوحاً ما قبلهما ثبتت المفتوحة الفاء، نحو: حَوَّابَةٌ، وجَيَّال وإن كان ما قبلهما مضموماً أو مكسوراً لم تثبت كالأولة، وذلك نحو : مُؤَسَّى ، وَمَثَرٌ (٢٧٦)» (٢٧٧). يظهر لي أن نص ابن جني المقتبس تحريفاً يكمن في قوله (وإن كان) ما قبلهما مضموماً أو مكسوراً لم تثبت كالأولة، وذلك نحو : مؤسَّى، ومَثَرٌ)، ولم يتنبه إليه الدكتور الفاضل مازن المبارك محقق كتاب (الألفاظ المهموزة، وعقود الهمز)، ودونك هذا التحريف :

(١) أن (قبلهما) محرقة من (قبلها)، أي : ما قبل الهمزة ؛ لأن ما قبلها في (مؤسَّى) و (مَثَرٌ) مضموم ومكسور، وليس قبلها في هذين المثالين واو أو ياء قبلهما مفتوح، كما في : حَوَّابَةٌ، وجَيَّال .

(٢) أن الدكتور الفاضل قد حذف الياء صورة الهمزة في (مَثَرٌ)، وأثبتها في (مؤسَّى) . ، على الرغم من أن النص يوجب كتب الياء أيضاً كما كتبت الواو في (مؤسَّى) صورة الهمزة . ولعل ما ألجأه إلى مثل هذا الأمر قول ابن جني (لم تثبت كالأولة)، وهو قول لا يوحى بالحذف البتة، إذ يوحى بأن صورة الهمزة ليست ألفاً كالتى في : حَوَّابَةٌ، وجَيَّال، بل هي ياء في (مَثَرٌ)، وواو في (مؤسَّى) التى أثبتتها الدكتور الفاضل .

(٣) أن حديث ابن جني - كما يترأى لي - يدور في فلك الهمزة المفتوحة المضموم ما قبلها والمكسور، لا في فلك الساكنة كما في (مؤسَّى) ؛ لأن الحديث عن المفتوحة لم ينته بانتهاء الحديث عن (حَوَّابَةٌ وجَيَّال) ؛ ولأن الحديث عن الساكنة قد سبق هذا النص : «فإن كانت ساكنة، وانضم ما قبلها كتبت واوا، نحو: جُؤْنَةٌ، وبُؤْسٌ، وتُؤْلُولُ . وإن انفتح ما قبلها كتبت ألفاً، نحو: رَأْسٌ، وفَأْسٌ، وقَالٌ، وإن انكسر ما قبلها كتبت ياء، وذلك

(٢٧٦) المَثَرُ : جمع مَثَرَةٍ، وهي العداوة.

(٢٧٧) ابن جني، الألفاظ المهموزة، وعقود الهمز : ٦١ .

نحو: يَثْرُ وذُئْب، وَيَشْسَ الرجلُ زيدٌ^(٢٧٨). وعليه فإنني أذهب بلا ترددٍ إلى أن (مُؤسَى) تحريف (جُؤُن)، ليستقيم النصُّ معنىً، ويكون الحديث في الهمزة المفتوحة المضموم ما قبلها والمكسور.

وهو الوجه المختار أيضاً عند ابن بابشاذ (ت : ٤٦٩ هـ)؛ لأن الهمزة تصوّر على حسب تخفيفها: «وإن كانت متحرّكة نُظِرَ ما قبلها، فإن كان ساكناً لم يكن لها صورةٌ حرفٍ، مثل: أرْءُس، واستَلَّم الرجلُ، واستَلَّم، يا رجلُ. وهذا هو الوجه المختار»^(٢٧٩). والقول نفسه مع ابن عصفور (ت : ٦٦٩ هـ)^(٢٨٠)، وابن مالك^(٢٨١) الذي أوجب أن تُكْتَبَ صورتها على حَسَبِ حركتها في مثل: سائلٍ، وتساؤلٍ، وقد تبعه في ذلك الزنجاني، وأبو حيّان النحويّ الأندلسي الذي يعدّ هذا المذهب الأحسن والأقيس: «والأحسن والأقيس ألا تثبت لها صورة في الخطّ لا في التحقيق، ولا في

(٢٧٨) ابن جني : الألفاظ المهموزة، وعقود الهمز : ٥٨.

الجؤنة : سلة صغيرة من الجلد، وجمعها جؤُن والتؤلؤل : حلمة الثدي.

وانظر : رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي (ت : ٦٨٦ هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهد لعبد القادر البغدادي (ت : ١٠٩٣ هـ)، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفراف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م : ٣/٣٢٢، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (ت : ٤٦٩ هـ)، شرح المقدمة المحسنة، تحقيق د. خالد عبد الكريم، الطبعة الأولى، ١٩٧٧ م (بلا تاريخ طبع) : ٢/٤٥١، جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١ هـ)، جمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم (الجزء الأول بالاشتراك مع الأستاذ عبد السلام هارون)، الكويت - دار البحوث العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٧٥ م - ١٩٨٠ م : ٦/٣١٢، علي بن سليمان الحيدرة اليمني (ت : ٥٩٩ هـ)، كشف المشكل في النحو، تحقيق هادي عطية مطر، بغداد - مطبعة الإرشاد، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م : ٢/٣٥١، علي ابن مؤمن بن عصفور (ت : ٦٦٩ هـ)، شرح جمل الزجاجي، تحقيق د. صاحب أبو حناح، بغداد - وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٢ هـ -

١٩٨٢ م : ٢/٣٥٧.

(٢٧٩) ابن بابشاذ، شرح المقدمة المحسنة : ٢/٤٥١.

(٢٨٠) انظر ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي : ٢/٣٥٦.

(٢٨١) انظر السيوطي، جمع الهوامع : ٦/٣١١.

الحذف والنقل . قال : ومنهم من يجعل صورته الألف على كل حال ، وهو أقل استعمالاً ، . . . » (٢٨٢) .

ويحصر الحيدرة اليمني حذف صورته فيما فيه قبلها حرف مفتوح ، نحو : مسئلة ، ومشعمة وأضرابهما (٢٨٣) .

ويتراءى لي أن الرضي (ت : ٦٨٦ هـ) يعد الاختيار عدم الحذف على الرغم من حذفها تخفيفاً : « وإن كان في الوسط ك : يسأل ، ويسم ، ويلوم ، أو في حكم الوسط باتصال غير مستقل بها ، نحو : جزأك ، وجزوك ، وجزئك ، فالأكثر أنها لا تحذف خطأ ، وإن كان التخفيف يحذفها ؛ وذلك لأن حذفك في الخط لما هو ثابت لفظاً خلاف القياس ، اغتفر ذلك في الآخر الذي هو محل التخفيف ، فيبقى الوسط ثابتاً على أصله ، فلما لم يحذف ، ولم تبين كتابتها على التخفيف أعيرت صورة حرف حركتها ؛ لأن حركتها أقرب الأشياء إليها . . » (٢٨٤) .

وبعد فتيين لنا مما مر إجماع النحويين ومصنفي بعض مظان الإملاء القدامي - على حذف صورة الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها ، أيًا كانت حركتها ، في الغالب ، وأن بعضهم قد حصر هذه المسألة في المفتوحة . ويستثنى مما مر ما يعد من باب : سائل ، يسائل ، ومسائل ، وغيرها ، وأن الرضي قد اختار عدم الحذف . ولعل هذا الإجماع يدعونا إلى اتباعهم في هذه المسألة ، أو اختيار وجه واحد لتتمكن من التخلص من تكثير الأوجه التي ينفر منها الطلبة والمريدون . وأن أحداً من القدامي لم يطالعنا بذكر النبرة أو السن الصغيرة بعد حذف الألف صورة الهمزة البتة .

(٢) أن تكون الهمزة متوسطة توسطاً عارضاً مفتوحة ساكناً ما قبلها :
للنحويين في حذف صورة الهمزة المتوسطة توسطاً عارضاً بزيادة ألف

(٢٨٣) انظر الحيدرة اليمني ، كشف المشكل في النحو : ٣٥٢/٢ .

(٢٨٤) الرضي ، شرح الشافية : ٣٢٢/٣ .

التنوين، أو هاء التانيث، أو ألف التثنية، أو إضافة الكلمة التي هي فيها إلى ضمير - مذاهب مختلفة، من حيث الإجازة والمنع والوجوب. فابن قتيبة يحذف الألف صورتها فيما يُعَدُّ من باب: خَبَأَ، وَدَفَأَ، وَجَزَأَ، وأضرابها؛ لأنَّ قياس كتب ما مرَّ: خَبَأَ وَدَفَأَ، وَجَزَأَ. ويظهر لي أنَّ هنا الحذف يعود إلى التخلُّص من توالي ألفين على الرغم من أنَّه جائز في الرسم في مثل: قَرَأَ، وَيَقْرَأُن. ولعلَّ ما يعزُّز ما أذهب إليه ما يطالعنا به من وجوب رسم هذه الصورة، كما يفهم من كلامه - في مثل: خَبَوُك، وَدَفَوُك، وَدَفَيْتُكَ، وَخَبَيْتُكَ، وَخَبَأَكَ، وَدَفَأَكَ. والقول نفسه في إلحاق تاء التانيث، نحو: نَشَأَ، وَكَمَأَ، وَيُسْتَشْنَى من ذلك ما كان فيه قبل هذه التاء ياء ساكنة، أو واو، أو ألف، نحو: هَيْئَة، وَسَوْءَة، وَبَاءَة^(٢٨٥). ولعلَّ ذلك يعود إلى عدّه الهمزة في هذه الألفاظ من باب المتوسطة توسطاً أصيلاً، أو من باب الاعتداد بالعارض؛ لأنَّ هذه الألفاظ لا يصحُّ فيها التانيث إلا بالتاء، أمَّا الألفاظ الأخرى التي تثبت فيها صورة الهمزة فلم يُعَدَّ فيها بالتوسط العارض؛ لأنَّ الضمير لا يُصَيِّر الهمزة متوسطةً كما تُصَيِّرُها التاء من حيث اللصوق وعدمه.

ويختار الصوليُّ (ت : ٣٣٦ هـ) كُتِبَ الهمزة المتطرِّفة الساكن ما قبلها منفردة بلا صورة، على الرغم من أنَّه يذكر أنَّ بعض الكتاب يرسم لها صورة على حَسَبِ حركتها، نحو: نَسَأُ صَدِيقٍ، وَمَرَزْتُ بِنَسَائِ صَدِيقٍ، ورأيت نساء صَدِيقٍ، على أنَّ صورة الهمزة، الألف، حُذِفَتْ للتخلُّص من توالي الأمثال. ولعلَّ للرسم القرآني - كما مرَّ - أثراً في هذا الكُتُب، على الرغم من أنَّ الألف المزيدة بعد الواو، صورة الهمزة، لم تطالعنا. ويظهر لي أنَّ الهمزة يجبُ كُتِبَها تحت الباء في (بِنَسَائِي) حملاً على ما في المصحف، وهي مسألة لم ينتبه إليها الأستاذ محمد بهجة الأثري، محقق كتاب الصولي (أدب

(٢٨٥) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب : ٢٦٧ .

الكتاب)، إذ كتبها على نبرة بعدها ياء (نسائي) (٢٨٦). ويُعزّز ذلك أيضاً رسم (نساء) بمدة على الألف كما هي في المصحف.

ويظهر لي أن ابن درستويه (٣٤٧هـ) لا يعتد بأيّ لاحقة من اللواحق تُصير الهمزة متوسطةً توسّطاً عارضاً في هذه المسألة البتّة، إذ يوجب حذف صورة الهمزة: «وإن لحقها علامة ضمير أو جمع، أو ثنية، أو تانيث فكذاك هي لا تثبت في الكتاب؛ لأنها - وإن اتّصلت بما بعدها - فليس تخفيفها في اللفظ إلاّ كتخفيفها قبل ذلك، ولم يعرض لها ما عرض للمتوسطة في الفعل الجاري عليه ما تصرف منه، على أن حذف تلك أيضاً صواب، كما بيّنا... مثل: هذا جُزءُك، ورأيت جُزءَك، وهوشيقه، ونوءه، والكُمّة، والهَيْئَة، والسَّوءَة، وهنيئون، وبريئون، ومَشْنُوون، وسوؤا يا هؤلاء، وجيئوا، فهذا قياس جميع أبواب الهمز...» (٢٨٧). ويتراءى لي أن الدكتورين إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي محققَي كتاب ابن درستويه (كتاب الكتاب) الذي طالعنا فيه هذا النص المقتبس - لم يكتبوا الهمزة من حيث حذف صورتها، على حَسَبِ ما يزودنا به ابن درستويه فيه، إذ جعلوا للهمزة في مثل: شَيْئُه، والكُمّة، والهَيْئَة، وهنيئون، وبريئون - نبرة، أو سناً صغيرة، وما في النص على خلاف ذلك، ويدّوي أنهما قد اتّبعوا جمهور المحدثين الذين ابتكروا هذه الصورة من غير أن يتبينوا مذهب القدامى في هذه المسألة. والقول نفسه في جعل الهمزة في: مَشْنُوون، وسوؤا، على الواو الثانية، على الرغم من أن ما في النص يوجب كتبها منفرداً بلا صورة بين الواوين، وعليه فإنّ قياس كُتِب ما مرّ على حَسَبِ مذهب ابن درستويه هو: شَيْئُه، والهَيْئَة، والكُمّة، وهنيئون، وبريئون، ومَشْنُوون، وسوءوا، وهو كُتِب يعزّزه وجوب مطابقة المكتوب للملفوظ في اللفظتين الأخيرتين.

(٢٨٦) انظر محمد بن يحيى الصولي (ت: ٣٣٦هـ)، أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجت الأثري، بيروت - دار الكتب العلمية (بلا تاريخ طبع): ٢٤٩.

(٢٨٧) ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٣٢ - ٣٣.

وَيَتَّبِعُ ابْنَ جَنِي فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ابْنَ قَتِيْبَةٍ فِي الْهَمْزَةِ الْمَتَطَرِّفَةِ جَرًّا وَرَفْعًا فِي كِتْبِهَا عَلَى وَاوٍ وَيَاءٍ، إِذَا كَانَ الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ هُوَ الَّذِي يُصَيِّرُهَا مُتَوَسِّطَةً تَوْسِطًا عَارِضًا، أَمَّا تِلْكَ الَّتِي تَكُونُ مَفْتُوحَةً فَتُحَذَفُ الْآلِفُ صَوَرَتُهَا، لِكُونِهَا مَفْتُوحَةً بَعْدَ حَرْفٍ سَاكِنٍ، نَحْوُ: جُزْؤُكَ، وَجُزْئِهِ، وَجُزْءُهُ (٢٨٨). وَالْقَوْلُ نَفْسُهُ مَعَ الْحِيدَرَةِ الْيَمْنِي (٢٨٩) فِي: جُزْؤُكَ، وَجُزْئِكَ، وَجُزْءِكَ. وَالْأَكْثَرُ عِنْدَ الرُّضِيِّ (٢٩٠) أَنَّ صَوَرَتِهَا، لَا تُحَذَفُ أَبَدًا كَانَتْ حَرَكَتُهَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي مِثْلِ: جُزْءِكَ، وَجُزْؤُكَ، وَجُزْئِكَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ التَّخْفِيفَ يَحْذِفُهَا، لِأَنَّ الْحَذْفَ خَطَأً لَمَّا هُوَ ثَابِتٌ لِفِعْلًا عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ، وَيُظْهِرُ لِي أَنَّهُ مِمَّنْ يَعْتَدُونَ بِالْعَارِضِ، فَكَأَنَّ الْهَمْزَةَ الْمَتَطَرِّفَةَ فِيمَا مَرَّ مُتَوَسِّطَةً، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَا يَطَالِعُنَا بِهَذَا الْمَذْهَبِ فِي الْهَمْزَةِ الْمَصْدَرَةِ بِهَا الْكَلِمَةُ وَالَّتِي يَسْبِقُهَا مَا يَجْعَلُهَا مُتَوَسِّطَةً تَوْسِطًا عَارِضًا؛ لِأَنَّ تَقْرِيبَ الشَّيْءِ إِلَى أَصْلِهِ أَوْ إِبْقَاءَهُ عَلَيْهِ أَوْلَى وَأَقْبَسُ مِنْ إِبْعَادِهِ عَنْهُ، فَالْهَمْزَةُ الْمَتَطَرِّفَةُ الَّتِي جُعِلَ لَهَا صَوْرَةٌ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِيهَا تَقْرِيبٌ إِلَى الْأَصْلِ (أ)، أَمَّا تِلْكَ الَّتِي تَصَدَّرُ بِهَا الْكَلِمَةُ فَفِي مُعَامَلَتِهَا مُعَامَلَةُ الْمُتَوَسِّطَةِ، بَأَن يَجْعَلَ لَهَا صَوْرَةَ الْوَاوِ، أَوِ الْيَاءِ، بَعْدَ عَنِ الْأَصْلِ (أ).

وَيُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَصْفُورٍ أَنَّهُ يُوجِبُ كِتَابَ الْهَمْزَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِلا صَوْرَةٍ حَمَلًا عَلَى عَدَمِ تَوَافُرِ صَوْرَةٍ لَهَا فِي التَّسْهِيلِ: «فَإِنْ كَانَ السَّاكِنُ حَرْفًا صَحِيحًا فَإِنَّ تَسْهِيلَهُ يَكُونُ بِأَن يُنْقَلُ حَرَكَةُ الْهَمْزَةِ إِلَى السَّاكِنِ قَبْلَ، وَتُحَذَفُ الْهَمْزَةُ، فَنَقُولُ فِي تَسْهِيلِ: دِفْعَكَ، وَيَتَأَوَّنُ: دِفْكَ، وَيَتَوَّنُ، وَلَا صَوْرَةَ لَهَا فِي الْخَطِّ؛ لِأَنَّهَا لَا ذَتَّتْ فِي التَّسْهِيلِ. فَإِنْ كَانَ السَّاكِنُ حَرْفَ عِلَّةٍ، يَاءٍ أَوْ وَاوٍ، أَوْ آلفٍ، فَإِنْ كَانَ حَرْفُ الْعِلَّةِ يَاءً أَوْ وَاوًا فَلَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ زَائِدِينَ أَوْ أَصْلِيِّينَ، فَإِنْ كَانَا أَصْلِيِّينَ مِثْلَ: شَيْئِكَ، وَوَضُوءُكَ، فَحَكْمُهُ حَكْمُ

(٢٨٨) انظر ابن جني، الألفاظ المهموزة، وعقود الهمز: ٦٠، ٦٣.

(٢٨٩) انظر الحيدرة اليمني، كشف المشكل في النحو: ٣٥٢/٢.

(٢٩٠) انظر الرضي، شرح الشافية: ٣٢٢/٣.

الساكن قبله حرف صحيح في التسهيل والخط. فَإِنْ كَانَا زَائِدِينَ فَإِنَّ تَسْهِيلَهُ
يَكُونُ بِأَنْ تُقْلَبَ الْهَمْزَةُ مَعَ الْيَاءِ يَاءً مَعَ الْوَائِ وَآوًا، وَتَدْعَمُ الْيَاءُ فِي الْيَاءِ،
وَالْوَاوُ فِي الْوَائِ، فَتَقُولُ فِي نَبِيِّكَ وَوَضُوْعُكَ: نَبِيُّكَ، وَوَضُوْعُكَ، فَلَا تُثَبِّتُ لَهَا
صُورَةً فِي التَّسْهِيلِ، وَكَذَلِكَ لَا تُثَبِّتُ فِي الْخَطِّ...»^(٢٩١). وَحَمَلًا عَلَى مَا
فِي هَذَا النَّصِّ فَإِنَّهُ كَانَ مِنَ الْأَظْهَرِ وَالْأَوَّلَى الْأَيُّ ثَبَّتَ الدُّكْتُورُ صَاحِبُ أَبُو جَنَاحٍ
مُحَقِّقُ كِتَابِ ابْنِ عَصْفُورٍ (شَرْحُ جَمَلِ الزَّجَاجِيِّ) لِلْهَمْزَةِ فِي الْأَمْثَلَةِ
الْمُسْتَشْهَدِ بِهَا فِي هَذَا النَّصِّ صُورَةً، لِتَسَايِرِ مَذْهَبِ ابْنِ عَصْفُورٍ فِي رَسْمِ
الْهَمْزَةِ: دِقُّكَ، شِيْكَ، وَضُوْعُكَ، وَنَبِيْكَ.

وَبَطَالِعُنَا الْقَلْقَشَنْدِيُّ (ت: ٨٢١هـ) وَالسِّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ)
بِتَدْوِينِ مَذَاهِبٍ مِّنْ قَبْلَهُمَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِلَا نِسْبَةٍ، فِي الْغَالِبِ^(٢٩٢):

(١) أَنْ تُكْتَبَ بِلَا صُورَةٍ إِذَا كَانَ مَا قَبْلَهَا سَاكِنًا مُفْتَوَحًا مَا قَبْلَهُ، نَحْوُ:
مَرَّةً، وَخَبَاءً.

(٢) أَنْ تُكْتَبَ عَلَى وَائٍ، إِنْ كَانَ مَا قَبْلَ السَّاكِنِ مَضْمُومًا، نَحْوُ: جُرْوُ،
وَعَلَى يَاءٍ، إِنْ كَانَ مَكْسُورًا، نَحْوُ: دِفْيَاءً.

(٣) أَنْ تُكْتَبَ عَلَى وَائٍ إِنْ كَانَتْ مَضْمُومَةً، وَعَلَى يَاءٍ، إِنْ كَانَتْ
مَكْسُورَةً، مِنْ غَيْرِ اعْتِدَادٍ بِحَرَكَةِ مَا قَبْلَ السَّاكِنِ قَبْلَهَا، نَحْوُ: جُرْوُ، وَدِفْيَاءُ،
وَجَزْيَاءُ، وَدِفْيَاءُ.

(٤) أَنْ تُكْتَبَ بِلَا صُورَةٍ، إِنْ كَانَ قَبْلَهَا حَرْفٌ زَائِدٌ، نَحْوُ: وَضُوْعُ،
وَسَمَاءُ.

(٥) أَنْ تُكْتَبَ أَلْفُ تَنْوِينِ النَّصْبِ فِيمَا هُوَ مِنْ بَابِ: سَمَاءُ، عَلَى
مَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ، أَمَّا مَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ فَلَا يَجْعَلُونَ

(٢٩١) ابْنُ عَصْفُورٍ، شَرْحُ جَمَلِ الزَّجَاجِيِّ: ٣٥٦/٢.

(٢٩٢) انْظُرْ: الْقَلْقَشَنْدِيُّ، صَبِيحُ الْأَعَشَى: ٢٠٨/٣، السِّيُوطِيُّ، هَمْعُ الْهَوَامِعِ: ٣١٣/٦.

لألف التنوين صَوْرَةً، للتخلُّص من توالي الأمثال. والهمزة لا صورة لها في كلا المذهبين للعلَّة نفسها.

(٦) ألا يكون للهمزة صورة في مثل: جُزْءًا، ودَفْنًا، وشَيْئًا في الغالب. وأجاز قوم أن تكون الألف صورتها على أن تُثَبَّتْ أَلِفُ التنوين بعدها مبيحين توالي الفين، نحو: جُزْأًا، ودِفْنًا، وشَيْئًا. والأصحُّ عند السيوطي وغيره كما مرَّ حذف ألف الهمزة.

(٧) أن تُكْتَبَ الهمزة على واوٍ في مثل: سَمَاؤُكَ، وعلى ياء في مثل: سَمَائِكَ، وبلا صورة في مثل: سماءك.

(٨) ألا يكون لها صورة في مثل: نَبِيئًا، ووضوءًا^(٢٩٣).

(٣) أن تكون الألف صورة الهمزة قد حُذِفَتْ لتوالي الأمثال:

لعلَّ علماء الرسم أو من صنَّفوا فيه يدورون في هذه المسألة في فلك الرسم القرآني في كثير من المسائل، إذ يميلون إلى حذف صورة الهمزة في كلِّ ما يمكن أن يتوالى فيه ألفان؛ للتخلُّص من هذا التوالي. والألف المحذوفة هي الثانية، وهي أَلِفُ الهمزة، نحو: ساءل، وسماءنا، وأضرابهما، ولستُ أنكر أن الداني قد ذكر - كما مرَّ - أن بعض كتبة المصحف قد رسموا (جاءنا): جأنا، بحذف عين الفعل^(٢٩٤).

يُفْهَمُ من كلام السيوطي أن قوما يحذفون صورة الهمزة المفتوحة التي بعدها أَلِفٌ، نحو: مآب، ومآل وغيرهما، وأن آخرين يكتبون هذه الصورة، فتتوالى ألفان: «والتي هي حشو، وهي متحركة تُكْتَبُ حرفاً على نحو ما تُسَهَّلُ، فإن كانت مفتوحة بعد فتح كُتِبَتْ أَلِفًا، نحو: سأل، فإن كان بعدها أَلِفٌ، نحو: مآل، ومآب - فقليل: تُحْدَفُ، ولا صورة لها، وقيل:

(٢٩٣) لم يكتب الدكتور عبد العال سالم مكرم محقق كتاب السيوطي (معجم الهوامع) الهمزة على حسب هذا المذهب.

(٢٩٤) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٨. وانظر في ذلك ما مضى.

نكتبُ ألفا، ويجتمع ألفان...» (٢٩٥). وعليه فإنَّ كَتَبَ (مَال)، و (مَاب) على حذف صورة الهمزة يكون مَاباً، ومثالاً، بلا ألفٍ أو نبرة أو سنٍّ صغيرة، ويكون على إثباتها مَاباً، ومالاً، على أنَّ الألف الثانية حُذِفَتْ وعَوِضَ منها المدة، على الرغم من أنَّ السيوطي لم يذكر ذلك.

وذكر القلقشندي (٢٩٦) أنَّ بعض الكتية يكتبون: جُزءاً، وشيئاً، بألفين، الأولى صورة الهمزة، والأخرى ألف تنوين النصب: جُزأاً، وشيأاً، فيتوالي ألفان فيهما.

(٤) أنَّ تكون الهمزة مفتوحةً مفتوحاً ما قبلها:

يظهر لي أنَّ علماء الرسم القدامى لا يَقْفُونَ أثر كتبة المصحف في هذه المسألة، إذ لا يحذفون ألف الهمزة في: رأى، ونأى، ورأها، وأرأيتكم، وأضرابها كما مرَّ، لأنَّ الألف الثانية ياءٌ مهملة، فلا توالي أمثال في الخطِّ، على الرغم من أنَّه متوافرٌ في اللفظ. وقد نصَّ ابنُ قتيبةٍ على ذلك: «نحو: رأيتُ، ونأيتُ، ووأيتُ، وشأوتُ، أي: سبقتهم، وبأوت عليهم، إذا تعظمت عليهم؟ تكتبُ (فعل) من ذلك كله بألفٍ وياءٍ بعدها، نحو: رأى، ونأى، ووأى، وشأى وبأى، وإنَّما كَتَبَتْ بناتِ الواو منه بالياء، لأنك كَرِهْتَ الجمعَ بين ألفين. وتكتبُ (يفعل) منه مثل: ينأى، ويشأى، ويئأى، بياء بعد ألف. وكان بعضهم يكتبه بغير ألف: يئى، ويشئى، ويئئى، كما كُتِبَ (يسئل)، و (يسئم)، بلا ألف، ولا أحبَّ ذلك...» (٢٩٧). ويمكن أن يُعَدَّ من باب حَذْفِ هذه الألف ما طالعنا به السيوطي، كما مرَّ،

(٢٩٥) السيوطي، مع الهوامع: ٣١٢/٦.

(٢٩٦) انظر القلقشندي، صبح الأعشى: ٢٠٨/٣.

(٢٩٧) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٨. وانظر: ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٢٨، الحيدرة اليمني، كشف المُشْكل في النحو: ٣٥١، السيوطي، مع الهوامع: ٣١٢/٦، ابن جني، الألفاظ المهموزة، وعقود الهمز: ٥٨، ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي: ٣٥٦/٢.

من أن بعض النحويين أو الكتبة أجاز أن تُحذف في كل ما هو من باب: مَال، وَمَثَب، وَأَضْرَابُهُمَا. ويظهر لي أن عدم الحذف في هذه المسألة يعود إلى أن هذه الألف لا تُحذف في التخفيف أو التسهيل إذ لو حُذفت لتوافر اللبس بين المفتوحة الساكن ما قبلها والمفتوحة المفتوح ما قبلها كما مر، زيادةً على اللبس الذي يتوافر بحذف صورة المضمومة، أو المكسورة الساكن ما قبلها، كما مر.

(٥) أن تكون الهمزة ساكنةً مفتوحةً ما قبلها.

يُجمع علماء الرسم وغيرهم من الكتّاب على أن الهمزة الساكنة المتوسطة تُكتب على حرفٍ من جنس حركة ما قبلها؛ لأنها في التخفيف كذلك^(٢٩٨). فلم ينهجوا نهج كتبة المصحف في بعض الألفاظ التي حذفوا فيها الألف صورتها بلا اعتداد بما يؤول إليه تخفيفها. ويظهر أن لكتبة المصحف في هذه المسألة مذهبين، الحذف والإثبات الذي اتخذه علماء الرسم فيما بعد قياساً^(٢٩٩).

(٦) أن تكون الهمزة أول الكلمة وبعدها ألف عوض منها مدةً:

لم يطالعنا أحدٌ من القدامى نهج نهج كتبة المصحف بحذف الألف صورة الهمزة في أول الكلمة، نحو: ءامن، ءايات، ءابتنا، وأضرابها، إذ يُجمعون على أن صورة الهمزة التي تنصدر الكلمة الألف التي لا يصح حذفها حملاً على عدم التخفيف.

أما الهمزة المتوسطة توسطاً عارضاً بزيادة علامة الشنية في الرفع أو الألف والتاء علامة جمع المؤنث السالم - فلهم في حذف صورتها أو إثباتها مذهبان، الحذف، وهو مذهب ابن درستويه الذي لم يعتد بالعارض: «وإن

(٢٩٨) انظر: ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٣١، الرضي، شرح الشافية: ٣/٣٢١، السيوطي،

دمع الهوامع: ٦/٣١٦، ابن جني، الألفاظ المهموزة وعقود الهمز: ٥٨.

(٢٩٩) انظر في هذه المسألة ما مضى.

لحقها علامة ضمير أو جمع أو تنثية، أو تانيث - فكذلك هي لا تثبت في الكتاب؛ لأنها - وإن اتصلت بما بعدها - فليس تخفيفها في اللفظ إلا كتخفيفها قبل ذلك...^(٣٠٠). وعليه فإن الألف صورة الهمزة تُحذف فيما يأتي: جُزْءَان، شَيْئَان، جَزَاءَات، سَوَاءَات، بَيِّنَات، إِجْرَاءَات، قَرَاءَات، وغيرها. والمذهب الثاني الإثبات وتعويض المدة من الألف الثانية، نحو، هَيَّات، وَسَوَّات، وَشَيَّان، وَجُزَّان، حملاً على ما قبلهما على الرغم من أنهم لم ينصوا صراحة على ذلك. أما جزاءات، وقراءات، وإجراءات - فالأولى حَذَفُ الألف، صورة الهمزة، للتخلص من توالي ألفين، الألف التي قبل الهمزة، وألف الهمزة التي عليها علامة المد عوضاً من الألف الثالثة.

وبعد فيتبين لنا مما مر أن علماء الرسم القدامى ومن صنفوا فيه يكادون يدورون في فلك الرسم القرآني في كثير من مسائل الرسم، وهي مسألة تدل بوضوح على أن الرسم القرآني يُعدُّ مرحلةً متطورةً من مراحل الكتابة العربية، وأن له أثراً رئيساً فيما توافر لها من تطوُّر في العصور اللاحقة، وأن الكتبة لم يكونوا جهلةً في الكتابة يُوسَمون بعدم معرفة أصولها ومقاييسها. ولعل كتبتهم بعض الألفاظ على خلاف ما عليه الرسم الاصطلاحي - لا يُعدُّ جهلاً، أو أن الكتابة تُوسَمُ به بعدم الدقة والإتقان، إذ للغات والتخفيف والتحقيق دور رئيس في مثل هذه المخالفة، ويُمكن حمل تلك الألفاظ التي لها أكثر من كتب على تعدد الأوجه الإملائية آنذاك، وهي مسألة تطالعنا في رسمنا الاصطلاحي في كثير من الألفاظ.

ويقفو علماء الرسم القدامى الرسم القرآني في مسائل كثيرة، منها حذف كثير منهم لصورة الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها، وعدم ابتداء نبرة

(٣٠٠) ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٢٣.

وانظر: الرضي، شرح الشافية: ٣/٣٢١، السيوطي، همع الهوامع: ٦/٣١١.

وانظر الصولي، كتاب الكتاب: ٣٢.

أو سنّ صغيرة لهذه الهمزة التي حُذِفَتْ صورتُها في مثل: شيئاً، وهيئة، وأضربهما، وعدمُ كُتُبِ صورةٍ للهمزة المتطرّفة الساكنِ ما قبلها، نحو: جزء، وشيء. والقولُ نفسه في رسمها على حَسَبِ حركتها، نحو: شركوا، ولقاي، وغيرهما، إذ يطالِعُنا هذا الرسم عند بعضِ الكتّبة كما مرّ. وأنّ بعضهم كابن درستويه لا يعتدُّ بالعارض الذي تصوّرُ به الهمزة متوسطةً، وهي مسألة تطالِعُنا في الرسم القرآني، نحو (سَوْءة)^(٣٠١)، و (سَوَّات)^(٣٠٢).

ولعلّ أهمّ ما يُمكنُ أن يُعدَّ من باب عدم مسايرة الرسم القرآني في هذه المسألة - كُتِبَهم الألف صورة الهمزة المتوسطة المفتوحة المفتوح ما قبلها، نحو: رأى، ونأى، وأضربهما، والساكنة المفتوح ما قبلها؛ استأخِر، ويستأخِر، على الرغم من أنّ بعض الألفاظ من ذلك كُتِبَت الألف فيها على مذهب بعض كتّبة الوحي في الرسم آنذاك.

ويبدو الخلافُ بيننا في رسم الألف صورة الهمزة التي تُصدّرُ بها الكلمة والمتلوّة بألف أخرى، نحو: آمن، آيات، إذ حُذِفَتْ هذه الألف في الرسم القرآني على الرغم من أنّها لا تُخَفَّف؛ لأنّ العربية لا تبدأ بصوت ساكن.

(٢) الهمزة التي حُذِفَتْ صورة الواو تُكأَتها

يتراءى لي أنّ كثيراً ممّا يمكنُ عدّه من هذه المسألة قد اتَّخَذَ القدامى من علماء الرسمِ الرسمِ القرآني - عمدتُهُم فيه؛ لأنّه يُمكنُ أن يُعدَّ قياساً لهم في كُتِبَ في كثيرٍ من المسائل. ولعلّ أهمّ مواضع حَذَف الواو صورة الهمزة في مِظَانِ الرسمِ القديمة - ما يأتي:

(١) أن تكون الهمزة مضمومةً متوسطةً توسطاً عارضاً ساكناً ما قبلها:

لقد مرّ أنّ الدانيّ ذكر أنّ في بعض المصاحف حَذَف الواو صورة

(٣٠١) المسألة: ٣١.

(٣٠٢) انظر: الأعراف: ٢٠، ٢٦، طه: ١٢١.

الهمزة التي قبلها ألف، نحو: (جزاءه)^(٣٠٣)، وأن في مصاحف أهل العراق حذف الواو في (أوليئهم)^(٣٠٤). أما القدامى من علماء الرسم أو ممن صنفوا فيه فلهم في هذه المسألة مذهبان:

(١) أن تُحذف الواو صورة الهمزة فيما هي فيه عارضة مضمومة بعد ألف، نحو: جزاءه، ورداءه، جزءه، وهو مذهب ابن درستويه، كما مر^(٣٠٥) وابن عصفور^(٣٠٦)، وغيرهما^(٣٠٧).

(٢) أن تثبت صورة الهمزة، حملاً على الاعتداد بالعارض، وهو مذهب ابن قتيبة إلا فيما هو من باب: شيئاً، وهيئة، وسوءة^(٣٠٨)، وابن جني^(٣٠٩). والاعتداد بالعارض في مثل: جزاؤه، وأضرابه، وأولياؤهم، وأضرابه، يطالعنا في المصحف الذي اتخذناه عمدتنا، والمصاحف الأخرى في زماننا هذا. وعليه فإن هذين المذهبين يدوران في فلك الرسم القرآني.

(٢) أن تكون الهمزة متوسطة أو متوسطة أصيلاً مضمومة ساكناً ما قبلها:

لعلماء الرسم القدامى في هذه المسألة من حيث الحذف أو عدمه مذهبان:

(١) أن تُحذف الواو صورة الهمزة، نحو: يَلْمُ، وأُقْس، وأرْءُس، وأضرابها، وهو مذهب ابن درستويه، حملاً على المشهور من تخفيفها، إذ تُحذف فيه: «والوجه الآخر: حذفها من الكتاب؛ لأن سائر العرب الفصحاء يحذفونها من اللفظ أيضاً، إذا خففوها، وينقلون حركتها إلى ما

(٣٠٣) انظر: النسا: ٩٣، وانظر الصفحة: ٣٩، من هذا البحث.

(٣٠٤) البقرة: ٢٥٧، وانظر الصفحة: ٣٩، من هذا البحث.

(٣٠٥) انظر الصفحة: ٤٣، من هذا البحث.

(٣٠٦) انظر الصفحة: ٤٤، من هذا البحث.

(٣٠٧) انظر الصفحة: ٤٤، من هذا البحث.

(٣٠٨) انظر الصفحة: ٤٣، من هذا البحث.

(٣٠٩) انظر الصفحة: ٤٤، من هذا البحث.

قبلها . « (٣١٠) . وابن جنّي الذي يذكر أنّ أكثر الكتاب لا يُثبتون صورتها في هذه المسألة إلّا فيما يُعدّ من باب : حَوَابَة ، وَجَيَّال ، كما مرّ (٣١١) . وابن قتيبة الذي يستثني ما هو من باب : أَرْؤُس ، وَأَفْؤُس ، وَأَثُوب ، إذ يُعدّ الإثبات أحبّ إليه ، على الرغم من أنّ الحذف جائز (٣١٢) ، وابن بابشاذ (٣١٣) ، وابن مالك الذي يستثني ما هو من باب (تساؤل) ، والزنجاني ، وأبو حيان (٣١٤) .

(٢) أن تُثبت الواو صورة الهمزة ، وهو اختيار الرضيّ ، كما مرّ (٣١٥) ، والسيوطي (٣١٦) الذي يُعدّ الإثبات مذهب الأكثرين .

(٣) أن تُحذف الواو صورة الهمزة لتوالي الأمثال :

لقد نصّ من صنفوا في الرسم القرآنيّ زيادةً على ما يطالعنا فيه من الفاظٍ مهموزة - على أنّ واو الهمزة تُحذف في كلّ ما فيه واوان متجاورتان ، وما فيه ثلاث واواتٍ زيادةً على واو أخرى في بعض الألفاظ (٣١٧) . ويظهر لي أنّ علماء الرسم القدامى يقفون أثرهم في حذف واو الهمزة ، في الغالب ، في كلّ ما فيه واوان متجاورتان ، أو ثلاث ، ولهم فيما فيه واوان مذهبان :

(١) حذف واو الهمزة ، في الغالب ، للتخلّص من توالي الأمثال : ذكر ابن قتيبة أنّ الهمزة تُحذف صورة الواو تُكاتها إذا كانت مضمومةً بعدها واو ، والياء إذا كانت مكسورةً بعدها واو أيضاً : « وإذا كانت الهمزة مضمومةً أو مكسورةً ، وبعدها ياء أو واو كُتبت بياءً واحدةً أو واو واحدة ، وحذفت الهمزة : فتكتب : اقروا ، وقد قرؤا القرآن ، وهم يقرؤن ، وهم يهزؤن ، ، وهم

(٣١٠) ابن درستويه ، كتاب الكتاب : ٢٩ - ٣٠ .

(٣١١) انظر الصفحة : ٣٨ ، من هذا البحث .

(٣١٢) انظر ابن قتيبة ، أدب الكاتب : ٢٦٥ . وانظر الصفحة : ٣٧ ، من هذا البحث .

(٣١٣) انظر ابن بابشاذ ، شرح المقدمة المحسبة : ٤٥١/٢ .

(٣١٤) انظر السيوطي ، معجم الهوامع : ٣١١/٦ .

(٣١٥) انظر الصفحة : ٤١ ، من هذا البحث .

(٣١٦) انظر السيوطي ، معجم الهوامع : ٣١١/٦ .

(٣١٧) انظر الصفحة : ٢٢ - من هذا البحث .

يَمْلُؤُنَ ، وهم مُسْتَهْزِؤُنَ ، وهؤلاء مُقَرَّؤُنَ ، وَمُخْطِؤُنَ ، هذا الذي عليه المصحف، ومتقدمو الكتاب. وقد كتبه بعضُ الكتاب بياءٍ قبل الواو: مستهزئون، ومُقَرَّئون، وذلك حسنٌ^(٣١٨). يبدو لي أنَّ الأستاذ محمد الدالي محقق كتاب ابن قتيبة (أدب الكاتب) - لم يتبين نصُّ ابن قتيبة السابق، إذ كُتِبَ الهمزة على الواو الثانية، فجعلها نُكَّاتَهَا، والقياس كُتِبَها بلاصورة: اقرءوا، يقرءون، يَهْزِؤُون، يملئون، مستهزِؤُون، مُقَرَّءُون، مُخْطِئُون.

ويُفْهَمُ من نصِّ ابن قتيبة السابق أنَّ حذف واو الهمزة فيما فيه واوان متجاورتان واجبٌ؛ ولذلك يطالعنا بالفاظٍ مختلفٍ فيها من حيثُ الحذفِ وعدمه: «ومِمَّا اختلفوا فيه: مَوُونَة، وشُؤُون، جمع شأن، ورُؤُوس، ورجل سَوُول، ويؤُوس، كتبه بعضهم بواوين، وكتبه بعضهم بواو واحدة، وكلُّه حسنٌ»^(٣١٩).

والقولُ نفسه مع ابن درستويه على الرغم من أنه يستثني: هؤلاء مُقَرَّؤُوكَ^(٣٢٠) لئلا يلتبس بالمفرد بعد الحذف: «وهؤلاء مُقَرَّؤُوكَ، بواوين؛ لئلا يشبه الواحد...»^(٣٢١). ويظهرُ لي أنَّ هذا الشبه بعيدٌ؛ لأنَّ الواو الثانية ليست صورة الهمزة، كما مرَّ، إذ يُكْتَبُ الجمع بالحذف: مُقَرَّءُون، أمَّا المفرد الذي لا حذف فيه فتكتب الهمزة فيه على واو: مُقَرَّؤُوكَ، فالفرق بينهما بَيِّن، لا لبس فيه. ولم يذكر ابن درستويه تلك الألفاظ المختلفة فيها التي طالعنا بها ابن قتيبة. ومِمَّنْ يوجِبُون حذف الواو صورة الهمزة في هذه المسألة الرضي بقيد عدم اللبس^(٣٢٢).

(٣١٨) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٤.

(٣١٩) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٥.

(٣٢٠) لم يضبط محققاً كتاب ابن درستويه هذه اللفظة، وضبطها الصحيح، كما يترأى لي، مُقَرَّؤُوكَ، على أنها اسم مفعول (أقرأ)، لأن (مُقَرَّئون) تكتب الهمزة فيه على ياء أو بلا صورة في مِطَآن الرسم القديمة.

(٣٢١) ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٣٢.

(٣٢٢) انظر الرضي، شرح الشافية: ٣/٣٢٤.

وَيُفْهَمُ من شرح ابن عقيل لكلام ابن مالك الذي يدور في فلك تجاوز ألفين أو واوَيْنِ ليستِ الهمزةُ إحداهما أو إحداهما، نحو: طاووس، يَلُوونَ، ورؤُوسٌ - أَنَّ القياسَ حذفُ الساكنِ منهما، وعليه فإنَّ واوَ الهمزة لا يَصِحُّ حذفُها: «نحو: طاوس، ورؤُوس، وَيُسْتَوْن، وَيَلُون، وآدم، وآمن، حذفوا أحدَ المثلين خطأ، كراهة اجتماع المثلين، والقياسُ كونُ المحذوف هو الساكن، لقوة المتحرك بالحركة. قال ابن عصفور: وقد كَتَبَ بعضهم بواوَيْنِ على الأصل، وَيُسْتَنَى من هذا ما يلبس بالحذف، فلا تُحذفُ الواو من: قَوْل، وصَوُول، ونحوهما؛ لئلا يلبس بقَوْل وصَوُول. نصُّ على عدم الحذف ثعلبٌ، وتبعه ابن عصفور»^(٣٢٣). يظهر لي أنَّ كلام ابن مالك في هذه المسألة لا يشمل حذف الواو الساكنة وإبقاء واو الهمزة لما يأتي:

(أ) أنَّ علماء الرسم والكتاب القدامى يكادون يُجمِعون على حذف صورة الهمزة في كلِّ ما فيه حرفان متماثلان، أو ثلاثة، كما مرَّ. وزيادةً على ما سبقت الإشارة إليه دونك قول أبي حيَّان النحوي: «قال: ومنهم مَنْ يَجْعَلُ صورتها الألف على كلِّ حال، وهو أقلُّ استعمالاً، ومنهم من يجعل صورتها على حَسَبِ حركتها إلاَّ إنَّ كان بعدها حرفٌ علَّةٌ زائدٌ للمدِّ، نحو: مُسْتَوِل، ومُسْتَوِم، فلا يُجْعَلُ لها صورة. ومنهم من يجعل لها صورة، وذلك للفرق بين المهموز وغيره، مثل: مَقُول، ومَصْوَغ»^(٣٢٤).

(ب) أنَّ حذف الواو صورة الهمزة لا يُؤدِّي إلى التقاء ساكنين؛ لكونها مضمومة، أما حذف الواو الأولى في غير المهموز فيؤدِّي إلى ذلك.

(ج) أنَّ حَذْفَ الواو الثانية في مثل: رُؤْف، ورؤُوس، وأضرابهما - يُؤدِّي إلى توافر اللبس بين (فَعْلٌ) فعلاً، و (فَعُول) اسماً في مثل: رُؤْف

(٣٢٣) ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد: ٣٦٥/٤.

وانظر ابن عصفور، شرح جمل الزجاجة: ٣١٢/٢.

(٣٢٤) السيوطي، همع الهوامع: ٣١٢/٦.

فعلاً، ورؤف اسماً. و (رُئِسَ) مبنياً للمفعول على مذهب من يكتب الهمزة فيه على واو، و (رُؤُس)، إذا تنوسى الضبط الصرفي.

(د) أن حذف الواو الثانية يؤدي إلى مخالفة المكتوب للمنطوق، وهي مسألة تجعل الطلبة وغيرهم يتعثرون في قراءة ما توافر فيه ذلك.

(هـ) أن الهمزة ليست واواً في الحقيقة، بل الواو صورتها، وعليه فهي عارضة، والعارض أولى بالحذف والتلعب به.

(ن) أن ابن مالك لم ينص على أي واو تُحذف، على الرغم من أنني أذهب إلى أن المحذوف صورة الهمزة في المهموز^(٣٢٥).

(ل) أن صورة الهمزة هي التي حُذفت في الرسم القرآني، لا الواو الثانية، وهذا الرسم يُعدُّ قدوةً للكتاب فيما بعد في كثير من مسائل الرسم.

(٢) أن تثبت الواو صورة الهمزة، على أنه لا حذفت في الكلمة: لقد مر أن جمهور علماء الرسم ومن صنفوا فيه من القدامى يكادون يجمعون على حذف الواو صورة الهمزة في هذه المسألة إلا ما يمكن أن يتوافر فيه اللبس بهذا الحذف، نحو: صَوُول، وقَوُول، وما اختلف فيه من ألفاظ، وهي الألفاظ التي طالعنا بها ابن قتيبة، كما مر. وعليه فإن الحذف في غير الألفاظ المستثناة يكاد يكون واجباً.

والقول نفسه في كل فعلٍ من باب: جاءوا، وباءوا، ويجيئون، ويسيتون، ويقرءون، إذا اعتد بالعارض، إذ تُحذف الواو صورة الهمزة فيما مر، حملاً على مذهب علماء الرسم القدامى، والرسم القرآني. وعليه فلا يصح حذف الواو الثانية وكتب ما مر بواو واحدة، هي واو الهمزة؛ لما مر.

(٣٢٥) انظر محمد بن عيسى السلسلي (ت: ٧٧٠ هـ)، شفاء العليل في إيضاح التسهيل، تحقيق د. الشريف عبد الله الحسيني البركاتي، مكة المكرمة - المكتبة الفيصلية (بلا تاريخ طبع): ١١٤٣/٣ - ١١٤٤.

ويكاد العلماء القدامى يُجمعون على حذف واو الهمزة في كل ما فيه ثلاث واوات؛ لثلاً يتوافر في الحذف إجحافُ بالكلمة، زيادةً على مخالفة المنطوق للمكتوب. والقول نفسه في الرسم القرآني إذا استثنينا (المؤودة)^(٣٢٦)؛ و (لِيسُوا)^(٣٢٧)، ولعل ما يُعزّز ذلك كتبهم (تبوء)^(٣٢٨) بحذف واو الهمزة فقط^(٣٢٩). وهاتان اللفظتان (المؤودة، لِيَسُوا) لا تعدّان قياساً عند علماء الرسم والكتاب القدامى، فابن قتيبة لا يستحب ذلك في غير القرآن: «فأما (المؤودة) فإنها كُتِبَتْ في المصحف بواو واحدة، ولا أُستحب للكاتب أن يكتبها إلا بواوين، لأنها ثلاث: إحداهن همزة مضمومة، تُبدل منها واوا، فإن حذفت اثنتين أجمعت بالحذف»^(٣٣٠). ويبدو لي أن الأستاذ محمد الدالي قد غلط في رسم الهمزة على الواو؛ لأن قياس كتب هذه اللفظة وأضرابها (المؤودة). وذكر أبو حيان أن المختار في غير الرسم القرآني - على الرغم من كونه قياساً عنده - كتب المؤودة بواوين: «قال: وقد كُتِبَ (المؤودة) بواو واحدة في المصحف؛ وهو قياس، فإن الهمزة لا صورة لها، فبقى واوان، ومن عاداتهم عند اجتماع صورتين في كلمة واحدة حذف إحداهما؛ فلذلك كُتِبَتْ واحدة إلا أنه يُختار في غير القرآن فيه أن يُكتب بواوين؛ لأنه قد حُذِفَ من الكلمة في الخط - حرف، فيكره أن يُحذف غيره، انتهى»^(٣٣١). والقول نفسه مع الدكتور عبد العال سالم محقق (مع الهوامع) في كتب المؤودة بواوين، إحداهما واو الهمزة (المؤودة).

ويمما يمكن عدّه من باب ما فيه ثلاث واوات وحذف صورة الهمزة، على الرغم من أن محققي الكتب التي اتخذناها عمدتنا قد آثروا حذف واو

(٣٢٦) التكوين: ٨

(٣٢٧) الإسراء: ٧

(٣٢٨) الحشر: ٩

(٣٢٩) انظر الصفحة: ٢٢ - ٢٤، من هذا البحث.

(٣٣٠) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٥.

(٣٣١) السيوطي، مع الهوامع: ٣١٢/٦.

غير واو الهمزة - تَسْوَوْنَ ، مَسْوَعُونَ ، مَشْنُوْعُونَ ، وَسَوْعُوا ، مَقْرُوْعُونَ (٣٣٢) .

وبعدُ فَيَتَبَيَّنُ لَنَا مِمَّا مَرَّ أَنْ رَسَمَ المصْحَفُ الْقُرْآنِيَّ لَمْ يُطَالَعْنَا فِيهِ حَذْفُ الْوَاوِ الثَّانِيَةِ فِيمَا هُوَ مِنْ بَابٍ : رَعُوفٌ ، وَرُعُوسٌ ، وَجَاءُوا ، وَأَضْرَابُهَا ، وَالْقَوْلُ نَفْسَهُ مَعَ عُلَمَاءِ الرِّسْمِ وَمَنْ صَنَّفُوا فِيهِ مِنَ الْقَدَامِيِّ ، إِذْ لَمْ يُجْزَأْ أَحَدُهُمْ ذَلِكَ ، وَعَلَيْهِ فَإِنِّي أَذْهَبُ بِلَا تَرَدُّدٍ إِلَى تَغْلِيظِ مَنْ كَتَبَ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ مَا مَرَّ بِوَائِ وَاحِدَةٍ هِيَ وَائِ الهمزة ؛ لِتَوَافُرِ اللَّيْسِ بِهِ ، وَمَغَايِرَةِ الْمَكْتُوبِ لِلْمَنْطُوقِ ؛ وَلِأَنَّ الْقَدَامِيَّ عَلَى خِلَافِهِ .

(٣) الهمزة التي حُذِفَتْ صُورَةُ الْيَاءِ تُكَاتُّهَا

الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَالْقَوْلِ فِي سَابِقَتِهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْقَدَامِيَّ مِنْ عُلَمَاءِ الرِّسْمِ وَمَنْ صَنَّفُوا فِيهِ يَدُورُونَ فِي فَلَكَ الرِّسْمِ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي تُحْذَفُ فِيهِ الْيَاءُ صُورَةُ الهمزة فِي كُلِّ مَا فِيهِ يَاءَانِ مُتَجَاوِرَتَانِ عَلَى أَنْ تَكُونَ يَاءُ الهمزة الْأُولَى ، كَمَا مَرَّ (٣٣٣) ، وَمَا فِيهِ هَمْزَةٌ مَكْسُورَةٌ مَا قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا وَائِ ، كَمَا مَرَّ أَيْضًا (٣٣٤) . وَيَكَادُ الْخِلَافُ بَيْنَ الرِّسْمِ الْقُرْآنِيِّ وَالرِّسْمِ الْإِصْطِلَاحِيِّ فِي مِظَانِ الْقَدَامِيِّ - يَكْمُنُ فِي أَنَّ الْحَذْفَ فِي الرِّسْمِ الْقُرْآنِيِّ يَكَادُ يَكُونُ وَاجِبًا ، أَمَّا فِي الرِّسْمِ الْإِصْطِلَاحِيِّ فَجَائِزٌ . وَلَعَلَّ أَهَمَّ مَوَاضِعَ حَذْفِ الْيَاءِ صُورَةُ الهمزة فِي مِظَانِ الرِّسْمِ الْقَدِيمَةِ - مَا يَأْتِي :

(١) أَنْ تَكُونَ الهمزة مُتَوَسِّطَةً مَكْسُورَةً سَاكِئًا مَا قَبْلَهَا :

يَكَادُ أَصْحَابُ مِظَانِ الرِّسْمِ الْإِصْطِلَاحِيِّ يُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ الْيَاءَ صُورَةُ الهمزة تُحْذَفُ بِقِيْدِ كَوْنِ هَذِهِ الهمزة مَكْسُورَةً سَاكِئًا مَا قَبْلَهَا ، كَمَا مَرَّ (٣٣٥) :

(٣٣٢) انظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٥، ٢٦٩، ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٣٤، ابن عقيل، المساعد على تهليل الفوائد: ٣٦٦/٤ .

(٣٣٣) انظر الصفحة: ٢٦ - ٢٨، من هذا البحث .

(٣٣٤) انظر الصفحة: ٢٦ - ٢٨، من هذا البحث .

(٣٣٥) انظر الصفحة: ٢٧ - ٣٩ - ٣٨ - ٤٠، من هذا البحث .

اسْتَلْتُمْ، يُسْفِلُ، يُسْثَم، وغيرها. ومن هؤلاء ابن قتيبة وابن درستويه، وابن جنني وغيرهم^(٣٣٦). والمختار عند الرضيّ عدم الحذف في هذه المسألة^(٣٣٧).

(٢) أن تُحذف الياء صورة الهمزة لتجاور ياءين :

ذكر ابن قتيبة أن الياء صورة الهمزة تُحذف بلا خلاف إذا كانت الهمزة مكسورة بعدها ياء جمع المذكر السالم، أو ياء المخاطبة، نحو: تُسْتَهْزِئِينَ، تَنْكُئِينَ، وَمَتَكُئِينَ، وَمُخْطِئِينَ^(٣٣٨). أمّا ما فيه ياء (فعل) مصدر أو صفة مشبهة أو مثلاً من أمثلة المبالغة، ففيه الحذف إتباعاً للمصحف، والإثبات، وهو أحب إليه^(٣٣٩)، نحو: لَيْم، وَرَيْس، وَيَيْس، وَزَيْر. وتُحذف أيضاً فيما فيه ثلاث ياءات، نحو تَجِيئِينَ تَسِيئِينَ^(٣٤٠)، والقول نفسه مع ابن درستويه الذي يوجب حذف الياء صورة الهمزة في مثل: مُسْتَهْزِئِينَ، وَتُسْتَهْزِئِينَ، إذا لم يتوافر اللبس بالحذف، وعليه فإن هذه الصورة لا تُحذف في مثل: مُسْتَهْزِئِينَ وَمُخْطِئِينَ، لتحقيق أمن اللبس بين المثنى والجمع^(٣٤١). ويتبعه في هذه المسألة ابن الحَاجِب^(٣٤٢) الذي يحمل ذلك على عدم توافر المدّ بعد همزة التثنية، وهو تعليل ليس بجيد عند الرضيّ؛ لأنّ المدّ لا تأثير له في الخط، والأظهر أن يُحمل على تحقيق أمن اللبس، كما مرّ. وقد أجاز السيوطي في مثل: مِثْن، وَلَيْم، الحذف والإثبات، على الرغم من أن ابن قتيبة وغيره يكادون يوجبون الحذف في كلّ ما فيه ياء جمع

(٣٣٦) انظر الصفحة: ٣٧ - ٣٩، ٣٨ - ٤٠، من هذا البحث.

(٣٣٧) انظر الصفحة: ٣٧ - ٣٩، - من هذا البحث.

(٣٣٨) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٤، ٢٦٩.

(٣٣٩) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٥، ٢٦٩.

(٣٤٠) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٧٠، ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد:

٣٦٦/٤.

(٣٤١) انظر ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٣٢.

(٣٤٢) انظر، شرح الشافية: ٣/٣٢٠.

المذكر السالم، أو ياء المخاطبة إلا إذا عُدَّ (مثنى) الملحق بجمع المذكر السالم ليس من باب هذا الجمع^(٣٤٣).

ويطالعنا القلقشندي بحذف الياء صورة الهمزة إذا كان قبلها مدَّة زائدة، أو ياء تصغير: «فإن كانتا زائدتين للمدِّ، نحو: خَطِيئَةٌ، ومَقْرُوءَةٌ، وهنِيئاً مَرِيئاً، أو ياء تصغير، نحو: أَفْيَيْسٌ، تصغير أَفْؤُسٍ، جمع فَأَسٍ، فلا صورة للهمزة...»^(٣٤٤). ويكاد علماء الرسم القدامى يحصرون حذف الياء صورة الهمزة للتخلص من توالي المثليين فيما فيه الهمزة قبل الياء الأخرى، والياء صورة الهمزة في (أَفْيَيْسٍ) بعدها. ويظهر لي أن القلقشندي يحذف تكأة الهمزة أيًا كانت ربتها. أمّا حذف الألف صورة الهمزة في الألفاظ الأخرى فيعود، كما مر، إلى أن الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها تُحذف صورتها.

(٣) أن تُحذف الياء صورة الهمزة المضمومة المكسور ما قبلها إذا كان بعدها واوٌ:

ذكر علماء الرسم القدامى ومن صنفوا فيه أن الياء صورة الهمزة تُحذف جوازاً في كل ما يُعدُّ من باب: مُقْرَءُونَ، وَمُخْطَطُونَ، وَمُسْتَهْزَءُونَ، على أن الحذف أولى؛ لأن ابن قتيبة يقول: «وقد كتبه بعض الكتاب بياء قبل الواو: مستهزئون، ومقرئون، وذلك حسن»^(٣٤٥)، والقول نفسه في: تُخْطَطُونَ، وتُرْجَتُونَ، وأضرابهما، من حيث الإثبات والحذف. وقد تناسى كثير منهم ذكر علة هذا الحذف، ويظهر لي أنه يعود إلى اتباع رسم المصحف، أو أنه محمول على أن بعض الكتاب في المصحف وغيره يعاملون الهمزة المتطرفة متوسطة، ويرسمونها على نُكَاةٍ من جنس حركتها،

(٣٤٣) انظر السيوطي، مع الهوامع: ٣١٢/٦.

(٣٤٤) انظر القلقشندي، صبح الأعشى: ٢٠٦/٣.

(٣٤٥) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٤، ٢٦٩.

وعليه فإن صورة الهمزة واو لا ياء، فتُحذف هذه الصورة لتوالي الأمثال. أمّا حذفها في مثل: تُسَيِّون، وأَضْرَابِهِ، فلكونها متحركة بعد ياء ساكنة، أو لكونها مِمَّا يتوالى فيه واوان حملا على ما مرّ. وقد حمل الرضّي وابنُ الحاجب ذلك على توافُر المدّ بعد الهمزة^(٣٤٦). ويتراءى لي أنّ المدّ لا أثر له في الخطّ بل في اللفظ. ويحمل ابنُ درستويه هذه المسألة على توالي الأشباه^(٣٤٧) ولعلّ ما يُعزّز تأويلي السابق أنّ سيويه يكتب ما يُعَدُّ من باب: مُؤُون، بالواو، وكتبها بالياء مذهبُ الأخفش^(٣٤٨).

ولهم في رسم ما هو من باب: رِدَائِي، وكِسَائِي، وسمَائِي، وأَضْرَابِهَا - مذهبان، إثباتُ الياء صورة الهمزة؛ لاختلاف صورتَي الياءين، وهو الأظهر، والحذفُ للتخلّص من توالي الأمثال^(٣٤٩). ويظهرُ لي أنّ الاختلاف المشار إليه لا يُعْتَدُّ به في رسم المقصور الذي من باب: دُنْيَا، وَعُغْلِيَا، رِيَا، صِفَاتٍ، وَيَحْيَا، وَيَعْيَا، وَاسْتَحْيَا، وَأَضْرَابِهَا، أفعالاً، إذ لو اعتدّ به لكتب ما مرّ بالياء المهملة. وعليه فإنّ الحذف يُعَدُّ أولى في رأيي، إذا أردنا أن ندور في فلك التخلّص من توالي الأمثال، على الرغم من توافر هذا التوالي في بعض مسائل العربية، نحو: أُمِّيَّ (في أحد الأوجه)، ومُحَيِّي، وأَضْرَابِهَا.

(٤) أنّ تُحذف الياء صورة الهمزة المتوسطة المكسورة الساكن ما قبلها إذا عرض لها ما يجعلها منطرفةً نظرفاً عارضاً:

يُفْهَمُ من كلام ابن قتيبة أنّ الهمزة في مثل: جاءٍ وشاءٍ، وأَضْرَابِهَا مِمَّا فيه قلبُ مكانيّ (قال) - لا تُحذفُ صورتها، إذ يجبُ كتبتها هكذا: جاءٍ، وشاءٍ، على أنّ ياء المنقوص محذوفة، والقولُ نفسه في: مَرَأِي (جمع مرأة)، ومَسَاي (جمع مَسَاءة)، ومُنَيَّ، ومَرَي (٣٥٠). ولم أوفق في

(٣٤٦) انظر ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٣٢.

(٣٤٧) انظر السيوطي، همع الهوامع: ٣١٣/٦.

(٣٤٨) انظر الرضّي، شرح الشافية: ٣٢٤/٣.

(٣٤٩) انظر الرضّي، شرح الشافية: ٣٢٤/٢.

(٣٥٠) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٩ - ٢٧٠.

الاهتداء إلى هذا المذهب في أحد مظان الرسم الإملائي التي اتخذتها عمدتي في هذا البحث. ويتراءى لي أن ابن قتيبة لا يعتد بالعارض في هذه المسألة؛ لأن الهمزة عنده متوسطة، على الرغم من حذف ياء المنقوص، وغالب ظني أنه يتبع رسم المصحف فيما مر، حملاً على مذهب بعض الكتبة في رسم الهمزة المتطرفة الساكن ما قبلها على حرف من جنس حركتها. ولست أميل إلى هذا الكتب؛ لأن الأظهر الاعتداد بالعارض، وتناسي ياء المنقوص، وعد الهمزة متطرفة: جاء، وشاء، ومُن، ومَرء، بلا ياء.

وبعد فتيبنا لما مر أن علماء الرسم ومن صنفوا فيه من القدامى يدورون في فلك الرسم القرآني في كثير من المسائل، ويتخذونه عمدتهم في مظانهم المختلفة، إذ يُنبّه بعضهم على أنه قياس، أو أن هذا الرسم محمول على اتباع رسمه، أو أنه أولى لموافقة خط المصحف. وتكاد مواضع الاختلاف بينهم وبين الرسم القرآني في هذه المسألة تكمن في أن هذا الكتب من باب الوجوب أو الجواز، وتعد الأوجه الإملائية التي كان لها أثر في اختلاف رسم بعض الألفاظ في المصحف عن رسمها الاصطلاحي، وهي أوجه تعود إلى كتبة الوحي أو غيرهم في هذه الفترة الزمنية، وهي مسألة طبيعية، إذ تكثر هذه الأوجه وتتعد بتطور الكتابة في العصور المختلفة ومناهج الكتاب وعلماء الرسم، ولعل ما يُعزّر ما أذهب إليه أن في رسمنا الاصطلاحي الحديث ألفاظاً يختلف رسمها عنه في الرسم القرآني، أو رسم القدامى، وهي مسألة سنسبب الحديث فيها بعد.

وبطالعنا علماء الرسم القدامى في مظانهم المختلفة - بكثرة الأوجه في هذه المسألة وتعدّها الذي يدل على اختلاف مذاهبهم، وهو اختلاف يخضع لسلطان الوجوب أو الجواز، أو ذكر وجه وتناسي آخر، أو الاعتداد بالعارض أو عدمه، أو الرغبة في تحقيق أمن اللبس أو عدمه، أو اتباع رسم

المصحف أو عدمه، أو تخفيف الهمزة يجعلها حرفاً من جنس حركتها أو حركة ما قبلها، وغير ذلك.

ويتبين لنا أيضاً أن النبذة أو السن الصغيرة التي تطالعنا في مظان الرسم الحديثة لم تكن معروفة عند القدامى من علماء الرسم أو كتبة الوحي، وأنها من زيادات المحدثين التي لا مُحْجَج إليها، وغالب ظنّي أنها تعود إلى عدم تبين مذهب القدامى من علماء الرسم الاصطلاحي أو الرسم القرآني، فهي لا تَخْضَعُ لسلطان التخفيف والتحقيق الذي يتحكم في اختيار صورة الهمزة، زيادةً على أن هذه النبذة تجعل الهمزة التي ليس لها صورة تلبس بتلك التي صورتها الياء المهملة في التخفيف وغيره. والقول نفسه في رسم ما يُعَدُّ من باب (رعوف) بواو واحدة، هي واو الهمزة، على الرغم من أن هذا الرسم يكاد يكون غير متوافر في الرسم القرآني أو الاصطلاحي القديم، ويؤدي إلى مغايرة المنطوق للمكتوب، وهي مغايرة تجعل الرسم الإملائي مما ينفر منه الطلبة وغيرهم من الكتبة، فيزداد غموضاً وإلباساً على الرغم من أن غاية العربية القصوى تحقيق أمن اللبس في كتبها وتراكيبها اللغوية المختلفة؛ لأن اللغة الملبسة في الكتب والتراكيب لا تصلح أن تكون وسيلة للتفاهم أو التخاطب.

(٤) الهمزة التي ليس لها نُكَاة في تصانيف المحدثين

يدور من صنّف في لرسم الإملائي من المحدثين في فلك تلك الأصول والأقيسة التي توصل إليها القدامى من علماء الرسم وكتبة المصحف، وتدوين تلك الأوجه الجائزة وتأويلاتها. ولعل أهم ما تتسم به بعض تصانيف المحدثين الانتقاء والاختيار، وتناسي بعض الأوجه أو المذاهب وإهمالها، وتعزيز تلك الأصول والأقيسة بأمثلة مصنوعة في الغالب، يدور كثير من الأمثلة نفسها في أثنائها وحناياها، ويتفرد بعضها بتدوين بعض النصوص اللغوية القديمة والحديثة للتدريب والتدرب. ويكاد بعض مُصنّفيها يتناسون

العودة إلى مصدر الرسم الأصيل من مظان الرسم القرآني والاصطلاحي مكتفياً بالعودة إلى تصانيف من سبقوه في التأليف في هذه المسألة.

ولست أود أن أنهج النهج نفسه الذي نهجته في حديثي عن علماء الرسم القدامى وكتبة المصحف، من حيث تدوين مواضع حذف نكاة الهمزة وأوا كانت أو ألفاً أو ياء؛ لئلا يوسم النهج في هذه المسألة بالتكرير الذي لا مخرج إليه، وعليه فلقد رأيت أن أدون ما يمكن أن يعدّ على خلاف ما طالعنا به القدامى من علماء الرسم الاصطلاحي والقرآني، أو من باب إجازة وجه وتناسي آخر، أو التوصل إلى وجه قد يعدّه المحدث من باب التجديد أو التيسير والتقريب إلى الطلبة والمريدين وغيرهم. ولعل أهم ما يمكن أن يكون من هذه المسألة - ما يأتي :

(١) الهمزة المتوسطة المتحركة الساكن ما قبلها

يكاد المحدثون ممن صنفوا في الرسم الإملائي يتناسون في الغالب مذهب القدامى وكتبة المصحف في هذه المسألة، كما مر، إذ يرى جمهورهم أن الهمزة المفتوحة تكتب على ألف إذا كان قبلها حرف صحيح ساكن، نحو: يسأل، ومسألة، ويزار، ويجار، وأضرابها. واستثنى بعضهم لفظة مسألة، إذ أجاز أن تحذف الألف تكأتها؛ لكثرة استعمالها لفظاً وخطاً، وزاد الشيخ حسين والي عليها مشأمة وأضرابها^(٣٥١). ولقد مر أن القدامى

(٣٥١) انظر الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء، بيروت - دار القلم: الطبعة الأولى، ١٩٨٥م:

٥٨. وانظر: أحمد قبش، الإملاء العربي، دمشق - مطبعة زيد بن ثابت، ١٣٩٧هـ -

١٩٧٧م: ٤٦، د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٥٣، الشيخ مصطفى طموم،

سراج الكتبة، دمشق - دار البصائر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ١٤، عبد العليم

إبراهيم، الإملاء والترقيم، القاهرة - مكتبة غريب، (بلا تاريخ طبع): ٤٨، أحمد

الهاشمي، المفرد العلم في رسم القلم، بيروت - دار الكتب العلمية (بلا تاريخ طبع):

١١، عبد السلام هارون، قواعد الإملاء، القاهرة - مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة،

١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م: ١٤، الشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، بيروت -

صيدا، المكتبة العصرية، الطبعة الثالثة عشرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م: ١٥٣،

يكادُ جمهورُهُم يوجب حذف الألف صورة الهمزة في هذه المسألة ما عدا ما يُعدُّ من باب نشأة ومُرأة^(٣٥٢)، وأنَّ الرضِيَّ قد اختار عدم الحذف. ويطالعُنا المحدثون ببعض الاستثناءات، إذ يوجبون حذف هذه الألف فيما يأتي:

(١) أن تُسبق الهمزة المفتوحة بياء ساكنة:

لعلَّهم يُجمعون على هذه المسألة، إذ يُنصَّون على أن الهمزة يجب كُتِبَها على نبرة أو سنٍّ صغيرة، أيًا كانت حركة الهمزة، نحو: هَيْئَة، بَيْئَة، شَيْئُك (مثلثة الهمزة)، شَيْئَان، شَيْئَيْن، بَطِيئَان، رَدِيئَات، جَيْئَل. ومنهم من يدعو إلى إثبات الألف فيما يتوافر فيه اللبس، نحو: يَبْئُوس وَيَبْئِيس (بكسر الهمزة على لغة بعض العرب)، على الرغم من أنَّ أمن اللبس يتحقَّق بالحركة الصرفية على الهمزة، أو باتخاذ رسم القدامى عمدة؛ لأنَّ الهمزة التي لا صورة لها توضع على المتسع أو المطَّعة التي تصل الياء بما بعدها، أما المكسورة فترسم على الياء المُهمَّلة إنَّ لم نحذفها حملاً على مذهب بعض القدامى أيضاً^(٣٥٣).

ويظهرُ لي أنَّ كثيراً من القدامى لا يعدُّون هَيْئَة، وبَيْئَة، وجَيْئَة، وأضرابها ممَّا فيه ياء ساكنة قبل الهمزة المفتوحة - من المستثنيات؛ لأنها تخضع لسلطان الأصل الإملائي، فابن درستويه يرى أنَّ حذف الألف فيها وفي كلِّ ما فيه همزة مفتوحة ساكنٌ ما قبلها - أجودٌ من الإثبات. ولعلَّ ابن

د. عبد الجواد الطيب، دراسة في قواعد الإملاء، بيروت - دار الأوزاعي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ٤١، مصطفى عناني، نتيجة الإملاء وقواعد الترقيم، القاهرة - مطبعة حجازي، الطبعة الخامسة، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م: ١١، إبراهيم عبد المطلب، الهداية إلى ضوابط الكتابة (بلا مكان طبع أو تاريخه): ٢١.

(٣٥٢) انظر الصفحة: ٣٧ - ٣٩، - من هذا البحث.

(٣٥٣) انظر: مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ١٢، ٩، إبراهيم عبد المطلب الهداية: ١٨، عبد السلام هارون، قواعد الإملاء: ١٨، الهاشمي، المفرد العلم: ١١، عبد العليم إبراهيم، الإملاء والترقيم: ٤٩، أحمد قبش: الإملاء العربي: ٤٧، حسين والي، كتاب الإملاء: ٦٦.

قتيبة في إثباته الألف في مَرَاة ونَشْأَة وأضرابهما - يقفو الرسم القرآني على الرغم من أن الداني أجاز أن يكون ذلك محمولاً على قراءة فتح الشين في (النشأة)، على أن الهمزة مفتوحة مفتوح ما قبلها^(٣٥٤). ولست أنكر، كما مر، أن ابن جني قد استثنى من حذف الألف في هذه المسألة ما هو من باب: جَيَّالٌ وَحَوَّابَةٌ، وغيرهما مما فيه الهمزة مفتوحة قبلها ياء أو واو ساكتتان قبلهما حرف صحيح مفتوح^(٣٥٥). ويمكن أن يُحمَلَ ذلك على أن الهمزة في هاتين اللفظتين متوسطة توسطاً أصيلاً لا عارضاً على خلاف هيئته وبنيته وأضرابهما مما فيه الهمزة متوسطة توسطاً عارضاً. ويطالع الغلاييني باتباع ابن جني في هذه المسألة: «إذا توسَّطتِ الهمزة مفتوحة بعد حرف ساكن توسطاً حقيقياً - كُتِبَتْ على ألف، إن لم تُسبقْ بألف المد، مثل: يئأس، ويسأل، ومسألة، وجيَّال، وسَمَوَّال، ومَلَأَمَة، وتَوَّامٌ...»^(٣٥٦). أما المتوسطة توسطاً عارضاً فلا بد من حذف صورتها عنده وكتبتها على شبه ياء، نحو: شَيْئِينَ، وَعَبَّيْنِ، وشَيْئُهُ، ونَشْئُهُ، وخَبِئُهُ^(٣٥٧).

ومما حمله بعض المحدثين على الاستثناء مما سبق بيانه ساكنة (يئأس) بإثبات الألف صورة الهمزة، لتحقيق أمن اللبس بينه وبين (يئس) بكسر الهمزة، على اللغة الأخرى^(٣٥٨). وممن لم ينص عليه مصطفى عناني: «وقد يتعيَّن أحدهما دفْعاً لللبس، فتُكْتَبُ همزة (يئس) المفتوحة على المتسَّع، والمكسورة على نبرة، هكذا (يئس)، ولا داعي إلى كتابة الأولى بالألف للفرق بينهما، كما رأى ذلك صاحب المطالع»^(٣٥٩). ويظهر لي أن

(٣٥٤) انظر الصفحة: ٣٧ - ٣٩، من هذا البحث.

(٣٥٥) انظر الصفحة: ١٥١ - ١٦ - ٣٧ - ٣٩.

(٣٥٦) الغلاييني، جامع الدروس العربية: ١٥٣/٢.

(٣٥٨) انظر: إبراهيم عبد المطلب، الهداية إلى ضوابط الكتابة: ١٨، عبد السلام هارون، قواعد الإملاء: ١٩، الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٦٧، الهاشمي، المفرد العلم:

(٣٥٩) مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ١٢.

حركة الهمزة الصرفية كفيلاً بتحقيق أمن اللبس بينهما. ويتراءى لي أيضاً أنه لا بُدَّ من الاطراد في الرسم الإملائي والتخلص من تعدد الأوجه وتكثيرها؛ لأنها تسهم في أن ينفر الطلبة والمريدون وغيرهم من الكتابة العربية؛ لعدم تبيينهم تلك الأوجه، ولا سيما ما يُستثنى، وعليه فإنني أدعوا بلا تردُّدٍ إلى اتباع جمهور القدامى وكتبه المصحف في هذه المسألة في حذف الألف صورة الهمزة بلا استثناء.

(٢) أن تُسبَق الهمزة المفتوحة بواو ساكنة :

يكاد المحدثون يُجمعون على حذف الألف صورة الهمزة فيما فيه الهمزة مفتوحة أو متوسطةً توسطاً عارضاً، على أنهم لم يعتدوا بالعارض، فعاملوها في الرسم معاملة المتطرفة من حيث كتبتها بلا صورة، لسكون ما قبلها، نحو: سَوَّة، وبَوَّة، وأضرابهما مما فيه همزة مفتوحة قبل تاء التانيث، ووضوءك، وضوءك، ووضوءه، ووضوءه، وأضرابهما مما فيه الهمزة متوسطةً توسطاً عارضاً بإضافته إلى الضمير المتصل^(٣٦٠)؛ ولست أرى موجباً إلى استثناء الجر فيما مرّ، لكون الهمزة به عارضةً أيضاً؛ ولأن أمن اللبس يتحقق بالحركة الإعرابية (الكسرة) كما يتحقق بالفتحة نصباً، والضمّة رفعاً؛ ولأن في ذلك جعلاً للقاعدة مطردة بلا شذوذ، وهي مسألة فيها تيسير وتقريب إلى الطلبة والمريدين وغيرهم.

ومن ذلك أيضاً حذف الألف في مثل سَمَوَّل، وأضراجه مما فيه الهمزة متوسطةً توسطاً أصيلاً. ويظهر لي أنه يعود إلى حمل بعضهم الهمزة في هذا الموضع على كونها متوسطةً توسطاً عارضاً، كما مرّ، على الرغم من أن ابن

(٣٦٠) انظر: مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ٩، إبراهيم عبد المطلب، الهداية: ٢١، الهاشمي، المفرد العلم: ١١، عبد العليم إبراهيم: الإملاء والترقيم: ٤٩، د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٦٢، أحمد قش: الإملاء العربي: ٤٦، الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٦٧.

جَنِّي يوجبُ إثبات الألف في مثل حَوَابَة، وَجَيَّال، كما مرَّ، وهي مسألة يتبعه فيها الغلاييني، إذ يُثَبِّت هذه الألف في: جَيَّال، وَسَمَوَّال، وَتَوَّام^(٣٦١). ولا ضرورة إلى ما ذهب إليه ابن جني والغلاييني، لتصيير القاعدة مطَّردة، وأتباع مذهب القدامى من علماء الرسم وكتبة المصحف، الذين يحذفون صورتها لكونها مفتوحةً بعد ساكن.

ومنه السَّوْءَى وأضرابها ممَّا فيه همزة مفتوحة متوسطةً توسَّطاً عارضاً وبعدها ألف مد، حملاً على عدم الاعتداد بالعارض^(٣٦٢). ولست أرى مانعاً من الاعتداد بالعارض فيما مرَّ، على مذهب من يَرُغِب في تكثير الأوجه الإملائية، إذ تُكْتَبُ الهمزة على ألف (السَّوْءَى) أتباعاً لرسم المصحف^(٣٦٣)، ويتخلَّص من توالي الأمثال خطأ باختلاف رسم الألف (العمودية والياء المهملة)، على الرغم من أنَّ الألف في المصحف قد حُذِفَتْ في ألفاظ تُعدُّ نظيرة لـ (السَّوْءَى) في تجاور الهمزة والياء المهملة، نحو (رَغَى)^(٣٦٤) وأضرابها. ويمكنُ كتبها بحذف الألف الأخيرة والتعويض منها المدة (السَّوْءَا) حملاً على: قرأ، ويقرآن في أحد الأوجه، على الرغم من الفرق البين بين الألفين في (السَّوْءَى) و(قرأ).

(٣٦١) الغلاييني، جامع الدروس العربية: ١٥٣/٢، وانظر: عبد السلام هارون، قواعد الإملاء: ١٩، الهاشمي، المفرد العلم: ١١ مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ٩، عبد العليم إبراهيم، الإملاء والترقيم: ٤٩، إبراهيم عبد المطلب، الهداية: ٢١، د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٦٢، أحمد قبش، الإملاء العربي: ٨٦، الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٦٧.

(٣٦٢) انظر: عبد السلام هارون، قواعد الإملاء: ١٩، الهاشمي، المفرد العلم: ١١، مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ٩، إبراهيم عبد اللطيف، الهداية: ٢١، عبد العليم إبراهيم، الإملاء والترقيم: ٤٩، د. اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٦٢، أحمد قبش، الإملاء العربي: ٨٦، الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٦٧.

(٣٦٣) الروم: ١. وانظر في ذلك الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٦٦.

(٣٦٤) انظر الصفحة: ١٩ - ٢٣، من هذا البحث.

(٣) أَنْ تَتَّبِعَ الهمزة المفتوحة المتوسطة تَوْسُطًا عَارِضًا وَالسَّاكِنَ مَا قَبْلَهَا -
أَلْفَ التَّنْيَةِ أَوْ عَلَامَتَهَا :

يوجب المحدثون مِمَّنْ صَنَّفُوا فِي الرَّسْمِ الإِمْلَائِيِّ حَذْفَ صَوْرَةِ الهمزة
فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَى وَفْقِ مَذْهَبِ الْقَدَامِيِّ ، كَمَا مَرَّ (٣٦٥) ، نَحْوُ : جُزْءَانِ ،
شَيْئَانِ ، قُرْءَانِ ، دِفْئَانِ ، وَجْزَاءَانِ ، امْتِلَاءَانِ ، وَاجْتِزَاءَانِ ، وَأَضْرَابُهَا . وَلَعَلَّ
السَّبَبَ فِي ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى عَدَمِ الْاعْتِدَادِ بِالْعَارِضِ فِيمَا فِيهِ الهمزة مُتَلَوَّةٌ بِعَلَامَةِ
التَّنْيَةِ ، وَالتَّخْلُصِ مِنْ تَوَالِي الْأَمْثَالِ زِيَادَةً عَلَى عَدَمِ الْاعْتِدَادِ بِالْعَارِضِ فِي
الْأَلْفَاظِ الْآخَرَى . وَلَمْ أَوْفُقْ فِي الْإِهْتِدَاءِ إِلَى مَنْ أَجَازَ إِثْبَاتَ الْأَلْفِ فِيمَا مَرَّ مِنَ
الْمُحَدِّثِينَ (٣٦٦) . وَالْقَوْلُ نَفْسُهُ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ ، نَحْوُ : سَوَاتِ ،
وَخَطِئَاتِ ، وَمَرْوَاتِ ، وَأَضْرَابُهَا . وَيُظْهِرُ لِي أَنَّهُمْ يَقْفُونَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ
الرَّسْمَ الْقُرْآنِيَّ (٣٦٧) ، وَجُمْهُورَ عُلَمَاءِ الرَّسْمِ الْقَدَامِيِّ . وَلَسْتُ أَرَى مَانِعًا مِنْ
رَسْمِ الهمزة عَلَى أَلْفٍ وَحَذْفِ الْأَلْفِ الثَّانِيَةِ وَالتَّعْوِيزِ مِنْهَا مَدَّةً ، نَحْوُ :
سَوَاتِ ، بَيَّاتِ ، خَطِئَاتِ ، عَلَى مَذْهَبٍ مَنْ يَرْغِبُ فِي تَكْثِيرِ الْأَوْجِهَةِ الْإِمْلَائِيَّةِ ،
وَلَعَلَّ مَا يَعَزِّزُ مَا أَذْهَبَ إِلَيْهِ مَا طَالَعْنَا بِهِ السِّيُوطِي : «وَالَّتِي هِيَ حَشْوُوهِي
مُتَحَرِّكَةٌ تُكْتَبُ حَرْفًا مِنْ جَنْسِ حَرَكَتِهَا سِوَاءَ كَانَ ذَلِكَ السَّاكِنَ صَحِيحًا ، أَوْ
حَرْفَ عِلَّةٍ ، نَحْوُ : مَرَأَةٍ ، وَكَمَاءَةٍ ، وَسَالٍ ، وَهَيَّاتِ ، وَسَوَاتٍ . . .» (٣٦٨) .
وَعَلَيْهِ فَيَجُوزُ كُتْبُ ، جُزْآنِ ، وَشَيَّانِ ، وَغَبَّانِ ، وَقُرَّانِ (مَثْنَى قُرْءٍ) وَأَضْرَابُهَا
بِالْأَلْفِ حَمَلًا عَلَى مَا مَرَّ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمَجْمُوعَ عَلَيْهِ أَوْلَى وَأَظْهَرُ ،
زِيَادَةً عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَتَحَقَّقُ اللَّيْسُ بَيْنَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ

(٣٦٥) انظر الصفحة : ٤١ - ٤٢ ، من هذا البحث .

(٣٦٦) انظر : مصطفى عثاني ، نتيجة الإملاء : ١١ ، إبراهيم عبد المطلب ، الهداية : ٢١ ، عبد
العليم إبراهيم ، الإملاء والترقيم : ٤٨ - ٤٩ ، عبد السلام هارون ، قواعد الإملاء : ١٩ ،
الشيخ حسين والي ، كتاب الإملاء : ٦٧ .

(٣٦٧) الأعراف : ٢٠ ، ٢٦ .

(٣٦٨) السِّيُوطِي ، معجم الهوامع : ٣١١/٦ .

(فُعْلَان، بضم الفاء وفتحها) اسما أو صفة، نحو: قُرَّان، وظَمَّان، وأَضْرَابُهما، وما يكون مثنى، نحو: (قُرَّان) مثنى قُرء.

(٤) أَنْ تُصِيرَ أَلْفُ التَّنْوِينِ الهمزة المتطرفة الساكن ما قبلها متوسطةً توسطاً عارضاً :

يتبع المحذّثون في هذه المسألة كُتِبَ المصحف والرسم الاصطلاحي من القدامى^(٣٦٩)، نحو: جُزءاً، دِفْعاً، شَيْئاً، ولم أوفق في الاهتداء إلى أيّ أثبت الألف فيما مر على الرغم من أن هنالك بعض الكُتِبَة يكتبون الهمزة المتطرفة الساكن ما قبلها على حسب حركتها، نحو: جُزْأً، عِبْأً، شَيْأً، وأضرباها.

(٥) أَنْ يَكُونَ قَبْلَ الهمزة واوٌ مشددة مضمومة :

يُفْهَمُ ممَّا في مظان الرسم الحديثة أَنَّ الهمزة المتوسطة توسطاً عارضاً تُحذفُ صورتها بعد الواو المشددة، ويكادُ بعضُ هذه المظان يحصرُ المسألة في الهمزة المفتوحة أو المضمومة، وبعضُ آخر في الرفع والنصب أو الفتح^(٣٧٠). ويُنسَبُ هذا المذهب إلى نصر الهوريني صاحب (المطالع النصريّة)^(٣٧١). ويظهر لي أَنَّ هذا الحذف لا محوج إليه لما يأتي :

(١) أَنَّ توالي الأمثال الذي يتوافر بتجاور واوين أو أكثر - لا يكون في العربية مكروهاً في الغالب إلّا في الوسط، نحو: طاوس، يَسْتُون، وغيرها، ممَّا فيه واوان متجاورتان، ويسوءون، ويبوءون، وغيرها مما فيه ثلاث واوات^(٣٧٢).

(٣٦٩) انظر الصفحة: ١٦ - ١٧ - ٣٨ - ٤٢ من هذا البحث.

(٣٧٠) انظر: إبراهيم عبد المطلب، الهداية: ٢٢، مصطفى طموم، سراج الكُتِبَة: ٩، الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٦٦، عبد السلام هارون، قواعد الإملاء: ١٩، الهاشمي، المفرد العلم: ١١، د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٤٨، مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ١٢، عبد العليم إبراهيم، الإملاء والترقيم: ٤٩.

(٣٧١) انظر مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ١٧.

(٣٧٢) انظر ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد: ٤/٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢) أَنَّ أَحَدًا مِمَّنْ صَنَّفُوا فِي الرِّسْمِ الْإِمْلَاقِي مِنَ الْقَدَامِيِّ أَوْ غَيْرِهِمْ لَمْ يَنْصُ عَلَى حَذْفِ الْوَائِ صُورَةَ الْهَمْزَةِ فِي لَفْظَةِ (تَبَوُّؤُ) وَأَضْرَابَهَا.

(٣) أَنَّ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَلْفَاظًا لَمْ يُصَرِّ إِلَى التَّخْلُصِ مِنْ تَوَالِي الْأَمْثَالِ فِيهَا فِي الطَّرَفِ، عَلَى الرِّغْمِ مِنْ وَسْمِهَا بِالشَّدُودِ، نَحْوُ: مُحَيِّي، وَأُمِّي، وَأَضْرَابَهُمَا.

(٤) أَنَّ التَّخْلُصَ مِنْ تَوَالِي الْأَمْثَالِ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَأَضْرَابِهَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُحْصُورًا فِيمَا تَصِيرُ فِيهِ مُتَوَسِّطَةً تَوْسُطًا عَارِضًا، نَحْوُ: تَبَوُّؤُكَ رَفْعًا وَنَصْبًا، أَمَّا (تَبَوُّؤُكَ) فِي الْجَرِّ فَلَا تَخْلُصُ فِيهِ. أَمَّا (تَبَوُّؤُكَ) فَيَعْدُ حَذْفُ صُورَةِ الْهَمْزَةِ فِيهَا وَاجِبًا؛ لِأَنَّ عَلَامَةَ التَّثْنِيَةِ لَا يَكُونُ مَا قَبْلَهَا إِلَّا مُفْتَوْحًا، وَالْقَوْلُ نَفْسَهُ فِي (تَبَوُّؤُكَ)، اسْمُ الْمَرْءِ.

(٥) أَنَّ تَوَالِي الْأَمْثَالِ مَبَاحٌ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ، عَلَى الرِّغْمِ مِنْ مِيلِ الْعَرَبِ إِلَى التَّخْلُصِ مِنْهَا، وَمِمَّا يَعْدُ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: غَلَامٌ بَيَّةٌ (سَمِينٌ)، وَتَبَيَّبَ (سَمِينٌ)، وَهَمْزٌ يَهْمُ هَهًا وَهَهَةً (لَشَغ) وَغَيْرُهَا (٣٧٣). وَمِمَّا يُمْكِنُ عَدُّهُ مِنْ بَابِ تَوَالِي الْأَمْثَالِ، إِذَا لَمْ يُتَخْلَصْ مِنْهَا عَلَى حَسَبِ أَصْلِ الْهَمْزَةِ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ، (أَوَّلُ)، وَ (أَوَّلُ)، إِذَا لَمْ يُعْتَدَ بِالْعَارِضِ، وَ (أَوَّلُ)، وَ (أَوَّلُ) إِذَا اعْتُدَ بِالْعَارِضِ، وَ (يَتَبَوُّؤُونَ)، إِذَا لَمْ تَخْلُصْ مِنْ تَوَالِي الْأَمْثَالِ.

(٦) أَنْ يَكُونَ قَبْلَ الْهَمْزَةِ الْمَفْتُوحَةِ أَلِفٌ :

يُجْمَعُ كِتَابَةُ الْمُصْحَفِ وَعُلَمَاءُ الرِّسْمِ الْقَدَامِيِّ وَالْمُحَدِّثُونَ عَلَى حَذْفِ أَلِفِ صُورَةِ الْهَمْزَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، لِلتَّخْلُصِ مِنْ تَوَالِي الْأَمْثَالِ، نَحْوُ: سَاءَلُ، تَسَاءَلُ، جِزَاءَيْنِ، تَرَاءَى، عِبَاءَةٌ، قِرَاءَةٌ، غِذَاءُكَ، أَصْدِقَاءُكَ،

(٣٧٣) انظر الحسين بن أحمد بن خالويه (ت : ٣٧٠هـ)، ليس في كلام العرب، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م : ٣٦ - ٣٨.

مُسَاءَلَة ، وغيرها مما فيه قبل الهمزة المفتوحة ألف^(٣٧٤) .

(٧) أن تكون الهمزة مضمومة ساكناً ما قبلها :

لَا يَقْفُو مَنْ صَنَّفَ فِي الرَّسْمِ الْإِمْلَائِيَّ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ كَثِيراً مِنَ الْقَدَامَى
كَابَنِ دَرَسْتَوِيهِ ، وَابْنِ جَنِّي ، وَغَيْرَهُمَا ، كَمَا مَرَّ^(٣٧٥) ، فِي حَذْفِ الْوَائِ صَوْرَةَ
الْهِمَزَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، إِذْ يُجْمَعُونَ عَلَى كِتَابِ هَذِهِ الصُّورَةِ^(٣٧٦) ، نَحْوُ :
يَلْزُمُ ، أَفْزُسُ ، أَكْزُسُ ، أَثُوبُ ، وَغَيْرَهَا مِمَّا فِيهِ الْهِمَزَةُ مَضْمُومَةٌ قَبْلَهَا سَاكِنٌ ،
وَلَيْسَ قَبْلَهَا وَائٍ^(٣٧٦) . وَلَعَلَّ هَذَا النَّهْجَ يَعُودُ إِلَى الْإِعْتِدَادِ بِحَرَكَةِ الْهِمَزَةِ ،
وَهُوَ الْأَوَّلَى وَالْأَظْهَرُ ، لِأَنَّ فِيهِ هَجْراً لِكَثِيرِ الْأَوْجِهَةِ الْإِمْلَائِيَّةِ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ
أَنْ حَذَفَ صَوْرَةَ الْهِمَزَةِ أَخْفُ فِي الْكُتُبِ .

(٨) أن تكون الهمزة مكسورة ساكناً ما قبلها :

الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَالْقَوْلِ فِي سَابِقَتِهَا مِنْ حَيْثُ إِجْمَاعُ الْمُحَدِّثِينَ
عَلَى كُتْبِ الْيَاءِ صَوْرَةَ الْهِمَزَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَعْدَهَا يَاءٌ أُخْرَى ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ
كَثِيراً مِنَ الْقَدَامَى قَدْ حَذَفُوهَا ، كَمَا مَرَّ^(٣٧٧) .

(٣٧٤) انظر: الشيخ حسين والي ، كتاب الإملاء : ٦٧ ، عبد العليم إبراهيم ، الإملاء والترقيم :

٤٩ ، د . عبد اللطيف الخطيب ، أصول الإملاء : ٦١ ، أحمد قبش ، الإملاء العربي :

٤٦ ، مصطفى طموم ، سراج الكتبة : ١٤ ، مصطفى عناني ، نتيجة الإملاء : ١٤ ، إبراهيم

عبد المطلب ، الهداية : ٢٢ .

(٣٧٥) إبراهيم عبد المطلب ، الهداية : ٢٢ .

(٣٧٥) انظر الصفحة : ٥٠ - ٥٧ ، من هذا البحث .

(٣٧٦) انظر: إبراهيم عبد المطلب ، الهداية : ٢٠ ، الهاشمي ، المفرد العلم : ١٢ ، عبد العليم

إبراهيم : ٥١ ، د . عبد اللطيف الخطيب ، أصول الإملاء : ٥٥ ، أحمد قبش ، الإملاء

العربي : ٤٦ ، الشيخ حسين والي ، كتاب الإملاء : ٥٩ ، مصطفى عناني ، نتيجة الإملاء :

١٠ ، عبد السلام هارون ، قواعد الإملاء : ٣٤ .

(٣٧٧) انظر الصفحة : ٥٧ - ٦٣ ، من هذا البحث

(٢) الهمزة المتحركة المتحرك ما قبلها

يدور مَنْ صَنَّفَ في الرسم الإملائي من المحدثين في فلك القدامى وكتبة المصحف، ولعلَّ أهمَّ ما يمكن عَدُّه من باب ما لا يُسَايِرُ رسمَ القدامى في هذه المسألة - ما يأتي :

(١) أن تكون الهمزة مفتوحة مفتوحاً ما قبلها وبعدها ألف :

لقد مرَّ أن الألف صورة الهمزة تُحذف في الرسم القرآني إذا تصدَّرت الكلمة وبعدها ألف، نحو: ءامن، ءايات، وأضرابهما^(٣٧٨). والقول نفسه في الهمزة المتوسطة المفتوحة المفتوح ما قبلها والتي بعدها ألف، إذ تُحذف الألف صورتها، نحو (الْمُنْشِئَاتِ)^(٣٧٩) والقول نفسه فيما يُعَدُّ من باب: رآه، ورآها، وأضرابهما، إذ تُحذف الألف صورة الهمزة: رَءاه، ورَءاها^(٣٨٠). ويظهر لي أن ابن قتيبة يقفُورسم المصحف في هذه المسألة، إن حُمِلَ كلامه على ظاهره: «فإن أضفت إلى المضمر فهو أيضاً بألف واحدة، نحو: نأه، وؤأه، وشأه؛ لأنك تجعل بنات الواو مع المضمر ألفاً، فاستقلوا جمع الفين، وكذلك (رَءاه)»^(٣٨١). فابن قتيبة في هذا النص لم يذكر حذف الألف الثانية وتعويض المدة منها، على الرغم من أن الأستاذ محمد الدالي محقق كتاب (أدب الكاتب) قد كتبها على حسب الحذف والتعويض. ولقد مرَّ أن السيوطي قد ذكر الوجهين فيما يُعَدُّ من باب: مآل، ومآب، وأضرابهما^(٣٨٢).

(٣٧٨) انظر الصفحة: ١٨ - من هذا البحث.

(٣٧٩) الرحمن: ٢٤.

(٣٨٠) انظر الصفحة: ١٨ - من هذا البحث.

(٣٨١) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٩.

(٣٨٢) انظر الصفحة: ٤٧ - ٤٩، من هذا البحث.

أما المحدثون فيكتفي جمهورهم بذكر الحذف والتعويض^(٣٨٢).
ويذكر مصطفى عناني أن الأولى والأحسن حذف ألف صورة الهمزة:
«(٤): إذا كانت الهمزة مصوّرة بألف، وجاء بعدها مد مصوّر بصورتها -
فالأحسن أن تُحذف صورتها، وقد يُحذف حرف المد، ويعوّض عنه مدة،
وقد اشتهر هذا في بعض الكلمات، كالقرآن، والآخرة، والمكافآت،
واللآلىء، والمرأة، ولا بأس به في مثل القرآن»^(٣٨٤). ويكتفي الأستاذ
إبراهيم عبد المطلب بذكر حذف صورة الهمزة^(٣٨٥)، ويعد الشيخ حسين
والي كتب برآء بالفين فوق أولاهما مدة - من باب الكتابة الواهية، فهو لا يجيز
حذف صورة الهمزة حملاً على مذهبه في (ملجّان) وأضرابها (برّاءة)^(٣٨٦).

أما الهمزة المفتوحة المفتوح ما قبلها والتي بعدها ألف التثنية - فيظهر
لي أن الأولى والأحسن حذف ألف صورتها عند بعض القدامى، للتخلص
من توالي ألفين، جاء في (كتاب الكتاب) لابن درستويه: «وهما
(يقرءان)^(٣٨٧)، ويُقرءان في التثنية، ذَكَرَ الفاعِلُ أولم يُذَكِّرْ، بألف واحدة،
لاجتماع الأشباه...»^(٣٨٨)، وفي (معجم الهوامع) للسيوطي: «فأما الألفان
فإن العرب لم تَجْمَعْ بينهما ولذلك كتبوا: أخطأ وقرأ، بألف واحدة، ولو
كتبت بالفين كان هاهنا أوثق، ليفرق بين الواحد والتثنية، إلا أنهم اكتفوا

(٣٨٢) انظر: د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٥٣، الغلابي، جامع الدروس
العربية: ١٥٣/٢، عبد العليم إبراهيم، الإملاء والترقيم: ٤٧، الهاشمي، المفرد
العلم: ١٨، عبد السلام هارون، قواعد الإملاء: ٥٦، الشيخ حسين والي، كتاب
الإملاء: ٥٦.

(٣٨٤) مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ١٢ - ١٣.

(٣٨٥) إبراهيم: ٢١.

(٣٨٦) انظر الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٥٦، ٥٨.

(٣٨٧) كتب محققاً كتاب ابن درستويه هذه اللفظة بألف واحدة فوقها الهمزة (يقرآن)، ويظهر لي
أن الصواب ما أثبتناه.

(٣٨٨) ابن درستويه، كتاب الكتاب: ٣٢.

بالدليل الذي قبله من الكلام، أو بعده عليه. اهـ»^(٣٨٩). ويستحسن الصولي الجمع بينهما: «ومما يستحسن فيه الجمع بين ألفين قولك: قد قرأ، وجاء، وذلك ليكون فرقاً بين الواحد والمثنى...»^(٣٩٠). ويكاد ابن الحاجب والرضي يوجبان كُتِبَ الألفين، لتحقيق أمن اللبس بين الواحد والمثنى في: قرأ، وقرأ، ونون النسوة والمثنى في: يقرأ، ويقرأ، ويقرأ^(٣٩١). ويظهر أن في مذهب ابن درستويه وغيره تحقيقاً لأمن اللبس؛ لأنَّ الهمزة لم تحذف، ولا يصحُّ كتبها على الألف الثانية (ألف التثنية)، بل كُتِبَها على المتسع أو المطّة، إن كان قبلها حرف اتصال، أو مُنْفَرِدة إن لم يكن كذلك، وقرأ، يُرْجِشان، وأضرابها، ويتراءى لي أنه الأولى والأظهر؛ لأنَّ فيه تخلّصاً من توالي الأمثال وتحقيقاً لأمن اللبس، زيادةً على ما يتوافر فيه من تخفيف على الكاتب، ولا سيّما فيما يكثرُ كُتِبَ، على الرغم من أن وضع علامة المدّ بعد حذف الألف يُحقِّق أمن اللبس في هذه المسألة على ما فيه من تعثُّر بعض الطلبة والقراء في القراءة.

ويتراءى لي أن كثيراً ممَّنْ صَنَّفُوا في الرسم الإملائي من المحدثين قد اكتَفَوْا في تصانيفهم بتدوين المذهب الذي يدور في فلك إباحة توالي ألفين في هذه المسألة، ألف الهمزة، وألف الاثنين (ضمير التثنية)، في مثل: قرأ، ولم يقرأ، ولن يقرأ؛ لتحقيق أمن اللبس بين المُسند إلى المفرد والمُسند إلى ضمير التثنية؛ ويقرأ، لتحقيق أمن اللبس بين المُسند إلى ضمير التثنية والمُسند إلى نون النسوة (يقرأ^(٣٩٢)). ولعلَّ هذا الاكتفاء يعود

(٣٨٩) السيوطي، معجم الهوامع: ٣١٥/٦.

(٣٩٠) الصولي، أدب الكتاب: ٢٤٩.

(٣٩١) انظر الرضي، شرح الشافية: ٣٢٤/٣.

(٣٩٢) انظر: مصطفى طوموم: سراج الكتبة: ١٨، الهاشمي، المفرد العلم: ١٨، إبراهيم عبد المطلب، الهداية: ٢٢، عبد العليم إبراهيم، الإملاء والترقيم: ٤٧، الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٥٨، عبد السلام هارون، قواعد الإملاء: ١٣.

إلى عدم اطلاعهم على مذهب علماء الرسم القدامى الآخر، في الغالب وهو حذف الألف صورة الهمزة، للتخلص من توالي الأمثال، كما مر، نحو: قَرَأَ، اقْرَأَ، يَقرَأُ، لم يَقرَأَ، لن يَقرَأَ. ولست أنكر أن بعضهم قد طالعنا في مؤلفه بهذا المذهب، كمصطفى عناني^(٣٩٣)، والغلاييني^(٣٩٤)، ومن تبعه كالدكتور عبد اللطيف الخطيب في عدّ حذف الألف الثانية وتعويض المدّة منها القياس في الرسم^(٣٩٥). وهذا الحذف والتعويض لم أوفق في الاهتداء إليه في مظان الرسم القديمة المختلفة، أو الرسم القرآني، والغالب أنه من ابتكار بعض المحدثين. ويتبين لنا ممّا مرّ أنه لا لبس في كتب القدامى؛ لبقاء الهمزة (القطعة) بعد حذف صورتها، ويتحقّق أمن هذا اللبس تماماً في كتابتنا الحديثة، لتوافر وسائل الطبع المختلفة التي لا تهمل الهمزة بعد حذف صورتها. وعليه فلا بأس باتخاذ عمدة في كتابتنا، إن أردنا توحيد الرسم الإملائي؛ لأنّ فيه تحقيقاً لأمن اللبس المشار إليه، وتخلصاً من توالي ألفين، على الرغم من أنّ الشائع في عصرنا مذهب إباحة توالي الألفين، أمّا مذهب الحذف والتعويض فلا يستقيم إلّا بكتب المدّة التي يتناساها كثير من الكتاب في عصرنا، على الرغم ممّا فيه من حمل النظر (قرأ، ويقرأ، ولم يقرأ، ولن يقرأ) على نظيره (ملجأ، وخطآن).

ويطالعنا الأستاذ عبد السلام هارون بأنّ القدامى كانوا يحذفون الألف الثانية (ضمير الاثنين): «وكان القدماء يحذفون الألف الثانية، ثمّ عدّل عن ذلك خوف الألباس»^(٣٩٦). ولست أدري ما مراد الأستاذ الفاضل، أهو الحذف والتعويض، أو الحذف بلا تعويض، وهما مذهبان لم أوفق في الاهتداء إليهما في مظان الرسم القديمة.

(٣٩٣) انظر مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ١١.
(٣٩٤) انظر الغلاييني، جامع الدروس العربية: ١٥٢/٢.
(٣٩٥) انظر د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٥٣.
(٣٩٦) عبد السلام هارون، قواعد الإملاء: ١٤ (الحاشية).

(٢) أن تكون الهمزة مضمومة مضموماً ما قبلها :

بدورُ المحدثون ممن صنّفوا في الرسم الإملائي في فلك علماء الرسم القدامى في كثيرٍ من مسائل الرسم في هذه المسألة، ولعلّ أهم ما يُمكن عَدُّه من باب الخلاف بينهم - رسم الهمزة فيما فيه حرفان متماثلان متجاوران، أحدهما صورة الهمزة، وهي مسألة تكمن فيما يأتي :

(١) حذف الواو صورة الهمزة: يكادُ كَتَبَ المصحف وعلماء الرسم القدامى - يُجمعون - كما مرّ - على حذف الواو صورة الهمزة في كلّ ما فيه همزة مضمومة بعدها حرفٌ مدٌّ، في الأسماء والأفعال^(٣٩٧)، نحو: كُتُس، أَفُوس، رُؤُوف، جَاءُوا، يَلْجُؤُن، يَمْلُؤُن، وأضرابها. وقد استثنوا من ذلك الفاظاً لتحقيق أمن اللبس^(٣٩٨)، وأخرى عُدَّت ممّا اختلف في كُتِبَ^(٣٩٩). أمّا المحدثون فمنهم من لا يَعدُّ الحذف واجباً، ومن هؤلاء الغلاييني^(٤٠٠)، الذي تبعه في هذه المسألة - كما يتراءى لي - الأستاذ عبد السلام هارون^(٤٠١)، والدكتور عبد اللطيف الخطيب^(٤٠٢). ومنهم من يتَّبِع علماء الرسم القدامى في وجوب حذف الألف من غير أن يستثني بعض الألفاظ التي استثنّاها بعضهم كمصطفى عناني^(٤٠٣)، وعبد العليم إبراهيم^(٤٠٤). وممن استثنى بعض الألفاظ من الحذف حملاً على مذهب بعض القدامى إبراهيم عبد المطلب، إذ طالعنا بأن الواو تُكْتَب لتحقيق أمن اللبس بين ما فيه

(٣٩٧) انظر الصفحات: ٢٢ - ٥٠، ٢٧ - من هذا البحث.

(٣٩٨) انظر الصفحة: ٥٠ - ٥٧،

(٣٩٩) انظر الصفحة: ٥٠ - ٥٧، من هذا البحث.

(٤٠٠) انظر الغلاييني، جامع الدروس العربية: ١٥٦/٢.

(٤٠١) انظر عبد السلام هارون، قواعد الإملاء: ١٦.

(٤٠٢) انظر د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٥٨.

(٤٠٣) انظر مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ١٠.

(٤٠٤) انظر عبد العليم إبراهيم، الإملاء والترقيم: ٥٠ - ٥١. وانظر الشيخ حسين والي، كتاب

الإملاء: ٦٠ - ٦١، أحمد قبش، الإملاء العربي: ٥١.

واوان ثانيتهما حرف مدٍّ وما فيه واو، فيما يأتي : سُؤْل، سُؤْن، صُؤْل، قُؤْد، قُؤْل، لُؤْم، نُؤْم، يُوُوب، يُوُوس، يُوُول، مَوُؤنة، بَوُؤنة، على الرغم من أنه ذكر أن هذا اللبس لا يتأتى مع وجود النبرة التي استُحدثت، والأحسنُ عنده الحذف، لتطرّد القاعدة، ويُتخلّص من توالي المثلين^(٤٠٥). والشيخ حسين والي الذي أوجب كُتْبَ سُؤْن بواوين لتحقيق أمن اللبس بينها وبين سُؤْن (جمع شأن)^(٤٠٦).

(٢) أن بعض المحدثين قد زاد وجهاً ثالثاً، وهو كُتْبُ الهمزة على الواو الثانية، نحو: رُؤْف، سُؤْن، جاؤا، باؤا، وقروا، ويقرؤن، وأضرابها، ومن هؤلاء مصطفى الغلاييني^(٤٠٧)، على الرغم من أن القياس عنده كُتْبُ ما مرَّ وأضرابه بواوين. ويتبعه في ذلك الأستاذ عبد السلام هارون^(٤٠٨) والدكتور عبد اللطيف الخطيب^(٤٠٩) وغيرهما. ويظهر لي أن هذا الكُتْبَ يدور في فلك عدم تبين مذهب القدامى في هذه المسألة، أو الاطلاع عليه، زيادةً على ما يتوافر بالالتجاء إليه من اللبس بما فيه واو واحدة، هي واو الهمزة، ويعرّز ما أذهب إليه ما يطالِعنا به الشيخ حسين والي : «وكثيراً ما يتساهلون، فيضعونها فوق الواو الثانية بعد حذف الأولى، هكذا (رُؤْس) ملاحظاً أنها في الواقع لا على شيء، أو أن الثانية محذوفة للثقل، وهذا ليس بجيد أو خطأ»^(٤١٠). ويبدو هذا الغلط بيئاً في الأفعال، نحو: جاؤا، وباؤا، ويقرؤن، ويملؤن، إذ يتعرّض الطلبة وغيرهم في القراءة، لأن المكتوب على خلاف المنطوق، وعليه فلا يصح أن يُصار إلى هذا الكُتْبَ الذي يُعدُّ غلطاً، ولا قياس له.

(٤٠٥) انظر إبراهيم عبد المطلب، الهداية : ٢٠.

(٤٠٦) انظر الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء : ٦٠.

(٤٠٧) انظر الغلاييني، جامع الدروس العربية : ١٥٦/٢.

(٤٠٨) انظر عبد السلام هارون، قواعد الإملاء : ١٦.

(٤٠٩) انظر د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء : ٥٨.

(٤١٠) الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء : ٦٠ - ٦١.

(٤) أن بعض المحدثين قد زاد وجهاً رابعاً في الأفعال في هذه المسألة، وهو عدم الاعتداد بالعارض، إذ تبقى الهمزة المتطرفة في الكتب على ما هي عليه نحو: قرأوا، يقرأون، يملأون، وأضربها. ويمكن عدُّ ما هو من باب: جاءوا وباءوا، وأضربهما من باب عدم الاعتداد بالعارض، فلا حذف فيها. وممن ذكر هذا الوجه الغلاييني^(٤١١)، وقد تبعه في ذلك الدكتور عبد اللطيف الخطيب^(٣١٢)، وأحمد قبش^(٤١٣).

(٥) أن بعض المحدثين قد أوجب كتب: جرؤوا، ويجرؤون، ووضؤوا، ويوضؤون، وأضربهما ممّا فيه الهمزة متوسطةً توسّطاً عارضاً ومكتوبةً في الأصل على واو. ومن هؤلاء الشيخ حسين والي^(٤١٤) والغلاييني^(٤١٥). ويعود هذا الإثبات إلى تحقيق أمن اللبس بين المسند إلى ضمير المثنى والمسند إلى ضمير الجماعة: وضؤا، للمثنى والجمع، ولم يؤضؤا، ولن يؤضؤا، للمثنى والجمع. ويظهر لي أن أمن اللبس في هذه المسألة متحقق؛ لأن موضع الهمزة بعد حذف صورتها ليس فوق الألف، بل على المتسع أو المطّة التي بين الواو وما قبلها: إذا كان الفعل مسنداً إلى واو الجماعة: وضؤا، ولم يؤضؤوا، أمّا الفعل المسند إلى ألف الاثنين فموضعها فيه على الواو: وضؤا، لم يؤضؤا، ولن يؤضؤا وعليه فلا ضرورة إلى الاستثناء، الذي تكثر به القواعد التي يجب أن تؤسّم بالاطراد، لتكون مقربةً إلى الكتابة^(٤١٦).

(٦) أن تكون الهمزة المضمومة متوسطةً توسّطاً عارضاً قبلها واو: ذكر

(٤١١) انظر الغلاييني، جامع الدروس العربية: ١٥٦/٢.

(٤١٢) انظر د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٥٨.

(٤١٣) انظر أحمد قبش، الإملاء العربي: ٥١.

(٤١٤) انظر الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٦٠.

(٤١٥) انظر الغلاييني، جامع الدروس العربية: ١٥٦/٢.

(٤١٦) انظر التفصيل في هذه المسألة، الصفحة: ٥٢ - ٥٧، من هذا البحث.

الغلاييني أن الهمزة تُكْتَبُ الواو صورتها إذا سُبِقَتْ بواو أخرى ساكنة، نحو: ضَوْؤُهُ، وضَوْؤُهُ، ومَقْرُوؤُهُ، وإن سَبَقَتْ الهمزة الواو الأخرى فللكتبة فيها مذهبان، الحذف والإثبات، نحو: رَوْؤُف، رَؤُوف ومَسْؤُول، مَسْئُول^(٤١٧). ويظهر لي أن إثبات الواو صورة الهمزة المسبوقه بواو أخرى في هذه المسألة على خلاف مذهب جمهور علماء الرسم القدامى^(٤١٨)، كابن درستويه وغيره، ولست أرى فرقاً بين كَوْنِها قبل الواو وبعدها إلا في كونها متوسطة توسطاً أصيلاً أو عارضاً، إذ كَتَبُها على الواو - إن كانت متأخرة - يُعَدُّ من باب الاعتداد بالعارض، أما كَتَبُها بلا صورة فمن باب عدم الاعتداد به، وعليه فلأنني أدعو إلى كَتَبِها بلا صورة أيّاً كانت حركتها الإعرابية، لتطرد القاعدة وتلاشى الأوجه الإملائية الجائزة حملاً على أن الاعتداد بالأصل أولى وأظهر في العربية غالباً. ويختار هذا الوجه مصطفى عناني، إذ يدعو إلى كَتَبِها مفردة مفتوحة كانت أو مضمومة^(٤١٩).

ويميل بعض المحدثين ممن صنفوا في الرسم الإملائي إلى ترجيح وجه على آخر في هذه المسألة من حيث حذف الواو صورة الهمزة، أو إثباتها، فالأستاذ عبد العليم إبراهيم^(٤٢٠) يدعو إلى إثبات هذه الواو في مثل: رَوْؤُف، وأضرابها؛ لأنه يدور في فلك القاعدة الإملائية، ويخضع لسلطانها ولا يعوق القراءة. ويتبعه في ذلك الدكتور أحمد الخراط^(٤٢١).

أما ما فيه ثلاث واوات فيتبع المحدثون فيه علماء الرسم القدامى، إذ

(٤١٧) انظر الغلاييني، جامع الدروس العربية: ١٥٥/٢، وانظر د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٥٧.

(٤١٨) انظر الصفحة: ٥١ - ٥٧، من هذا البحث.

(٤١٩) انظر مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ١٠.

(٤٢٠) انظر عبد العليم إبراهيم، الإملاء والترقيم: ١٢١.

(٤٢١) انظر د. أحمد الخراط، الهمزة في الإملاء العربي، المشكلة والحل، دمشق - دار القلم بيروت - دار العلوم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م: ٣٣ - ٣٨.

يُجْمَعُونَ على حذف صورة الهمزة^(٤٢٢) إلا ما طالعنا به الشيخ حسين والي، إذ يذكر أن المحذوف في (يُؤُونَ) الواو المتوسطة^(٤٢٣). ويظهر لي أن الأولى حذف واو الهمزة (يُؤُونَ)؛ لأن فيه مطابقة المكتوب للمنطوق، وخضوعاً لما عليه علماء الرسم القدامى والمحدثون.

(٣) أن تكون الهمزة مكسورة مضموماً ما قبلها أو مكسوراً :

لقد مر أن علماء الرسم القدامى كابن قتيبة وابن درستويه وغيرهما قد أجمعوا على حذف صورة الهمزة المكسورة التي بعدها ياء جمع المذكر السالم، أو ياء المخاطبة، نحو: قارئين: ومُخْطِئين، وتَقْرَئين، وتُخْطِئين. وأجمعوا أيضاً على إثباتها في مثل: قارئين، ومُخْطِئين؛ لتحقيق أمن اللبس بين المثني والجمع في هذه المسألة^(٤٢٤). ويبدو أن جمهور الدارسين المحدثين لم يتبعوا القدامى في هذا الحذف، إذ يوجبون إثباتها^(٤٢٥) إلا ما طالعنا به الشيخ حسين والي، إذ ذكر أن القياس في مثل (يُثْبِتُ)^(٤٢٦) حذف الياء صورة الهمزة؛ لكونها متبوعة بحرف مد، وتوالي الأمثال، وتحقيق أمن اللبس بينه وبين (يُثْبِتُ) مضارع (وَأَد). والقول نفسه في: لم تَقْرَئي، إذ لو حُذِفَتْ صورة الهمزة لالتبس بـ (تَقْرِي) مضارع (قَرَى ضَيْقُهُ). وعليه فإنه ممن يميلون إلى مذهب القدامى في هذه المسألة^(٤٢٧)، على الرغم من أنه يدعو إلى إثبات الياءين في مثل: خاطئين، وأضرابها، إذا تحقق أمن اللبس. وذكر الهاشمي أن كل همزة مكسورة بعدها حرف مد من جنسها غير

(٤٢٢) انظر: د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٦٢، الغلاييني، جامع الدروس العربية: ١٥٦/٢ - ١٥٧، وانظر الصفحة: ٥٢ - ٥٦ من هذا البحث.

(٤٢٣) انظر الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٦١.

(٤٢٤) انظر الصفحة: ٥٨ - ٦١ من هذا البحث.

(٤٢٥) انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية: ١٥٨/٢، عبد السلام هارون: ١٧، د. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٥٩، مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ١٠.

(٤٢٦) يثب: يقوى.

(٤٢٧) انظر الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٦٢.

ياء مخاطبة أو تكلم أو نسب - قد تُحذف صورُتها، نحو: رء يس، وإسراء يل، وأضرابهما^(٤٢٨). وهي مسألة لا تصح عند الدكتور أحمد الخراط: «فإن المرحوم أحمد الهاشمي يُجيز كتابتها على السطر: رءيس، كما أن ابن قتيبة يجيز كتابتها بياء واحدة: رئس. أما جمهور العلماء فيوجبون كتابة ذلك على نبرة... والحق مع الجمهور، فلا داعي لإضافة حالات شواذ جديدة...»^(٤٢٩). يبدو لي أن الدكتور الفاضل لم يطلع على مذهب كثير من علماء الرسم القدامى؛ لأن الحذف يُعدُّ مذهب كثير منهم^(٤٣٠) في (رئس) وغيره. ويبدو لي أيضاً أنه لم يتبين قول ابن قتيبة تماماً: «وكذلك اختلفوا في مثل: لئيم، ورئس، ورئير، فكتبه بعضهم بياء واحدة إتباعاً لرسم المصحف، وكتبه بعضهم بياءين»^(٤٣١). فابن قتيبة لم يكتب رئيساً هكذا (رئس) كما كتبها الدكتور الفاضل، إذ المحذوف الذي بُه عليه هوياء الهمزة لا ياء (فعيل)، ولعل ما يعزُّز ما أذهب إليه رسم ما يمكن أن يُعدَّ نظيراً لهذه اللغة في المصحف^(٤٣٢).

ويبدو الخلاف بين القدامى والمحدثين في هذه المسألة في إثبات المحدثين الياء صورة الهمزة في: يَسْتَهْزِئُونَ، وَمُسْتَهْزِئُونَ، وَنَاشِئُونَ، وَمُنْشِئُونَ وأضرابها، وهي مسألة قد أجاز كثير من علماء الرسم القدامى حذف الياء فيها^(٤٣٣). والأظهر والأولى إثبات الياء؛ لأن في إثباتها مسaire

(٤٢٨) انظر الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٦٢.

(٤٢٩) ٥. أحمد الخراط، الهمزة في الإملاء العربي: ٤٥، وانظر الهاشمي، المفرد العلم:

(٤٣٠) انظر الصفحة: ٥٨ - ٦١، من هذا البحث. وانظر السيوطي، همع الهوامع: ٣١٢/٦.

(٤٣١) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٦٥.

(٤٣٢) انظر الصفحة: ٢٦ - ٢٩، من هذا البحث.

(٤٣٣) انظر الصفحة: ٥٨ - ٦١، من هذا البحث.

وانظر: الغلاييني، جامع الدروس العربية: ١٥٨/٢، عبد السلام هارون، قواعد

الإملاء: ١٧، مصطفى عتاني، نتيجة الإملاء: ١٠، الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء:

٦٢، إبراهيم عبد المطلب، الهداية: ١٩، عبد العليم إبراهيم، الإملاء والترقيم: ٥٠.

للقاعدة، وتحقيقاً لأمن اللبس بين الألفاظ التي فيها ما قبل الهمزة مكسور وتلك التي فيها ما قبل الهمزة مفتوح، نحو: يَسْتَهْزِءُونَ، وَيُسْتَهْزِءُونَ، وأضرابهما، فلا بد من تحقيق أمن اللبس في هذه المسألة.

ولعل أهم ما يُمكنُ عدُّه من باب الابتكار أو التطوير تلك النبرة أو السن الصغيرة؛ أو الياء المهملة التي توصل إليها المحدثون، لتكونُ تَكَاةً للهمزة التي حُذِفَتْ صورتُها، على الرغم من أنها لم تَطْلُعْنا في كتابات القدامى أو رسم المصحف، أو تصانيف علماء الرسم الأوائل، وهي مسألة توحى بأن الكتابة في تلك الفترة لم تكن بحاجة إليها، لتحقيق أمن اللبس، أو تجويد الخط وتطويره، أو تزيينه. ولست أرى محججاً إليها؛ لتحقيق اللبس بها، إذ تومىء إلى أنها صورة الهمزة، وأن هذه الصورة لم تُحْدَفْ، وتلبس بالياء المهملة صورة الهمزة المكسورة؛ أو المضمومة أو الساكنة المكسور ما قبلها؛ لأنها في الحقيقة تَكَاةُ الهمزة بعد حذف الألف أو الياء، أو الواو، صورتها. ولعل في الاستغناء عنها وتناسيها تصيير القاعدة الإملائية مطردة أياً كان الحرف قبلها من حيث الاتصال أو الانفصال، وعليه فإنني أدعوا بلا تردُّدٍ إلي تناسي هذه التكاة التي يُعدُّ مصيرُ المحدثين إليها من باب التقليد أو اتباع من توصل إليها منهم، على الرغم من كونه مجهولاً، إذ تبدو الهمزة التي لا صورة لها بيّنة فوق المطّة أو المتسع الذي يصل ما قبلها بما بعدها، وبذلك تدور في فلك رسم القدامى في المصحف وغيره^(٤٣٤).

وبعدُ فيتبيّن لنا ممّا بسطناه من مسائل هنا وهناك، تدور في فلك

(٤٣٤) انظر الصفحة ١٥ من هذا البحث.

وانظر: مصطفى طسوم، سراج الكنية: ١٠، ١٤، مصطفى عناني، نتيجة الإملاء: ٩، أحمد قيش، الإملاء العربي: ٤٦، الشيخ حسين والي، كتاب الإملاء: ٥٨، ٥. عبد اللطيف الخطيب، أصول الإملاء: ٥٨، عبد السلام هارون، قواعد الإملاء: ٢١، مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية: ١٥٣/٢ - ١٥٥، عبد العليم إبراهيم، الإملاء والترقيم: ٤١.

الهمزة التي ليس لها نُكَاةٌ في الكتابة العربية - أن هذا البحث قد أزال ما علق بهذه المسألة من غبار الإهمال أو التناسي، أو عدم تبين بعض المحدثين مِن صَنَفُوا في الرسم الإملائي مذهب علماء الرسم القدامى، أو الرسم القرآني تماماً، مما جعل بعضهم يُجَيِّزُ بعض الأوجه التي تُعَدُّ من باب الغلط، أو الأوجه المبتكرة التي قد يتوافر بتوافرها اللبس، وغير ذلك. ولعل أهم ما انتهت إليه في هذا البحث ما يأتي :

(١) أن الهمزة لم يكن لها رمزٌ أو علامةٌ في الكتابة العربية قبل الرسم القرآني، إذ يُعَبَّرُ عنها بالألف التي ما زالت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بها في أذهان كثير من الناس في عصرنا. ولقد توَصَّلَ كتبة المصحف الكريم إلى ما يُمَكِّنُ أن يُعَدَّ من باب الرمز، إذ كانوا يُعَبِّرُونَ عنها بالنقطة الصفراء، أو الحمراء، أو الخضراء، كما مرَّ. ولعلَّ الخليل بن أحمد يأخذ قصبَ السبق في أن يعبر عنها بالقطعة، رأس العين.

(٢) أن الرسم القرآني يُعَدُّ، في رأيي، مرحلةً مُتَطَوِّرةً من مراحل الكتابة العربية، إذ اتَّخَذَهُ علماء الرسم القدامى وَمَن صَنَفُوا فيه وغيرهم من الكتبة - عمدتَهُمْ في كثيرٍ من مسائل هذا البحث، على الرغم من أنه لا يُعَدُّ عند كثيرٍ من الدارسين القدامى والمحدثين قياساً، لما يتوافر فيه من مغايرة رسم بعض الألفاظ للرسم الاصطلاحي قديماً وحديثاً. ولعلَّ هذا الرسم القرآني يدلُّ بوضوحٍ وجلالٍ تامين على أن كتبة المصحف لم يكونوا جَهْلَةً، أو لم يعرفوا أصول الكتابة أو قواعدها، وعلى أن عدم مسaire رسم بعض الألفاظ فيه لرسمها الاصطلاحي يعود إلى تلك الأصول التي تُوصَّلُ إليها بعدُ. ويظهر لي أنَّهم قد كتبوا المصحف على حَسَبِ تلك الأصول والقواعد التي كانت في عهدهم، ولستُ أميل إلى أن يكون المصحف غير قياسي في رسمه في كثير من مسائل الرسم المختلفة، على الرغم مما يطالعا فيه من مغايرة الرسم الاصطلاحي قديماً وحديثاً في كُتُب بعض الألفاظ التي يُمَكِّنُ

حملها على أصول الكتابة وقواعدها في تلك الفترة . ولعلَّ أهمَّ ما يُمكنُ عدُّه من باب هذه المغايرة التي تدورُ في فلك الهمزة التي ليس لها تُكَّاة - ما يأتي :

(أ) أنَّ في الرسم القرآني ألفاظاً كُتِبَتِ الهمزة المتطرفة فيها على حَسَبِ حركتها، نحو: عُلِّمُوا، وَأَنَّى، وغيرهما، وقد اتَّخذها بعض الكتبة القدامى قياساً لهم: علِّمُوا، وَأَنَّى، كما مرَّ.

(ب) أنَّ الهمزة في مثل: رَأَى، وَأَنَّى، وأضربهما، واستأخروا ويستأخروا وأضربهما - قد حُذِفَتْ صورتُها، وهو حَذْفٌ لا يتوافرُ في الكتابة الاصطلاحية .

(ج) أنَّ الهمزة في مثل: آيات وأضربها قد حُذِفَتْ صورتها في الرسم القرآني: آيات، وهو رسمٌ على خلاف الكتابة الاصطلاحية قديماً وحديثاً .

(د) أنَّ حذف صورة الهمزة، في كثير من الألفاظ في الرسم القرآني يُعدُّ في الغالب من باب الوجوب، أما في الكتابة الاصطلاحية فمن باب الجواز الذي يعود إلى الرغبة في تكثير الأوجه الإملائية، أو عدم الاعتداد بالعارض، أو الاعتداد به، أو تحقيق أمن اللبس . أو أصول التحقيق والتسهيل، كما مرَّ.

(٣) أنَّ من صنَّفوا من المحدثين في الرسم الإملائي وغيرهم من الكتبة - يدورون في فلك علماء الرسم القدامى فيما يطالعنا في تصانيفهم الإملائية من قواعد وأصول في الغالب . ولعلَّ أهمَّ ما يُمكنُ أنْ توسَّعَ به تصانيفهم، من حيث اتَّبَعَ علماء الرسم القدامى أو الرسم القرآني أو غيرهما من المسائل - ما يأتي :

(أ) أنَّ تعدُّد الأوجه وتكثيرها، أو الانتقاء والاختيار من مذاهب علماء الرسم القدامى - تشيع في هذه التصانيف .

(ب) أنَّ الأمثلة المصنوعة تطالعنا في كثير منها، للتدريب والتدرب، على الرغم من أنَّ بعضها قد تفرَّد بتدوين نصوص لغوية لهذه المسألة ..

(ج) أن كثيراً منها قد اكتفى فيها مُصنّفوها بأن يرث ما تركه مَنْ سبقوه من المحدثين، متناسين العودة إلى النبع الثرّ الأصيل، وعليه فلا بُدّ من أن تطالعنا بعض مسائل الرسم على خلاف نظائرها في مظانّ القدامى، وهي مسألة يمكن إرجاعها في بعض الألفاظ إلى عدم تبين مذاهب هؤلاء القدامى. ولعلّ ما يُعزّز ما نذهب إليه ما يطالعنا به بعض مُحققي تآليف الرسم الإملائي القديمة، أو تلك التي أفردت له أمكنة في أثنائها وحناياها، إذ رسموا بعض الألفاظ رسماً لا يساير مذهب هذا العالم أو ذاك في هذه المسألة، أو على خلاف مراده.

(د) أن كثيراً ممّن صنّفوا في الرسم الإملائي من المحدثين جعلوا للهمزة المتوسطة التي حذفت صورتها والتي قبلها حرف اتصال سناً صغيرة، أو نبرة، أو ياء مهملة، وهي تُكأة لم تكن متوافرة في تآليف علماء الرسم القدامى أو الرسم القرآني، ولست أرى مُحوجاً إليها، لما يتوافر بتوافرها من لبسٍ وخلطٍ.

(هـ) أن من صنّفوا في الرسم الإملائي من المحدثين لم يقفوا القدامى أو الرسم القرآني في حذف صورة الهمزة - في الغالب - في مثل: يسأل، ومسألة، ويلكؤم ويُسبّم، إذ يوجبون إثباتها إلّا في بعض الألفاظ التي تُعدّ مستثناة، نحو: هيئة ومسألة، وغيرهما.

(ل) أن حذف الألف وتعويض مدّة منها في مثل: خطآن، ومَلَأْن، وأضرابهما - يُعدّ في رأيي من ابتكارات المحدثين، إذ لم أوفق في الاهتداء إلى من ينصّ نصّاً صريحاً، عليه من علماء الرسم القدامى، في الغالب إذا استثنينا ما طالعنا به بعض مُحققي تصانيف هؤلاء.

(م) أن جمهور المحدثين قد أوجب حذف الواو، صورة الهمزة، في: التبوء، والتضوء، وأضرابهما مما فيه الهمزة متطرّفة مضمومة أو مفتوحة، وقبلها واو مُشدّدة، وهو حذف لم يطالعنا في تصانيف القدامى المختلفة، ولا محوج إليه، كما مرّ.

(ن) أن المحدثين قد قَفَّوا القدامى في عدم حذف صورة الهمزة في مثل : رأى، ونأى، وأضربهما، وهو حذف قد طالعنا في رسم المصحف.
(و) أن بعضهم قد نسب إلى بعض علماء الرسم القدامى توهُماً - إجازة بعض الأوجه الإملائية، ويبدو ذلك في رسم ما يُعَدُّ من باب رءوف بواو واحدة، هي واو الهمزة (رُؤف)، وما يُعَدُّ من باب : جاءوا، ويقرءون، بواو واحدة أيضاً، هي واو الهمزة (جاؤا، ويقرؤن)، على أن المحذوف الواو الثانية، وهي نسبة ليست متوافرة في الرسم القرآني أو مظان الرسم القديمة. والقول نفسه في قرأا، وأضربها ممّا فيه ألف الثنية بعد الهمزة المتطرفة المفتوح. وقبلها، إذ نسب إلى بعضهم حذف ألف الثنية لا ألف الهمزة، كما مرّ.

(ي) أن بعضهم قد أوجب كُتِبَ : وضؤوا، وجرؤوا، وأضربهما بواوين؛ لتحقيق أمن اللبس بين المسند إلى واو الجماعة والمسند إلى ضمير الثنية، وهو إيجاب لا ضرورة إليه؛ لأن أمن اللبس يتحقّق بحذف الواو، صورة الهمزة، وكُتِبَ الهمزة على المطّة أو المتّسع.

(ق) أن بعضهم قد أوجب إثبات الواو، صورة الهمزة، في : ضؤوه، ووضؤوه، وأضربهما، وهو إيجاب لم يطالعنا في مظان الرسم القديمة، أو الرسم القرآني، ولا محوج إليه، إذا لم يُعْتَدَّ بالعارض.

(ك) أن بعضهم قد ذكر أن المحذوف في : يُعْثُونَ وأضرايه، هو الواو الثانية، وهي مسألة ليست متوافرة في مظان الرسم القديمة، أو الرسم القرآني، كما مرّ.

(س) أن جمهور المحدثين يوجبون إثبات صورة الهمزة، في الغالب، في : مُخْطِئِينَ، ومُقَرَّرِينَ، وتَقَرَّرِينَ، وأضربها، ومُسْتَهْزِئُونَ، وتَسْتَهْزِئُونَ، وأضربها، وهي مسألة يكادُ كثيرٌ من القدامى من علماء الرسم يوجبون فيها حذف صورة الهمزة، والقول في الرسم القرآني. وغير

ذلك من المسائل الأخرى التي بسطنا الحديثَ فيها في هذا البحث.
والله أسألُ أنْ يوفِّقنا في خدمة لغة كتابه المبين وَكُتِبَها، وأسأله
المغفرةَ، إنْ زَلَلْتُ، وَجَزَيْلَ الثوابِ، إنْ أَصَبْتُ، إِنَّهُ المولى والنصير.

